القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة السادسة والعشرون ـ العدد 8086 الأحد 26 نيسان (ابريل) 2015 ـ 7 رجب 1436هـ
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

حجاج نايل: هدفنا كسر الصمت تجاه السودان

يوسف كرش: سيد العدسة الملحمية

صفورية الفلسطينية: مدينة السلام ومفتاح الجنة

«مطيّرجية» العراق: بين ماض قاس وحاضر أقسى 14

حلف مخيم اليرموك: الأكناف/ النظام السوري/ منظمة التحرير 5

السعودية: الثالثة عالمياً في الرقابة على الإعلام والكلام 28

قوارب الموت: إبحار نحو مقابر الأمل

كمـا كان متوقعاً بالمقارنة مع تجارب الماضي، لم تسـفر اجتماعات القادة الأوروبيين في بروكسـل عن اقتراح حلول عملية لمشـكلات تدفق المهاجرين إلى أوروبا، عبر شـبكات التهريب وقوارب الموت، وذلك لأنّ المناقشـات لم تذهب إلى جذور الظاهـرة، أي الفقر والفرار مـن مناطق الحروب وأنظمة العنف والفسـاد والاسـتبداد، واكتفى الساسـة باقتراح المزيد من تدابير الرقابة والردع ومحاولة تحويـل القارّة إلى قلعة حصينة مغلقة في وجه الغريب.

(ملف حدث الأسبوع، ص 8 ـ 13)

ISSN 1358-3379

Price List

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

اليمن يحتاج إلى «سيف حزم» ينهي ألاعيب صالح السياسية

انتهت «عاصفة الحزم» ولكن لم يعد الأمل!!

الرياض - «القدس العربي»:

سليمان نمر

صحيح ان «عاصفة الحزم» توقفت، ولكن لم تتوقف حتى الآن المعارك العسكرية على أرض اليمن الذي يبدو ان الحرب فيها ستطول.

ولا شيء يشير هناك إلى امكانية «عودة الأمل» إلى الشعب اليمني، أو بوادر نجاح أي حل سياسي لأزمة اليمن التي تحولت إلى كارثة على شعبه الذي يبدو انه تعود الكوارث.

واليمن أصبحت تمزقه الشائعات أو «الإشاعات» بعد ان مزقه الحوثيون وحروبهم والرئيس المخلوع علي عبد الله صالح وألاعيبه.

والسلطة الشرعية برئاسة الرئيس «الطيب القلب» تنام «في العسل» في الرياض، ولا يجد رئيس حكومتها بلدا يزورها سوى البحرين، وكأن في المنامة أحد مفاتيح حل أزمة بلاده!!.

والرئيس المخلوع علي عبد الله صالح مازال يواصل مناوراته السياسية على أهل اليمن وعلى المملكة وعلى قرار مجلس الأمن رقم 2216.

فهو يدعو «كل الأطراف اليمنية إلى وقف إطلاق النار» وكانه ليس طرفا في اشعال هذه النار واستمرارها وتأجيجها ... يترك القوات الموالية له تواصل المعارك ولا أحد يشك ان قواته هي الأكثر قدرة أمام القوات الموالية للشرعية المهلهلة والتي لا تملك أي قيادات عسكرية توحدها ولا تمتلك التدريب القتالي الكافي للدخول في مواجهات مع قوات علي عبد الله صالح المدربة والمعدة مسبقا لمثل هذه الحرب .

والرئيس المخلوع ضمن مناوراته يدعو إلى حوار يمني-سعودي ترعاه الأمم المتحدة لحل الأزمة، حتى يقول للعالم ان المشكلة هي بين اليمن والسعودية، وليست مشكلة انقلاب قام به والحوثيون ضد الشرعية الدستورية بدعم وتدخل إيراني مما اضطر المملكة للتدخل لتحمي مصالحها ونفوذها التاريخي في اليمن.

وإيران تتباكى على اليمن وكان طهران أو قم هي التي تتعرض لغارات «عاصفة الحزم» وتحاول ان تعمل بسرعة على تقديم الدعم العسكري لحلفائها الحوثيين بحرا بارسال 9 سفن إلى مياه اليمن ليس لاستعراض القوة، بقدر ماهو محاولة لاختراق الحظر البحري والرقابة التي فرضتهاعلى المياه الاقليمية لليمن السفن المصرية والسعودية بالإضافة إلى السفن الأمريكية والفرنسية.

وتحاول طهران تقديم مبادرة لحل سياسي تدعو فيها للحوار بين مختلف الأطراف السياسية، ولكن الهدف الحقيقي منها، سياسيا التأكيد على انها طرف في أي حل سياسي للأزمة اليمنية، لذا لاحظنا ان طهران وعلى لسان نائب وزير خارجيتها هي التي أعلنت وقبل ساعات من وقف عمليات «عاصفة الحزم» انه سيتم الإعلان عن وقف اطلاق النار.

والهدف عسكريا من المبادرة الإيرانية للحل السياسي، تحقيق وقف اطلاق نار فوري ينقذ حلفاءها الحوثيين من ضغط الغارات الجوية العنيفة لطائرات تحالف «عاصفة الحزم» التي تمنع الوية الجيش الموالية لعلي صالح من التحرك على الأرض، وتمنع الحوثيين من نقل الأسلحة والصواريخ التي حصلوا عليها من طهران و«حزب الله « شمالا نحو الحدود السعودية.

ولتأكيد تدخلها لجأت طهران لمحاولة استعراضية لارسال طائرة إيرانية قالت انها تحمل مساعدات إنسانية وجرحى «من الذين عالجتهم بعد ان جرحوا جراء غارات عاصفة الحزم». مما يثير التساؤلات حول حيفية وصول الجرحى إليها وهناك حظر جوي وبحري على الأجواء والمياه اليمنية؟!!.

والمملكة العربية السعودية التي تقود التحالف العربي لـ«عودة الأمل» تلتزم الصمت السياسي الذي يترك الأبواب مفتوحة على مصراعيها للتكهنات والتحليلات المنطقية وغير المنطقية.

المملكة أوقفت «عاصفة الحزم» لتتيح المجال لتطبيق قرار مجلس الأمن 2216 الخاص باليمن قبل ثلاثة أيام من انتهاء المدة التي أعطاها مجلس الأمن للحوثيين ولجماعة علي صالح لتنفيذ بنود القرار التي توقف انقلابهم على الشرعية.

ولكن كما بدا حتى يوم أمس السبت فان الحوثيين والرئيس المخلوع لم ينفذوا القرار وانما أصدروا بيانات تؤيد وقف اطلاق النار دون التزام به.

والمملكة ذكرت انها اوقفت «عاصفة الحزم» بعد ان حققت عمليات العاصفة أهدافها العسكرية، ولكن يبدو ان هذا لم يتحقق بالشكل الذي من الممكن ان نقول انها حققت انتصارا عسكريا استرتيجيا يفرض على الانقلابيين تنفيذ قرار مجلس الأمن.

صحيح ان المملكة حققت بعض الأهداف الاستراتيجية لـ«عاصفة الحزم» وأهمها ضرب القدرات الصاروخية للمتمردين الانقلابيين والتي كان من الممكن ان تهدد الأراضي السعودية، فغارات طائرات «عاصفة الحزم» استطاعت ان تدمر الصواريخ البالستية التي كانت بحوزة قوات الجيش، الحرس الجمهوري، الموالية لصالح، والصواريخ التي يمتلكها الحوثيون والتي ارسلت لهم من طهران ومن حزب الله في لبنان.

وصحيح ان الغارات استطاعت ان تدمر الصواريخ والدفاعات الجوية للانقلابيين بشكل مكن التحالف العربي من فرض منطقة حظر جوي على كامل أجواء اليمن. ولكن يبدو ان الحوثيين وشريكهم صالح مازالوا يملكون القدرات العسكرية على الأرض التي جعلتهم يستولون على معسكر اللواء 35 الموالي للشرعية في تعز بعد وقف «عاصفة الحزم»، والتي جعلتهم قادرين على ارسال التعزيزات التسليحية والقتالية لقواتهم في بعض المناطق في اليمن لاسيما في لحج والضالع.

مازالوا يملكون القدرات العسكرية التي تمكنهم من الصمود والبقاء في بعض مداخل وأحياء مدينة عدن التي تمترسوا بها عند بداية العاصفة قبل شهر.

قوات علي صالح والحوثيون مازالت لديهم الامكانات والقدرات العسكرية تجعل ضجيج الحرب يعلو وتجعل الحرب مستمرة رغم نوايا «الأمل» التي جعلت «عاصفة الحزم» تنتهي.

والتي تحتاج إلى قدرات عسكرية محترفة هي التي تجعل الرئيس المخلوع يستمر بمناوراته السياسية التي يريد من خلالها اثبات انه «الرقم الصعب في المشكلة اليمنية».

ولا أحد يعرف من المراقبين لماذا تلتزم المملكة الصمت السياسي ازاء هذه المناورات السياسية لصالح رغم ان زمن الحرب يحتاج إلى عدم الصمت في ظل ضجيج المعارك والحروب؟

ويتساءل المراقبون لم هذا الصمت ازاء ماقيل عن مبادرة سياسية لخروج الرئيس المخلوع وعائلته مقابل استسلام قواته؟

ولم هذا الصمت ازاء مواقف دول كباكستان، من المفروض ان تكون حليفة للمملكة بحكم الشراكة العسكرية الاستراتيجية، ثار الكثير من اللغط عن مشاركتها في التحالف الذي تقوده المملكة؟

صحيح ان الغارات العسكرية على تحالف الانقلابيين لم تتوقف، وصحيح ان الرقابة على الأجواء والمياه الاقليمية اليمنية لم تتوقف، ولكن الأمر هذا لا يكفي، فالقدرات القتالية العالية لقوات صالح تحتاج إلى قوات عسكرية محترفة لتتصدى لها على الأرض وليس إلى قوات متطوعين من التحالف القبلي ولجان المقاومة الشعبية وهذا يعني انه لابد من المعركة البرية التي ستحسم الأمور بانتصار عسكري ساحق يجبر الرئيس صالح والحوثيين على الاستسلام.

فهل تنتظر المملكة انتهاء الموعد المقرر لتنفيذ قرار مجلس الأمن (والذي انتهى يوم الجمعة الماضي) حتى تحسم الأمور وتعيد «سيف الحزم»؟؟

والقدرات العسكرية القتالية العالية لدى قوات علي عبدالله صالح

القدس الاسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

في عداد المدن المنكوبة إثر نفاد المواد الغذائية والتموينية

عدن وتعز تتصدران مقاومة الحوثيين

تعز - «القدس العربي»:
خالد الحمادي

«مــن لم يمت بالرصاص، مات من الجوع» هذا حال أبناء مدينتي عدن وتعز، جنوبــي اليمن، إثر حصار المتمردِيــن الحوثيين وقوات صالــح لهاتين المدينتين اللتين تصدرتا المقاومة الشــعبية ضد ميليشيات التمرد الحوثي وقوات الرئيس السابق علي صالح.

ســقط الكثير مــن الضحايا بين قتيــل وجريح بالرصاص الحــي وقذائف المدفعية الثقيلة والدبابات في محافظة عدن منذ اجتياح المســلحين الحوثيين لها بمســاعدة قوات جيش صالح مطلع الشــهر الماضي، ولكن المشكلة الأكبر أن هذه المحافظة تواجه كارثة إنســانية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، حيث أطبق عليها المســلحون الحوثيون حصارا شــديدا ومنعوا دخول المواد الغذائية والتموينية إليها كما منعوا ضخ المياه إلى منازلها منذ أكثر من ثلاثة أســابيع، عندما سيطروا على جبل حديد التي تقع فيه مضخات المياه لأغلب مناطق مدينة عدن.

وذكر العديد من سكان عدن أن همجية ووحشية المسلحين الحوثيين وقوات صالح لم تقف عند القصف العشــوائي بالمدفعيات الثقيلــة والدبابات للمناطق والأحياء الســكنية في عدن بل تجاوزوا ذلك إلى فرض حصار شديد على المدينة منعوا من خلاله دخول المواد الغذائية والتموينية وتوقفت حركة الحياة في عدن وأصبحت مهددة بكارثة إنســانية غير مسبوقة، قد تصل إلى حد وفاة الكثير من السكان بسبب انعدام الغذاء والدواء.

وتعاني محافظة تعز القريبة منها من المشــكلة نفسها التي وصلت حدا ينذر بوقوع كارثة إنســانية وشــيكة إثر انقطاع ســبل العيش فيها مع انعدام المواد الغذائية والنقص الحاد في المياه لأكثر من أسبوعين والمرشحة للاستمرار.

وجــاءت هذه الأزمة الحــادة في المــواد الغذائية ونقص الميــاه مع إنعدام المشتقات النفطية منذ أكثر من شهر ونصف وانقطاع التيار الكهربائي بشكل كامل وتراجع سبل ووسائل العيش الحديث بشكل شبه كلي، لدرجة توقف المواصلات العامة والخاصة وتعثر شبكات الاتصالات وخدمات الانترنت.

وضاعف من حدة الأزمــة الاقتصادية والحياتية فــي محافظتي عدن وتعز الإنعدام الكلــي للعملة الصعبة ومنع الحوثيين لحركة الحوالات البنكية من وإلى اليمن والتي تســببت في تعثر الخدمات المصرفية بشــكل غير مسبوق وأصيبت الحركة التجارية نتيجة لذلك بشلل شبه تام.

طبعا بعض هــذه المعاناة، كإنعدام المشــتقات النفطية وإنعــدام العملات الصعبة ليســت محصورة في مدينتي تعز وعدن ولكنها مشكلة عامة تعاني منها كافــة المحافظات والمدن اليمنية، غير أن المتمردِيــن الحوثيين وأعوانهم من قوات صالــح بالغوا في إيلام محافظتي عدن وتعز وشــددوا الحصــار حولهما لتزعم هاتين المحافظتين للمقاومة الشعبية ضد التمدد الحوثي الشيعي في هذه المناطق السنية بالكامل والتي لا توجد فيهما حاضنة اجتماعية للحوثيين، كما أن المفاجئ في هاتين المحافظتين هو أنهما كانتا مــن أكثر المحافظات اليمنية مدنية وخلوا من السلاح.

وقال مصدر سياسي رفيع في تعز لـ«القدس العربي» ان أبناء هذه المحافظة المســالمة التي تعرف بأنها العاصمــة الثقافية لليمن اضطروا إلى حمل الســلاح للدفاع عن مدينتهم من الاجتياح الحوثي الشــيعي الذي يسعى إلى فرض هوية جديدة وواقع سياســي جديد بعيدا عن الموروث العقائدي والثقافي والسياسي لهذه المناطق الجنوبية بل ولأغلب المناطق اليمنية.

ورغم بدائية الأســلحة التي يســتخدمها رجال المقاومة الشعبية في كل من عدن وتعز وإنعدام الخبرة العسكرية لديهم إلا أنهم حققوا مكاسب كثيرة وتقدما كبيــرا على الأرض فــي مواجهة جيش الدولة الذي اســتولى عليــه الحوثيون بتســهيل من الرئيس الســابق علي صالح، الذي بناه على أساس طائفي وليس على أساس وطني.

وأوضحت مصادر ميدانية أن المقاومة الشــعبية في عدن تسيطر حاليا على نحو 80 في المئة من مناطق محافظة عدن، فيما تســيطر المقاومة الشعبية في تعز على نحو ثلثي مناطق المدينة وفقا لزعيم المقاومة فيها حمود سعيد المخلافي.

وترافقت العمليات العسكرية في محافظتي عدن وتعز مع المعاناة الإنسانية جراء نقص المواد الغذائية والتموينية وإنعدام المشتقات النفطية.

وتخشــى منظمات إنســانية محلية ودولية من كارثة إنســانية وشيكة في محافظتي عدن وتعز جراء الحصار وشدة القصف الحوثي على أحيائها السكنية ونفاد المخزون الاستراتيجي الذي كان متوفرا فيها.

وقال مصدر محلي ان معاناة تعز تضاعفت مع حصارها من كل الجهات البرية والبحرية والجوية وسيطرة المســلحين الحوثيين على المنفذ البحري الوحيد لها وهو ميناء المخا، بالإضافة إلى سيطرتهم على كافة الطرق والمنافذ البرية الموصلة إليها من كل الاتجاهات، فيما يتمركز رجال المقاومة الشــعبية في وسط مدينة تعز لمنع دخول المسلحين الحوثيين.

وطالبت العديد من المنظمات الإنسانية بضرورة التهدئة العسكرية وتوفير أطــراف الصراع فترات هدنة للأغراض الإنســانية، فيما طالبــت دول التحالف العربي بضرورة الإســراع في تنفيــذ عمليات الإغاثة الإنســانية وتوفير المواد الغذائية والتموينية والمشــتقات النفطية قبل أن تستفحل الأزمة وتأكل الأخضر واليابس.

باختصار

الجيش اللبناني يقصف تجمعات للمسلحين شرق البلاد

قصف الجيش اللبناني امس السبت بالمدفعية تحركات وتجمعات للمسلحين في جرود بلدة عرسال وجرود رأس بعلبك شرق البلاد.
وذكر مصدر رسمي لبناني أن الجيش اللبناني استهدف تحركات وتجمعات للمسلحين على السلسلة الشرقية بالمدفعية المتوسطة من عيار 130 ملم في جرود عرسال في البقاع الشمالي.

مسؤول احوازي: عاصفة الحزم منحت القوميات غير الفارسية في إيران زخماً كبيرا

أكد أمين عام الجبهة الديمقراطية الشعبية الأحوازية، صلاح أبو شريف، أن «عاصفة الحزم» التي تقودها السعودية خفّفت الضغط على الأحواز .
وقال إن التحرك العسكري العربي في اليمن منح مطالب القوميات غير الفارسية في إيران زخماً كبيراً وخفّف الضغط عنها ودفعها إلى التفكير في مشاريع معارِضة جديدة تعتمد على توحيد الجبهات غير الفارسية بعد ان ثبت أن إيران ليست بهذه القوة .

اجهزة الأمن التركية تقبض على 13 شرطيا ضمن تحقيقات «الكيان الموازي»

ألقت أجهزة الأمن التركية القبض على 13 من رجال الشرطة، ضمن عملية أمنية أطلقتها أمس السبت مركزها ولاية «وان» شرقي تركيا، وشملت 8 ولايات أخرى.
وجاءت العملية الأمنية في إطار التحقيقات بشأن التنصت غير المشروع ضمن الحملة الموجهة ضد «الكيان الموازي».

اربعة قتلى في هجمات انتحارية عند معبر حدودي بين العراق والأردن

قال موقع سايت المعني بمراقبة المواقع الإسلامية على الانترنت إن تنظيم الدولة الإسلامية أعلن مسؤوليته عن هجوم شنه انتحاريون من بلجيكا وفرنسا والسنغال على معبر حدودي بين العراق والأردن أمس السبت.
وأضاف الموقع «في إعلان وزع على تويتر أمس إن المهاجمين الثلاثة هم أبو عبد الله البلجيكي وأبو بكر الفرنسي وأبو جعفر السنغالي وقال إنهم قتلوا 40 جنديا على الأقل.»
وكان اربعة عناصر من قوات الأمن العراقية على الأقل قتلوا أمس السبت في ثلاث هجمات نفذها انتحاريون عند معبر طريبيل الحدودي بين العراق والأردن في محافظة الانبار، بحسب ما أفاد مسؤولون.

ممثلو الاديان يقرون في المغرب خطة عمل لمكافحة «التطرف»

اقر أكثر من ثلاثين مسؤولا من ابرز الاديان اجتمعوا على مدى يومين في مدينة فاس وسط المغرب برعاية الامم المتحدة، خطة عمل وتوصيات لمكافحة التوتر الديني المؤدي الى التطرف وارتكاب الجرائم.
واجتمع الخميس والجمعة زعماء روحيون يمثلون مسلمين سنة وشيعة، اضافة الى ممثلين عن اليهودية والمسيحية والبوذية والهندوسية، برعاية مكتب الامم المتحدة لمنع الابادة الجماعية، والمركز الدولي لحوار الأديان والثقافات.
وركز الاجتماع على «دور الزعماء الروحيين في منع التحريض المؤدي إلى الجرائم الوحشية كالإبادة الجماعية وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية» في وقت تصاعدت فيه حدة خطاب التحريض على الكراهية وتزايدت المجموعات المتطرفة، بحسب الأمم المتحدة.

باكستان تحقق في حادث مقتل ناشطة حقوقية

أمر الجيش الباكستانى القوى اجهزة مخابراته أمس السبت بتقديم المساعدة لاجهزة التحقيق في حادث مقتل ناشطة حقوقية، اثار صدمة لدى المجتمع المدنى.
وكان مسلحان في باكستان قتلا الناشطة الحقوقية سابين محمود الليلة الماضية باطلاق النار عليها من فوق دراجة بخارية فى مدينة كراتشي بعد أن استضافت نقاشا حول قضية الاشخاص المفقودين في إقليم «بلوشيستان» الذي يشهد نزاعات.

الأردن: إيمان نخبوي جماعي بـ«الإصلاح السياسي» وإخفاق في إعلان نعي «الصوت الواحد»

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

يضع رئيس مجلس النواب الأردني عاطف الطراونة عدة خطوط بقلم واضح وكبير وهو يعتبر قانون الانتخاب ومؤسسة البرلمان المفتاح الرئيسي والأساسي لتحريك عملية تغيير وإصلاح سياسي جذرية يمكنها في الحد الأدنى ان تسمح بتدشين نقاش حيوي في المستوى الوطني يبدأ بالإستدراك ويعالج المشكلات .

مشكلات الأردن خصوصا في ظل تسارع وتطور الأحداث الإقليمية متشعبة ومتعددة من وجهة نظر الطراونة فهي لا تقتصر على تفعيل آليات الرقابة والحاجة الملحة لتعديلات دستورية ولا تقف عند حدود الاقتصاد ومتطلبات اللاجئين وتحديات الأمن والمياه والطاقة ولا تنتهي عند بعض المظاهر الاجتماعية السلبية مثل العنف وغلاء الأسعار.

ولأن المشكلات متشعبة استمعت «القدس العربي» للطراونة وهو يتحدث عن البدء بمأسسة العمل البرلماني ومفتاح العمل في هذا المسار هو حصريا التمكن من القفز على التباينات والخلافات المرتبطة بملف قانون الانتخاب ثم التوافق وطنيا على هذا القانون والإنتقال لمستوى الدور الوطني عبر مؤسسة البرلمان التي تعمل بصورة منهجية لا يمكن تجاهلها.

مثل هذا النقاش وعندما يتعلق بسعي العديد من الأطراف إلى طرح السؤال بصيغة ماذا بعد؟ إثرعملية التشخيص لمجمل الواقع الإداري والخدماتي وللسياسي والاقتصادي والأمني في البلاد .. أصبح هذا النقاش عابرا لكل مجالسات الأردنيين واجتماعاتهم ونقاشاتهم.

لذلك يؤيد نشطاء أساسيون في الساحة التحريض على البدء الفوري في عملية الإصلاح والتغيير دون الخوض كثيرا في تفصيلات وجزئيات من طراز الخطوة الأولى .. هنا يتفق الناشط السياسي والقانوني مبارك ابو يامين مع الصيغة التي يقترحها الطراونة عندما يعبر عن ثقته في ان الإستدراك الوطني يبدأ فعلا من وجود برلمان قوي وصلب ومهيوب الجانب.

المحاججة هنا في النقاش عندما يتعلق الأمر بمحطة قانون الانتخاب تعيد أي مراجعة إلى الملف الشائك من حيث الإنقسام في الرأي وتعددية الاجتهادات وهو ملف قانون الانتخاب خصوصا وان التشخيص توافقي ووصل إلى نقاط جماعية محددة عندما تعلق الأمر أو يتعلق بالملف الاقتصادي خلافا لمسار الإصلاح السياسي الذي مازال منقسما عندما يتعلق النقاش بالإجابة على السؤال المعني بأفضل صيغة لقانون الانتخاب في الأردن.

الإجماع حاصل حتى داخل صف نخبة الدولة والمؤسسات على إنتهاء صلاحية قانون الصوت الواحد وعلى صعوبة أو شبه استحالة العمل مرة أخرى تحت مظلة إطالة عمر هذا القانون أو النفخ في عمره مجددا.

وهو موقف عبر عنه رئيس الوزراء الحالي الدكتور عبد الله النسور وعبر عنه رئيس الوزراء الأسبق سمير الرفاعي وهو يؤشر علنا عدة مرات على ضرورة الإنتقال إلى مستوى يتجاوز عقدة الصوت الواحد بعدما أصبحت هذه الصيغة أميل لتجاوزها.

اللافت جدا في السياق ان حكومة النسور تتبرأ عمليا من قانون الصوت الواحد والتزمت أمام الرأي العام بتحويل قانون جديد لمجلس النواب في أقرب وقت ممكن علما بان أركان السلطة والحكم والإدارة لم يحصل بينهم توافق جماعي بعد لا على إعلان نعي صيغة الصوت الواحد ولا على تصور الصيغة الجديدة العصرية لقانون الانتخاب.

لذلك ما زالت نقاشات قانون الانتخاب رغم إصرار الجميع على أهميتها القصوى تجعل المسار السياسي بما في ذلك مستقبل معالجة المشكلات الأساسية عالقا في مسألة نكران إنتهاء صلاحية القانون الواحد من قبل جميع الأطراف وإخفاق المؤمنين بضرورة التغيير وأهميته في فرض صيغتهم أو حتى في استصدار ضوء أخضر يخصص الغطاء لبحث جدي لصيغة قانون الانتخاب.

الغريب ان هذه الفوضى في التفكير في عقل الدولة ونخبتها تبرز وتبقى وتصمد رغم توافق اللاعبين الكبار على تلك الصيغة التي يقترحها الطراونة وهو يعتبر قانون الانتخاب وبالتالي مؤسسة برلمان بدور وطني حقيقي ومنتج مفتاحا أوليا لعملية التغيير وهي العملية نفسها التي ستوحي ضمنيا كما يلمح ابو يامين بان إدارة البلاد بدأت فعليا تؤسس قواعد جديدة انظف للبلاد تسمح باحتواء تداعيات المشكلات الكبرى وأخطاء الماضي.

في المقابل يبدو الرفاعي عندما استمعت «القدس العربي» له مهتما بنظرة أعمق في التعاطي مع الواقع الوطني على أساس بقاء واستمرار وتجديد الثقة بالمؤسسات وافتراض حسن النوايا وقطع خطوة البداية إنطلاقا من قاعدة بسيطة «حصلت أخطاء وحان وقت معالجتها» وعلى أساس عدم وقوف النخب السياسية عند محطات التفرج والسلبية والاكتفاء بالنقد والتشخيص دون اقتراح المعالجات، لا بل المبادرة لإقتراح هذه المعالجات.

على هذا الأساس تبرز مقاربات الرفاعي وهي تؤكد على ضرورة جمع النقاشات الوطنية دفعة واحدة في مسار التنمية السياسية بمعنى البحث في قانون الانتخاب بالتزامن مع تعديلات قانون التعددية الحزبية وكذلك تشريعات الانتخابات البلدية وأي تشريعات ضمن العائلة نفسها.

بالنسبة للمبادرة البرلمانية كما عبر عنها سابقا النائب الدكتور مصطفى الحمارنة سقطت كل نمطية التفكير المعلبة في قانون الإنتخاب والأهم التوصل إلى صياغة للانتخاب تحقق الأهداف النبيلة للتنمية السياسية وتمثيل الشعب بصرف النظر عن جدول الحقوق المكتسبة أو المنقوصة مع تكثيف الجرعة التي تتحدث عن «حقوق المواطن».

عاطف الطراونة

المهم في المشهد أن الحالة السياسية الأردنية العامة تعترف بالمشكلات المستعصية وبضرورة الحفاظ على هيبة مؤسسة البرلمان وفتح صفحة قانون عصري وجديد ثم إنتخابات نزيهة لكن هذا الإعتراف الجماعي لم يعمل بعد على توفير إرادة سياسية واضحة الملامح لا على صعيد الإصلاح السياسي ولا حتى على صعيد نقطة البداية في ملف «الانتخاب».

حكومة التوافق وغزة وآمال السكان برؤية الوحدة واقعا لا حبرا

غزة – «القدس العربي»: أشرف الهور

على أمل وصول رئيس حكومة التوافق الوطني الدكتور رامي الحمد الله، من جديد إلى قطاع غزة نهاية الأسبوع الجاري، للحوار مع حركة حماس حول كيفية حل ملفات الخلافات المستعصية وأهمها ملف الموظفين، يبقى الشارع الفلسطيني يراقب ما ستؤول إليه الأمور بين طرفي الخلاف، خاصة بعد فشل مهمة أعضاء الحكومة في زيارتهم الأولى لغزة، وفق نظام الدوام الجديد.

الدكتور رامي الحمد الله أعلن من مكان تواجده خارج المناطق الفلسطينية أنه سيزور غزة نهاية الأسبوع، وسيعمل على حل المشاكل العالقة، ودعا الشعب الفلسطيني إلى «عدم فقدان الأمل بالمصالحة والتفاهم» مبديا من خلال هذه التصريحات ما تردد عن تقديمه بسبب هذه الأزمة استقالته من الحكومة.

لكن تلك التصريحات لم تعط الكثير من الأمل لسكان قطاع غزة الذين يتطلعون لأن يعيشوا الوحدة واقعا، لا أن تكون حبرا على ورق.

فجملة تصريحات سابقة كثيرة خرجت من أفواه قادة فتح وحماس وحكومة التوافق، الثمرة الوحيدة لإتفاق المصالحة، لكن دون أن تغير شيئا على أرض الواقع. فمواقف طرفي الخلاف لا تزال تبتعد يوما بعد يوم، حول طرق حل المشكلة، ولكل منهم وجهة نظر يضعها في تفسيره لإنهاء الخلافات، وهو أمر ظهر مؤخرا في زيارة وفد حكومة التوافق لغزة مطلع الأسبوع الماضي.

فالحكومة التي قدمت بناء على قرار مجلس الوزراء في جلسته الأسبوعية الثلاثاء الماضي، الذي طلب من الوزراء التوجه لغزة، لحل كافة الملفات العالقة خاصة المشاكل الإدارية التي تتعلق بالموظفين، من خلال البدء بالإشراف على اللجان الفرعية المشكلة للبدء بعملية حصر الموظفين الذين كانوا على رأس عملهم قبل سيطرة حماس على غزة منتصف حزيران/يونيو من العام 2007، وعددهم يبلغ نحو 50 ألف موظف، للبدء بعدها بحل مشاكل موظفي غزة الذين عينوا فترة حكومة حركة حماس، لم تستطع هذه الحكومة القيام بعملها، وغادرت بدلا من أن تمكث أسبوعا في غزة على عجل بعد 24 ساعة، أمضتها في أحد فنادق غزة، دون أن يصل الوزراء مقرات وزاراتهم.

ذلك تلاه تبادل للاتهامات بين حركتي فتح وحماس، خاصة بعدما فشلت قوى فلسطينية وهي اليسار وحركة الجهاد الإسلامي، من إنهاء الخلاف القائم عبر وساطة بين الطرفين.

ففتح اتهمت خصمها حركة حماس بأنها «وضعت مجموعة من العراقيل» أمام الحكومة، تمثلت في منع الوزراء من مغادرة الفندق والذهاب لمقر الوزارات ومزاولة عملهم من هناك.

وفي هذا السياق دعا الناطق باسم حركة فتح الدكتور فايز أبو عيطة، في تصريحات لـ «القدس العربي» حركة حماس أن تترك للحكومة «حرية العمل في قطاع غزة».

لكنه أيضا أكد أن فشل زيارة وفد الحكومة «لا يعني أنه تم الوصول إلى طريق مسدود» لكنه اشترط عدم إخضاع الحكومة لأي طرف فلسطيني.

في المقابل رفض الناطق باسم حماس سامي أبو زهري، ما وجه لحركته من انتقادات، وتحميلها مسؤولية فشل مهمة الوفد الوزاري، خاصة فيما تردد عن منع حماس الوزراء من مغادرة الفندق لمقرات الوزارات، وقال أنهم هم من فضلوا البقاء في الفندق، واتهمهم بـ «الانسحاب» من غزة، بناء على طلب من رئيس الحكومة الدكتور الحمد الله، بعدما اعتبر أن هدف زيارتهم حصر الموظفين القدامى، دون أن يكون لها علاقة بحل باقي مشاكل غزة.

فصائل وسيطة تدخلت لإنهاء المشكلة كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ألقت بالمسؤولية على الطرفين، وتحدث أحد قادتها عن «مضايقات» مورست على الوزراء في غزة، لكنه في سياق الحديث عن أساس الخلاف الجديد، قال أن أحد أهم أسبابه هو «الاتفاق الثنائي» لحل الانقسام بين فتح وحماس.

ويرى جميل مزهر عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية أن هذا الاتفاق يجعل كل طرف يفسر بنوده على الشكل الذي يريد، وهو ما يؤدي إلى الوصول إلى طرق مسدودة.

وملف دمج موظفي حركة حماس في الوظيفة الرسمية من أهم الملفات التي تحول دون تطبيق بنود اتفاق المصالحة، خاصة في ظل اختلاف وتباعد وجهات النظر بين الطرفين.

فمثلا حركة حماس في هذا الخصوص تطلب بدمج كل موظفيها الذين عينتهم منذ الانقسام في العام 2007، وحتى قبل تشكيل الحكومة في حزيران/يونيو من العام الماضي، في حين هناك وجهة نظر للحكومة تستند على إرجاع الموظفين السابقين الذين كانوا قبل سيطرة حماس على غزة يمارسون أعمالهم، ومن ثم إكمال النقص من الحالين، وعددهم نحو 40 ألف موظف.

الدكتور رامي الحمد الله

وهناك مبادرة سويسرية لحل أزمة الموظفين ودمجهم، وافقت عليها السلطة الفلسطينية وحركة حماس، مع وضع الأخيرة ملاحظات، لكن رغم ذلك ما زال هناك خلاف على طريقة تطبيقها.

وفي غزة صعدت نقابة موظفي حماس من لهجتها، وحذرت في تصريحات لرئيسها محمد صيام من «إنفجار وشيك» بسبب تأخر عملية دمجهم وعدم تلقيهم رواتبهم منذ أشهر.

ورغم أنه نفى نية موظفي حماس كما فعلوا سابقا إغلاق بنوك غزة، لمنع موظفي السلطة من استلام متأخرات لرواتب، وهو أمر تم بالفعل الأسبوع الماضي، حين فتحت البنوك أبوابها بشكل طبيعي، عقب إشاعات عن إغلاقها كمرات سابقة من موظفي حماس، إلا أنه أبدى تفهمه لكل الخطوات الفردية والعشوائية التي قد تصدر نتيجة للاحتقان الكبير عند الموظفين، لحرمانهم من رواتبهم وهم على رأس عملهم وصرف الرواتب والمتأخرات لمن يجلس في بيته بأثر رجعي.

وحذر من «إنفجار وشيك في قطاع غزة» ما لم يتم حل أزمة الموظفين بشكل نهائي، وقال أن «كل الخيارات مفتوحة أمام النقابة».

وشهدت الفترة التي تلت فشل مهمة وزراء الحكومة، أن تصاعدت حدة الخلافات بين الطرفين عبر تبادل الاتهامات في التصريحات الصحافية، لكن ذلك لم يحجب أمل الجميع في قطاع غزة أن تتم زيارة الحمد الله، وأن تنتهي بتحقيق نتائج إيجابية وملموسة على الأرض من أجل التفرغ لحل باقي مشاكل القطاع، وأهمها الإعمار ومشكلة الكهرباء وإنهاء الحصار من أجل تحسين حياة السكان الذين ذاقوا الكثير طوال ثماني سنوات من الحصار والإنقسام.

القدس العربي الاسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

معارك جديدة في الشمال السوري تمهّد لإعلان إدلب كأول محافظة تخرج بالكامل عن سيطرة النظام

ريف إدلب ـ «القدس العربي»:
منهل باريش

أعلنت عدة فصائل من المعارضة السورية المسلحة في ريف حماة الشمالي بدء معركة تحرير سهل الغاب صباح الأربعاء الفائت، وذلك «انتقاماً لأطفالنا الخدج والشيوخ الركع والنساء الثكلى، الذين جعلهم النظام أهدافا يومية لطائراته ومدافعه في كافة أنحاء الشام»حسب الإعلان.

وضمّت غرفة العمليات كلاً من «تجمع صقور الغاب»، «جبهة شام»، الفرقة الأولى الساحلية، «صقور جبل الزاوية»، و»حركة احرار الشام»، كما جاء في الإعلان.

وكانت لافتة أعداد صواريخ «التاو» أمريكية الصنع التي استخدمتها المعارضة المسلحة مستغلة تمركز قوات النظام في منطقة منخفضة الارتفاع، مما سهل تدمير العديد من دباباته ومدافعه الثقيلة من قبل رماة المعارضة.

وصرّح محمد الغابي قائد «جبهة شام» لـ»القدس العربي» أن «1800 مقاتل من الفصائل المنضوية تحت غرفة عمليات تحرير الغاب يشاركون في العملية، وإن الغاية الاستراتيجية من العمل هي تحرير الحواجز المنتشرة في الطرف الشرقي من سهل الغاب الشمالي، ابتداء من حاجز القاهرة جنوباً إلى بيت شحود شمالاً، وقطع طريق الامداد عن معسكرات القرميد والمسطومة وأريحا جنوب مدينة إدلب، والضغط على قوات النظام في جسر الشغور لتشتيتها وعدم إعطائها فرصة الانفراد بأية مشتعلة».

ورأى المتحدث باسم مركز حماة الإعلامي، مصطفى أبو عرب، في حديثه لـ»القدس العربي، أن»الهدف الأساسي هو وَصْل منطقة جبل الاكراد عن طريق السرمانية – قرقور بمنطقة جبل الزاوية وريف حماة الشمالي، وتخفيف الضغط عن غرفتي عمليات جيش النصر في جسر الشغور وجيش الفتح في معسكري القرميد والمسطومة».

وأكد المقدم جميل رعدون، قائد «تجمع صقور الغاب»، أن «غرفة عمليات تحرير الغاب سيطرت على بلدة السرمانية وحاجز الكام، وأن الفرقة الأولى الساحلية تشتبك مع قوات النظام بالقرب من بحيرة جورين في الطرف الغربي من سهل الغاب، ما يعني عملياتياً أن الطريق الغربي لسهل الغاب والواصل لجسر الشغور قد قطع تماماً».

وتستهدف العملية العسكرية خمسة عشر معسكراً وحاجزاً لقوات النظام في منطقة شمال سهل الغاب، أحد عشر منها شرق نهر العاصي وأربعة منها غربه.

وحول سير العمليات العسكرية وضّح محمد الغابي: «حررنا في أول يوم حاجز المنصورة والصوامع لكن لم نتمكن من الثبات بسبب كثافة نيران المدفعية وسوء الأحوال الجوية مما حال دون وصول الإمداد إلينا. إلا أن تقدم الفرقة الأولى الساحلية من طرف الغاب العربي سيخفف كثافة المدفعية والصواريخ التي تطلقها قوات النظام علينا من منطقة جورين».

ويُلاحظ من المعارك الدائرة شمال سوريا حجم الإرباك والخسارات المتلاحقة التي يُمنى بها جيش النظام السوري وحجم الانهيارات السريعة في خطوط مواجهته.

ومن جانبه أكد المقدم رعدون أن «عدداً من ضباط النظام فروا من الحواجز الشمالية لسهل الغاب باتجاه جورين بعد التقدم المباغت لقواتنا، ووصلتنا معلومات تؤكد أن النظام أعدم ميدانياً اثنين من ضباطه على الأقل بتهمة الخيانة»، والتواطؤ مع»الإرهابيين».

وعزت العديد من صفحات التواصل الاجتماعي السورية المعارضة تطورات الوضع العسكري اللافتة في الشمال منذ تحرير مدينة ادلب في 28 آذار/مارس الماضي وسيطرة جيش الفتح عليها وتقدمه باتجاه معسكري المسطومة والقرميد ومدينة اريحا، إلى احتمال وجود قرار دولي أو إقليمي بدعم المعارضة المسلحة في معارك الشمال لإجبار الأسد على حل سياسي.

بينما نفى المقدم رعدون وجود أي تمويل لغرفة عمليات تحرير سهل الغاب وقال: «كل فصيل قدم ذخيرته بنفسه على قطاعه، لكن التنسيق العالي بين غرف العمليات هو الذي شتت قوات النظام وسمح للثوار بالتقدم».

ويعتبر تقدم قوات المعارضة هو الأول من نوعه في المناطق ذات الأغلبية السكانية من الطائفة العلوية في ريف حماة، ما جعل هذا التقدم يترافق مع حالة هلع وخوف كبيرين، وشهدت بعض القرى القريبة من خطوط الاشتباك حالات نزوح للكثير من المدنيين من بلدة جورين والقرى المجاورة لها. وعن مصير المدنيين من الطائفة العلوية قال المقدم رعدون: «نحن نستهدف حواجز النظام ومقراته خارج القرى العلوية ولن نستهدف أي تجمعات للمدنيين».

من جهته، علق الغابي على موضوع المدنيين قائلا: «العلويون هم سكان هذا البلد ونحن لا نعاملهم بطائفية، لأننا لسنا طائفيين، إلا من تلطخت يداه وشارك في قتل أهلنا السوريين، وستكون هناك محاكم في المنطقة لرد المظالم إلى أهلها».

وتأتي أهمية العمليات العسكرية التي تقودها المعارضة السورية المسلحة في كل من سهل الغاب وجسر الشغور، من كونها تؤدي إلى تشديد الخناق على مناطق سيطرة النظام في أريحا ومعسكري القرميد والمسطومة تمهيداً لاقتحامها وإعلان محافظة إدلب كأول محافظة سورية تخرج بالكامل عن سيطرة النظام.

معارك الغاب (خاص بـ«القدس العربي»)

رئيس الهيئة الفلسطينية في الائتلاف السوري: مجموعات من أكناف بيت المقدس انضمت لفصائل تقاتل الى جانب النظام في مخيم اليرموك

ريف دمشق – «القدس العربي»:
حازم صلاح

اقتحم تنظيم «الدولة الاسلامية» في جنوب دمشق، مخيم اليرموك في مطلع الشهر الحالي منطلقا من منطقة الحجر الأسود الملاصقة للمخيم والتي تعتبر معقلا له في المنطقة وأتت هذه العملية للتنظيم بهدف السيطرة على مخيم اليرموك والقضاء على «كتائب أكناف بيت المقدس» التي تعتبر القوة الرئيسية في المخيم منذ بداية «تحريره» من قوات النظام السوري.

في حديث خاص مع أيمن أبو هاشم رئيس الهيئة العامة لشؤون اللاجئين الفلسطينيين في الحكومة السورية المؤقتة تحدث عن «كتائب أكناف المقدس» في مخيم اليرموك والاحتمالات التي كانت مطروحة أمام الكتائب لمواجهة حملة تنظيم الدولة التي تستهدف وجودها في المخيم بمساعدة ملحوظة من جبهة النصرة، حيث قال أن الكتائب واجهت ثلاثة خيارات وانقسمت بناء على هذه الخيارات إلى ثلاث مجموعات، فمجموعة من الكتائب سلمت نفسها لجبهة النصرة طلبا للأمان مبتعدة عن مواجهة تنظيم الدولة، أما المجموعة الثانية فقد انضمت لتنظيم الدولة وبايعته. وأشار ناشطون إلى أنها كانت مخترقة من قبل التنظيم أساسا. المجموعة الثالثة والتي ترابط على مدخل المخيم آثرت المقاومة والبقاء وهناك حديث عن نوع من التنسيق مع بعض الفصائل الفلسطينية التي تقاتل في صف النظام بعد ان أصبحت الأكناف بين فكي كماشة النظام والفصائل المساندة له وتنظيم الدولة فما كان من الأكناف إلا أن تنسق مع هذه الفصائل وتأمن ظهرها للوقوف في وجه التنظيم وهذا ترك انطباعا سلبيا عنها عند بعض أهالي المخيم ممن أذاقهم النظام ويلات القصف والحصار منذ ما يزيد عن عامين.

وتحدث أيمن أبو هاشم عن وجود حلفين في المنطقة الجنوبية حاليا، الأول يتكون من فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية كجيش الإسلام وجيش الأبابيل وشام الرسول في مناطق يلدا ببيلا وبيت سحم ومن تبقى من كتائب الأكناف إضافة للاتحاد الإسلامي لأجناد الشام في منطقة القدم حيث ان جميعهم تجمعهم المصلحة ضد تنظيم الدولة. أما الحلف الثاني فهو تنظيم الدولة وبعض الفصائل الأخرى التي لا تعلن تأييدها للتنظيم صراحة كجبهة النصرة وغيرها ممن ثبت مؤازرتهم أو تقديم الدعم للتنظيم أثناء اقتحامها المخيم.

ورفض ابو هاشم تعليل المواجهة بالبعد المناطقي بين أهالي المخيم الفلسطينيين وأهالي الحجر الأسود من النازحين حيث أكد وجود بعض الحساسيات القديمة بين المخيم والحجر الأسود، والنظام كان له الدور الأكبر في اشعال الفتنة بين المنطقتين ولكن الصراع الحالي يستهدف انهاء الأكناف حيث انها من الفصائل التي حاربت التنظيم منذ شهور واخرجت عناصره من المخيم حيث انتهت تلك المواجهة بحصار التنظيم في الحجر الأسود إضافة لوجود فلسطينيين في جبهة النصرة وتنظيم الدولة. وتحدث عن تصريحات مسؤول الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية أنور عبد الهادي وأيضا المجدلاني رئيس وفد المنظمة إلى دمشق لإنهاء مشكلة المخيم، حيث «أن هذه التصريحات كانت مستهجنة ومستنكرة لا تصب في مصلحة أبناء مخيم اليرموك وإنما في مصلحة النظام الذي يحاصر المخيم منذ عامين حيث ان سلوكهم يوحي للرأي العام بأن مشكلة المخيم بدأت عند دخول تنظيم الدولة المخيم متناسين ما فعل النظام في المخيم والدمار الذي حل به والجوع الذي قتل أهله محاولين التغطية على همجية النظام بوجود منظمات إرهابية فيه مع أن الجميع يعلم السياسة التي اتبعها النظام في استهداف جميع المخيمات الفلسطينية في سوريا منذ بداية الثورة».

وأكد أبو هاشم ان سلوكهم وتصريحاتهم لا تصب في خدمة اللاجئين الفلسطينيين وانما تعطي ورقة للنظام للاستمرار في حربه ضد المخيم. كما أنه صدر بيان عن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير كان بمثابة رد على دعواتهم لإقتحام المخيم عسكريا مع الفصائل التشبيحية فان النظام كان يريد الاستفادة من شرعية منظمة التحرير لاقتحام المخيم حيث تحدث البيان عن التحييد وعدم مشاركة المنظمة في عملية الاقتحام.

وأضاف «ان الملابسات والتناقضات واضحة في سلوك المنظمة وتنم عن ارباك من جهة وعدم الوضوح في التعامل مع الحالة الموجودة حاليا وفي جميع الأحوال الموقف الفلسطيني الرسمي للمنظمة لم يخدم الفلسطينيين بقدر ما أساء لهم».

وأوضح المتحدث ان المشاريع والمحاولات لإيجاد حل إنساني للمخيم لن تتوقف رغم صعوبتها فهناك ما يزيد عن سبعة عشر مشروع هدنة طرحت لحل الأزمة في المخيم ولكن دائما كان النظام يعرقل نجاح هذه المشاريع. فالنظام كانت له مصلحة دائما بإدخال هذه المنطقة بحالة من الاستنزاف وعندما فشل في اقتحامها عسكريا منذ عامين كان له دور في محاولة اسقاطها من الداخل من خلال الاستفادة من المواجهات بين الكتائب المعارضة في الداخل وخصوصا بعد دخول تنظيم الدولة إلى المخيم ليغطي همجيته ضد المخيم بمحاربة الإرهاب والتطرف.

أيمن أبو هاشم

وبين أبو هاشم رأيه في حل أزمة المخيم والحل على مسارين الأول أنساني بتأمين ممر إنساني للمخيم وعبر عن هذا أبناء المخيم بالعديد من المظاهرات والإعتصامات حيث أنهم طالبوا بدخول المواد الغذائية والطبية للمخيم وعودة النازحين من المخيم إليه. أما المسار الثاني فهو تحييد المخيم عن الصراع العسكري في المنطقة ولكن النظام هو صاحب القرار في هذا حيث أن الكتائب الموجودة في ببيلا ويلدا وبيت سحم على استعداد للمهادنة وجبهة النصرة نتيجة تأزم الوضع داخل المخيم قد يكون لديها قابلية لتحييد المخيم من الناحية العسكرية.

القدس العربي الاسبوعي
السنة السادسة والعشرون - العدد 8086 الأحد 26 نيسان (ابريل) 2015 - 7 رجب 1436هـ

تجدد سيناريو التهجير في الأنبار والبرازاني لا يسمح بالحشد في كردستان

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

تجددت هذا الأسبوع ظاهرة مثيرة للقلق وتدعو للتأمل في الواقع العراقي وهي نزوح أهالي الأنبار هربا من المعارك العنيفة بين القوات العراقية وعناصر تنظيم «الدولة» التي اجتاحت مناطقهم في سيناريو تكرر لأكثر من مرة في المناطق ذات الغالبية السنية حصرا. حيث أصبح عدد النازحين من مناطق غرب وشمال وشرق العراق أكثر من ثلاثة ملايين نازح حسب احصائيات رسمية عراقية وأممية.

والمؤكد أن أي محاولة لوصف معاناة النازحين لن تكون موفقة ولن تعكس حقيقة ظروف النزوح والمصاعب التي واجهتها العائلات النازحة من الأنبار والتي خرجت من ديارها بملابسها فقط بحثا عن مأوى آمن مؤقت يوفر لهم الحد الأدنى من مستلزمات العيش بكرامة وأمان. ولقد تذكرنا ونحن نتابع الأفلام وبعد إجراء اللقاءات مع العديد من النازحين، أن هؤلاء قد أصبحوا ضحية مؤامرة كبيرة تستهدف أبناء مكون معين منذ سنوات، بدءاً باتباع الحكومة السابقة سياسة الاقصاء والاذلال المتعمد واستباحة المحرمات مرورا باتاحة المجال لتواجد تنظيم «الدولة» المسخ على الأراضي العراقية في سيناريو تصر فيه اللجنة التحقيقية لأحداث الموصل على طمس الحقائق وتضليل الجمهور وعدم كشف المقصر، مرورا بتمكين سياسيين فاشلين وانتهازيين للتحكم بمصير المحافظات المنكوبة والمتاجرة بقضاياهم، وانتهاء بمعارك تخوضها الحكومة وتغطي كل تلك المناطق وبالتعاقب لطرد التنظيم دون تهيئة إجراءات لتوفير مستلزمات ايواء سكان المناطق الهاربين من جحيم المعارك. واذا كان هناك تبرير بالنسبة لأهالي نينوى وصلاح الدين وديالى بأن الأحداث كانت مفاجئة عندما سيطر عليها التنظيم ولم تتح للحكومة التحسب لنتائجها والتهيؤ لأزمة تهجير الملايين، فما هو عذر الحكومة وهي تقود معركة الأنبار بعد الإعلان رسميا عن بدءها وإرسال القوات إليها. وكان قمة العار في موقف مواجهة مئات الآلاف من النازحين الهاربين من المعارك، عندما منعت القوات الأمنية في بغداد وكربلاء وبابل النازحين من دخولها إلا بعد تقديم كفيل من سكان تلك المحافظات وتركوا عشرات الآلاف من العائلات لأيام تحت رحمة الشمس والعطش في العراء، وكأن القادمين هم أجانب وليسوا مواطنين وقعوا ضحية لأعمال عنف سببها حملة الحكومة ضد التنظيم الإرهابي. ويؤكد القانونيون ان إجراء طلب الكفيل مخالف للدستور الذي سمح «للعراقي بالعمل والتنقل والسكن في كافة أرجاء العراق» وهو إجراء يتعارض مع كل المقاييس الإنسانية للتعامل مع مأساة النازحين في أي مكان، إضافة إلى كونه رسالة تعبر عن كيفية تعامل بعض القيادات والقوى السياسية والعسكرية في العراق مع شعبها، وكان العراقيون يتابعون باستغراب تصريحات بعض السياسيين والنواب وهم يحذرون من السماح للنازحين بدخول العاصمة والمدن الأخرى لأنهم «داعشيون».

ومع استمرار المعارك في مدن العراق بين القوات الحكومية وتنظيم «الدولة» الإرهابي، ظهرت مؤشرات أخرى مثيرة للقلق سبق وحذر منها الكثيرون وهي ظاهرة تمرد الميليشيات وعناصر مندسة ضمن الحشد الشعبي على سياسة الحكومة بشكل علني، حيث رفضت تلك العناصر السماح لأعضاء مجلس محافظة بغداد الدخول إلى تكريت بحجة كونها غير آمنة، كما أعلنت البقاء في المناطق المحررة رغم قرار رئيس الحكومة حيدر العبادي بتسليم تلك المناطق إلى القوات المسلحة الحكومية ورفضت دخول نازحي الأنبار إلى المدن رغم قرار مجلس النواب بالغاء شرط الكفيل وغيرها من المواقف، بل وصل الأمر بأحد قادة الحشد ان صرح عبر التلفزيون أن «الحشد أصبح قوة فاعلة ويحسب لها ألف حساب في العراق وخارجه ويحق له إتخاذ القرارات المناسبة له دون الرجوع إلى الحكومة». يأتي ذلك وسط حملة تقودها الأحزاب والميليشيات لاقرار قانون يمنح عناصر الحشد الشعبي الحصانة القانونية من أي مسائلة إضافة إلى صلاحيات واسعة.

ويعتقد المراقبون في بغداد أن تصرفات وقرارات قيادة الحشد الشعبي في العراق أخذت تتبع سياق حزب الله في لبنان الذي جعل من نفسه بمرور الوقت «دولة داخل الدولة».

وفي اقليم كردستان، دعا رئيس الاقليم مسعود البرازاني البرلمان الكردي والأحزاب السياسية والشعب إلى مواجهة مثيري الفتنة في الاقليم والداعين إلى تقسيم إدارة الاقليم على خلفية الإنتقادات والخلافات بخصوص تمديد فترة رئاسة البرازاني. وضمن هذا السياق يشهد الاقليم تحركات لتشريع قانون لمكافحة الشغب والنشاطات المخربة. ومن جانب آخر كرر البرازاني رفضه دخول الحشد الشعبي إلى الاقليم مشيرا عند استقباله قبائل من الموصل إلى ان الاقليم لا يحتاج للحشد وانه لن يسمح بتواجد أي قوة خارج قانون الاقليم، وقال «من يريد أن ينضم للحشد فليذهب إليهم».

وتعتبر تصريحات القيادات الكردية الرافضة لوجود الحشد الشعبي ضمن الاقليم معبرة عن مخاوف من خلق المشاكل وإيجاد قوة منافسة قد تصطدم معها في محاولة الطرفين فرض سيطرتهم على بعض المناطق.

من يصنع السياسة الخارجية في تونس؟

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

نص الفصل 77 من الدستور التونسي الجديد على أن رئيس الجمهورية يتولى تمثيل الدولة ويختص بضبط السياسات العامة في مجالات الدفاع والعلاقات الخارجية والأمن القومي المتعلق بحماية الدولة والتراب الوطني من التهديدات الداخلية والخارجية وذلك بعد استشارة رئيس الحكومة. كما جاء في الفصل ذاته أن رئيس الجمهورية يتولى أيضا إعلان الحرب وإبرام السلم بعد موافقة مجلس نواب الشعب بأغلبية ثلاثة أخماس أعضائه، وإرسال قوات إلى الخارج بموافقة رئيسي مجلس نواب الشعب والحكومة، على أن ينعقد المجلس للبت في الأمر خلال أجل لا يتجاوز ستين يوما من تاريخ قرار إرسال القوات، كما يتولى أيضا المصادقة على المعاهدات والإذن بنشرها.

ولم ينظم الدستور التونسي الجديد العلاقة بين كل من رئيس الجمهورية ذي الصلاحيات الواسعة في مجال السياسة الخارجية، وبين صاحب القصبة (رئيس الحكومة) ذي الصلاحيات الواسعة في مجالات أخرى. كما لم ينظم العلاقة بين ساكن قرطاج و»سيد الدبلوماسية» وهو ما سيخلق لاحقا إشكاليات على مستوى التطبيق خاصة وأن الخضراء حديثة عهد بالديمقراطية واعتادت لعقود على الرئيس الأوحد الذي يقرر لأعوان تنفيذ برتبة وزراء.

المسألة الليبية

ولعل الموقف مما يحصل في ليبيا المجاورة كان البداية ليكتشف الرأي العام في تونس أن هناك خللا ما في السياسة الخارجية تسببت به في الأساس الضبابية التي طغت على نصوص الدستور الجديد والتي تبدو بحاجة إلى قوانين ونصوص ترتيبية لتفسيرها. نصوص توغل في التفاصيل ولا تدع شاردة ولا واردة حتى لا تترك مجالا لتأويل النصوص الدستورية بحسب المصالح والأهواء باعتبارها عامة ومقتضبة في الصياغة.

لقد التزم الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي الصمت حول كثير من التفاصيل في علاقة تونس ما بعد المرحلة الإنتقالية مع الجارة ليبيا، وكان الكل يدرك أن الخضراء تتعامل مع حكومتي طرابلس وطبرق من منطلق براغماتي يغلب المصلحة التونسية عما سواها. وعلى غرار نظيره الجزائري لم يعلن قائد السبسي يوما أن بلاده على علاقة بالحكومتين في ليبيا وأنها غير راغبة في مناصرة طرف على حساب طرف آخر، وأنه حفاظا على مصالح التونسيين المقيمين في ليبيا في شطري البلاد، وجب على تونس أن لا تكون طرفا في الصراع الليبي وأن تقف على مسافة واحدة من جميع الفرقاء الليبيين.

والحقيقة أن وزير الخارجية الطيب البكوش لم يختلف موقفه عن موقف رئيسه لكنه جاهر بذلك في وسائل الإعلام ما تسبب في أزمة دبلوماسية مع حكومة طبرق. حيث أعلن وزير الإعلام في هذه الحكومة ما مفاده أنهم وفي إطار معاملة التونسيين بالمثل، سيتواصلون، بالإضافة إلى الحكومة التونسية الشرعية، مع ما أسموه «حكومة الشعانبي» (في إشارة إلى جبال الشعانبي على الحدود الجزائرية التي يرابط فيها إرهابيون) باعتبار أن جماعة طرابلس وفجر ليبيا هم في نظر وزير إعلام طبرق جماعات إرهابية.

لذلك فقد اعتبر بعض المحللين أن مجاهرة وزير الخارجية بما تكتم عنه رئيس الجمهورية هو سبب الداء وكان من المفروض المزيد من التنسيق بين قرطاج (مقر الرئاسة) وشمال الهلتون (مقر الخارجية). فالموقف من ليبيا سليم ويتفق حوله جل الطيف السياسي التونسي، لكن ليس كل ماهو سليم وجب بالضرورة التصريح به لوسائل الإعلام لأن الدبلوماسية تقتضي التكتم في أحيان كثيرة تجنبا لأزمات تبدو البلاد في غنى عنها.

أزمة العلاقات مع سوريا

لقد تم قطع العلاقات الدبلوماسية مع سوريا من الجانب التونسي زمن حكم الترويكا (حركة النهضة وحزبي التكتل والمؤتمر برئاسة المرزوقي وبن جعفر) وتعهدت حركة نداء تونس في حملتها الإنتخابية بإرجاع العلاقات التونسية السورية إلى سالف عهدها في حملتها لانتخابات 2014 الأخيرة. وبالفعل فقد أعلن وزير الخارجية التونسي والأمين العام لحركة نداء تونس الطيب البكوش عن عودة العلاقات الدبلوماسية مع سوريا ودعا دمشق إلى إرسال سفيرها مجددا إلى تونس، وهو ما اعتبره البعض إيفاء لحركة نداء تونس بتعهداتها إزاء ناخبيها. لكن رئاسة الجمهورية فاجأت الجميع بعد أن أعلن قائد السبسي أن تونس ملتزمة بالإجماع العربي في هذا المجال وأن العلاقات مع سوريا لم تعد إلى سالف عهدها. وبالتالي فإن تصريحات وزير الخارجية تصبح بلا قيمة باعتبار أن رئيس الجمهورية هو الذي يسطر السياسات العامة فيما يتعلق بالدبلوماسية التونسية.

لقد خلفت هذه التصريحات والتصريحات المضادة حالة من الإرباك وتعرضت لانتقادات شديدة في وسائل الإعلام التونسية وفي مختلف المنابر المتاحة. ورغم التبريرات التي قدمها بعض الساسة والناطقين الرسميين، فإن هناك قناعة راسخة لدى شرائح واسعة بأن السياسة الخارجية التونسية ليست على ما يرام، وأن هناك غيابا للتنسيق بين رئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية يضر بمصداقية تونس مع الأطراف الخارجية سواء أكانت دولا أو منظمات أو غيرها ووجبت المسارعة بضبط الأوضاع في أسرع الآجال خاصة وأن طيفا هاما من التونسيين انتخب حركة نداء تونس والباجي قائد السبسي من أجل كلمة سحرية رددها هذا الأخير كثيرا في حملته وهي «هيبة الدولة» التي شعر هؤلاء أنهم افتقدوها خلال فترة حكم الترويكا.

وتبدو تونس في سياستها الخارجية بين خيارين أحلاهما مر، فإما الخروج عن الإجماع العربي وإعادة العلاقات مع سوريا وخسارة الدعم الذي تتلقاه من بعض البلدان الخليجية النفطية على وجه الخصوص، وإما إرضاء هذه البلدان وقطع جسور التواصل مع دمشق مع ما يعنيه ذلك من ضرب مصالح الجالية التونسية في سوريا عرض الحائط ومن عدم قدرة على تتبع تحركات التكفيريين التونسيين الذين يقاتلون مع تنظيم الدولة وغيرها في كل من العراق وسوريا والذين يبدو وأن لدى الإستخبارات السورية بيانات تتعلق بهم وبتحركاتهم تسيل لعاب الجانب التونسي الذي يخشى عودة هؤلاء وما قد يرتكبونه من فضاعات كما حصل مع ما يسمى «العرب الأفغان» في الجزائر خلال العشرية السوداء.

تحوير وزاري

ونتيجة لهذا الإرتباك فيما يتعلق بالسياسة الخارجية تحدثت بعض المواقع الإخبارية التونسية وكذا مواقع التواصل الإجتماعي عن إمكانية إجراء تحوير وزاري في حكومة الحبيب الصيد قد يشمل وزارة الخارجية. لكن لا شيء رسميا إلى حد الآن في هذا الموضوع وينفي أغلب من تم الإتصال بهم سواء في الحكومة أو في الحزب الأغلبي (حركة نداء تونس) أي علم لهم بهذا التحوير الوزاري.

والحقيقة إن وسائل الإعلام الموالية للترويكا الحاكمة السابقة وصفحات التواصل الإجتماعي التابعة لها شنت خلال الفترة الماضية حملات على السيد الطيب البكوش وزير الخارجية إثر تصريحاته المنتقدة لتركيا باعتبار أنها دولة عبور للتكفيريين التونسيين الذين يقاتلون في سوريا والعراق. وتعرضت هذه الحملات إلى الخلفية الإيديولوجية لوزير الخارجية باعتباره محسوبا على اليسار الشيوعي التونسي الذي يعاديه أنصار هذا الفريق الذي يرى في تركيا وأردوغان النموذج الذي يجب أن يقتدى.

وفي انتظار أن تتوضح الأمور أكثر خلال الفترة المقبلة، لا يبدو أن حكومة الحبيب الصيد، التي لم تنه بعد فترة المئة يوم على بداية عملها، تحظى برضا غالبية التونسيين وخصوصا فيما يتعلق بأدائها على مستوى السياسة الخارجية التي يعتبرها البعض خط الدفاع الأول في أي استراتيجية دفاعية، حتى أن سؤالا بات يؤرق المضاجع وهو ذلك المتعلق بالجهة التي تصنع السياسة الخارجية في تونس، بعد هذا التضارب في المواقف بين الرئاسة ووزارة الخارجية.

القدس العربي الاسبوعي

Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

لأول مرة: عدد الإناث المنضمات إلى تنظيم «الدولة» يزيد عن الذكور في فرنسا

باريس – «القدس العربي»:

محمد واموسي

كشفت إحصائية صادرة عن وزارة الداخلية الفرنسية أن عدد الإناث اللواتي توجهن للمشاركة في أعمال القتال الدائرة في كل من سوريا والعراق إلى جانب جماعات متشددة والانضمام إلى الجهاديين تجاوز عدد الذكور لأول مرة منذ انفجار الصراع الدامي في سوريا.

وجاء في الإحصائية التي حصلت عليها «القدس العربي» أن الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الفرنسية سجلت 3670 حالة ذهاب جديدة إلى سوريا من فرنسا في عام واحد فقط أغلبهم من الإناث، بدءا من الثلاثين من شهر نيسان/أبريل 2014 وحتى التاريخ نفسه من العام 2015 الحالي.

وبحسب الإحصائية فإن الأجهزة الأمنية الفرنسية لم تنجح حتى الآن في التعرف على مكان وجود جميع المقاتلين ذكورا وإناثا ممن يقاتلون في صفوف الجماعات المتشددة في سوريا والعراق خاصة ضمن تنظيم الدولة، بينما أكدت أنها تضع عددا مهما منهم تحت أعينها.

وتتحدث مصالح وزارة الداخلية الفرنسية عن وجود عدد مهم من هؤلاء المقاتلين نساء وذكورا بينهم قاصرون تحت مراقبة وأعين الأجهزة الأمنية خوفا من عودتهم لفرنسا وتسللهم إليها بعد تلقيهم تدريبات على استخدام الأسلحة ومشاركتهم في أعمال قتال على الأرض.

وفي شهر اذار/مارس الماضي وحده تلقت مصالح وزارة الداخلية الفرنسية المختصة بمكافحة الإرهاب نحو 136 بلاغا من عائلات يخص نساء سافرن إلى سوريا أو العراق للإنضمام إلى المقاتلين في صفوف التنظيمات المتطرفة، بينما لم يتجاوز عدد البلاغات المقدمة بخصوص المقاتلين الذكور الـ 125 بلاغا، ما يؤكد بحسب الإحصائية الحكومية الفرنسية تجاوز عدد الإناث اللواتي يقاتلن في صفوف الجماعات المتطرفة للرقم المسجل للذكور.

وكانت الحكومة الفرنسية قد وضعت رقما هاتفيا مجانيا أطلقت عليه «الرقم الأخضر» رهن إشارة العائلات للتبليغ عن أفراد منهم سافروا إلى الخارج بهدف المشاركة في أعمال قتالية أو فقد الاتصال بهم.

وهذه هي المرة الأولى التي يتجاوز فيها رقم المتطوعات في صفوف التنظيمات المتطرفة في سوريا والعراق اللواتي قدمنا من فرنسا عدد المنضمين إلى ذات التنظيمات من الذكور، حيث كانت الأجهزة الاستخباراتية الفرنسية قبل شهر اذار/مارس الماضي تتحدث عن نسبة 43 في المئة من الإناث فقط مقابل 57 في المئة من الإناث.

ويرجع المختصون الأمنيون الفرنسيون ارتفاع عدد النساء اللواتي انضممن إلى التنظيمات المتشددة وفي مقدمتها ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية إلى ما يسمونه زيادة الدعاية التي تستهدف النساء عبر مواقع التواصل الإجتماعي.

وفي تصريح لـ «القدس العربي» قال العميد بيار نكان الأمين العام للجنة الوزارية للوقاية من الجريمة أن «هناك دورا كبيرا للمرأة في تجنيد واستقطاب المقاتلات، وهذه ظاهرة جديدة أصبحنا نواجهها على نطاق واسع دون أن نتوفر على تفاصيل في هذا الإتجاه. لا بد من القول أن جهود الدعاية لإقناع النساء الشابات للانضمام إلى الجهاديين قد تضاعفت وارتفعت بشكل مثير للإنتباه».

بدوره قال آلان كووي الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات الفرنسية أن «رتفاع الظاهرة يعود لسببين رئيسين، الأول أن الجماعات المتطرفة باتت توظف نساء دورهن فقط استقطاب شابات ويافعات من أجل الإلتحاق بالمجاهدين في سوريا والعراق، والسبب الثاني يعود إلى عدم إهتمام الأسر والعائلات بالبنات فيما يتعلق بمراقبة تحركات أبنائهم، حيث يقتصر تركيزهم على إقتفاء خطى الذكور دون الإناث وهو ما يترك للبنات مرونة وحرية شبه مطلقة في الحركة وهذا للأسف ما يسهل أعمال الاستقطاب التي تطلقها نساء التنظيمات المتطرفة كما هو الأمر بالنسبة لتنظيم الدولة».

أما نادية أشهبار الباحثة في مجال الجماعات المتشددة فتقول معلقة على الظاهرة أن «أغلب الفتيات اللواتي اخترن مغادرة فرنسا بغرض الإنضمام إلى الجهاديين في سوريا والعراق فعلن ذلك فقط من باب البحث عن زوج مثالي متدين بعد أن تعرضن لنكسات عاطفية سابقا من رجال آخرين» مؤكدة أن «الزواج من «جهاديين» أصبح بالنسبة لهن نوعا من التحرر وإثبات الذات من خلال الإقتران برجل يعتقدن أن الشروط الاجتماعية والدينية متوفرة فيه وهذا اعتقاد خاطئ كما أن جل الفتيات عشن من قبل تجارب خيبت ظنهن ما جعلهن يفقدن الأمل في الرجال العاديين فأصبحن ينظرن لما يسمونهن بالمجاهدين كرجال مثاليين لهن و لمستقبلهن».

وأضافت «هذا الأمر يكشف مسألة خطيرة جدا تتعلق أساسا بالدور الذي باتت تلعبه النساء في صفوف التنظيم وغيره من التنظيمات المتطرفة في استقطاب المرأة عموما، هذا الدور بات محوريا في تقوية التنظيم خصوصا وأن المرأة باتت عنصرا استراتيجيا ومحوريا في استقطاب أعضاء التنظيم من الإناث والذكور معا عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كما أن الفتيات المرشحات للإلتحاق بالمقاتلين لا يتم اختيارهن بمحض الصدفة بل عبر معايير خاصة و صارمة يتم من خلالها التركيز على النساء والفتيات الهشات فكريا والضعيفات فيما يتعلق بالثقافة الدينية وهو ما يسهل عمليات غسل الدماغ التي يتعرضن لها عبر الأنترنت ويعجل بمغادرتهن فرنسا نحو سوريا بالتحديد».

ومواقع التواصل الاجتماعي ساحة «جهاد» المناصرات، تكثر بينهن الأسماء، وخصوصًا ممن آثرن هجرة بيوتهن وعوائلهن، والإنضمام إلى التنظيم، معتنقات الفكر المتطرف. وما أن تتبوّأ أي منهن منصبها، وقبل ذلك أيضًا، حتى تغيّر اسمها، وتتكنّى بكنية «جهادية» ذات مغزى، ويغيّرن صورهن على «فيسبوك» و«تويتر» من صور أنثوية ناعمة، إلى سوداء يقطر منها دم الرؤوس المقطوعة.

وكانت الأمم المتحدة قد أثارت من خلال تقرير أصدرته للتنديد بإعدام تنظيم الدولة العديدَ من المدنيين في العراق، وبخاصة النساء، تساؤلات حول دوافع التنظيمات المتطرفة في مقدمتها «تنظيم الدولة» و«جبهة النصرة» في سوريا، للمعاملة القاسية تجاه النساء، والتي تتخذ أبعادًا ومسارات ونتائج متشابهة بين التنظيمين الإرهابيين، وإن اختلفت في التفاصيل.

ويومًا تلو آخر، تتوإلى الأخبار التي تنقل أبشع الجرائم التي ترتكبها تنظيمات متطرفة باسم الدين في حق الآلاف من المدنيين في العراق وسوريا. حيث تأتي النساء في مقدمة الضحايا من خلال تعرضهن لجرائم إغتصاب وخطف وقتل وجلد ورجم بحجة تطبيق الدين.

ويرجع عدد من الخبراء سبب انضمام النساء لصفوف التنظيم إلى إعتقادهن بأن انضمامهن سيجعلهن محصنات ضد الاعتداءات والعنف، وأنه سيعطيهنّ موقع قوة على سائر النساء، وسيعزز ثقتهن بأنفسهن، وبأنهن مساويات للرجل.

غير أن ممارسات ما سمي بـ«جهاد النكاح» قد تراجعت في الفترة الأخيرة وفق المختصين، بعد أن هربت معظم النساء اللاتي كانت العناصر المتشددة في سوريا والعراق، تمارس عليهن الجنس تطبيقا لفتاوى صادرة عن أمراء هذه التنظيمات أو نتيجة مقتل العشرات من النساء في الحرب الدائرة.

ويؤكد المختصون أن النساء اللواتي يسافرن إلى سوريا والعراق بالتحديد بهدف الإنضمام إلى المقاتلين المتشددين هناك يفعلن ذلك فقط بهدف البحث عن حياة بديلة وممارسة الطقوس الدينية بكل حرية إضافة إلى الزواج من جهاديين وإنجاب أطفال منهم، والإنضمام لمجتمعهم، كما أنّ البعض منهن يحبذن حمل السلاح والمشاركة في أعمال الحرب والقتال بعد تلقي التدريبات اللازمة.

وتتصدر النساء القادمات من فرنسا لائحة اللواتي يغادرن أوروبا للإلتحاق بالمقاتلين المتشددين في كل من سوريا والعراق، حيث تحوز القارة العجوز وحدها أكثر من 15 في المئة من نساء العالم اللواتي قررن مغادرة بلادهن بهدف الإنضمام إلى الجماعات المتطرفة.

وتشكل الإناث المجندات لدى الجماعات الجهادية القادمات من فرنسا نحو 25 في المئة من المجندات، بينما لاتزال نحو 60 فتاة فرنسية تفكر بالالتحاق والانضمام، بهدف الزواج من شبان مسلمين والإنجاب منهم وخدمة شؤونهم والمشاركة في القتال إلى جانبهم.

ويرى لويس كابريلولي رئيس وكالة الأمن الفرنسية أنّ الغالبية العظمى من المجندات، يتركن بيوتهن للزواج من الجهاديين، وتسيطر عليهن فكرة دعم «إخوانهن الجهاديين» و«إنجاب أطفالهم ليستمروا في نشر الإسلام» مشيرًا إلى أنه في حال «مات الزوج، فإنهن يعاملن معاملة أرملة الشهيد».

وتتحدث الأجهزة الفرنسية بالتحديد عن أختين قاصرتين غادرتا منزلهما في مرسيليا، وسافرتا لتلحقا بصديقتهما التي سافرت من عام إلى سوريا من دون علم والديهما، وقد هربت الفتاتان في منتصف الليل بعد تبادل رسائل مع صديقتهما عبر موقع فيسبوك، وتبعًا لأرشيف رسائلهما عبر موقع التواصل الاجتماعي الأزرق فقد تزوجت الفتاتان من مقاتلين في تنظيم الدولة الإسلامية، حيث نشرت واحدة منهما صورة لها على حسابها وهي مرتدية البرقع، وتحمل رشاشا أوتوماتيكيا وخلفها راية تنظيم الدولة الإسلامية.

وبحسب مختصين، فإن أعمار الفتيات اللواتي يلتحقن بالجهاديين في سوريا تتراوح بين 16 و24 عامًا، كما أنّ العديد منهن خريجات جدد تركن ورائهن عائلات وفرت لهن كافة سبل الرعاية والراحة واخترن حياة القتال في ساحة حروب في كل من سوريا والعراق.

حدث الأسبوع

مقبرة البحر المتوسط...

مهاجرون غارقون في بحر المأساة... وساسة غارقون في وحل الخلافات

باريس - روما- «القدس العربي»:
محمد واموسي

حين اجتمع قادة الاتحاد الأوروبي في قمة طارئة في بروكسل لمناقشة الإجراءات الواجب اتخاذها لمكافحة الهجرة غير النظامية، بعد هلاك مئات الآلاف من المهاجرين غير الشرعيين في سواحل المتوسط، فإن الأوروبيين أرادوا إظهار منهجيتهم الأكثر صرامة وراديكالية للحد من الهجرة السرية، بينما تتوقع المنظمة البحرية الدولية التابعة للأمم المتحدة أن يحاول نصف مليون مهاجر غير شرعي عبور المتوسط نحو القارة العجوز العام الجاري.

ومن القرارات المثيرة للجدل التي اتخذها قادة أوروبا العمل على منع المهاجرين من الإنطلاق، خاصة من المرافئ الليبية، وذلك باستخدام القوة العسكرية لتدمير القوارب المستخدمة في تهريب المهاجرين غير النظاميين الموجودة بالقرب من السواحل، في ظل تحذيرات من المختصين من الصعوبات التي قد تعترض تطبيق القرار بالنظر لطبيعته العسكرية واستهدافه لدول تتمتع بسيادة وفق القانون الدولي ما يفرض على الأوروبيين البحث عن حلول عاجلة وحاسمة لهذه المشكلة.

وجد قادة أوروبا أنفسهم تحت ضغط كبير من الرأي العام الأوروبي، يعمل اليمين المتطرف في جل البلدان الأوروبية على استغلاله بشكل جيد من خلال تخويف المواطنين من أن قارتهم تحولت إلى معقل للمهاجرين غير الشرعيين وللأجانب الآتين إليها من بلدان فقيرة خصيصا لـ«قرصنة» وظائفهم ومساكنهم ووسائل عيشهم بهدف تحقيق فوائد ومكتسبات انتخابية بحتة.

وفي هذا الإطار يقول الكاتب الصحافي حسن الحسيني المتخصص في الشؤون الأوروبية لـ«القدس العربي» إن «النقاط العشر التي تبناها قادة أوروبا كانت أصلا موجودة في قمة سابقة للاتحاد عقدت قبل 28 شهرا، وهي حرفيا ذات التدابير التي نوقشت في بروكسل الخميس مع فارق وحيد يتمثل في زيادة الإمكانيات الممنوحة للقوة الأوروبية لمراقبة الحدود ومضاعفتها، ما يعني أن القادة الأوروبيين هدفهم الرئيسي هو طمأنة الرأي العام الأوروبي ومحاولة الظهور بمظهر المتصدي لهذه المأساة الإنسانية».

وبخصوص اقتراح مفوضة الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي تشكيل قوة أمنية دفاعية تساعد في محاربة الهجرة غير الشرعية رأى الحسيني أن «هذه الفكرة تعترضها عقبات كبيرة حيث أنها تتطلب أولا موافقة مجلس الأمن الدولي، وبعدها موافقة مماثلة من الدول المعنية» متسائلا في الوقت ذاته «في الحالة الليبية مع من ستتفاوض الدول الأوروبية؟ هناك حكومتان وهناك برلمانان وحرب ضروس تدور رحاها على الأرض، إذن هناك عقبات كبيرة تحول دون تطبيق هذه الخطة».

محاربة القرصنة

وشبه حسن الحسيني الخطة الأمنية الجديدة التي تسعى أوروبا لتطبيقها بخطة محاربة القرصنة نفسها التي كانت أوروبا قد تبنتها عام 2008 ولم تدخل حيز التنفيذ إلا في العام 2011، ولم تظهر أولى ثمارها إلا في العام الموالي أي 2012 من خلال التمكن من الوصول إلى سفن القراصنة واستهدافها ومصادرتها داخل المرافئ وهذا طبعا في ظل وجود موافقة من الحكومة الصومالية».

وأشار إلى مشكلة أخرى قانونية تعترض تنفيذ الخطة الأمنية الأوروبية تتعلق هذه المرة بالدول الأوروبية نفسها، وقال «حين كانت إيطاليا تسير بنفسها ولوحدها دوريات لحماية المهاجرين ومراقبة الحدود كانت البحرية الإيطالية تذهب حتى حدود 130 ميلا بحريا، أي تقريبا إلى حدود المياه الإقليمية الليبية، ولكن حين جاءت القوة الأوروبية لمراقبة حدود أوروبا وحلت محل نظيرتها الإيطالية ارتفع عدد المهاجرين وزاد بشكل كبير عدد القتلى غرقا في عرض البحر منهم، دون أن ننسى أن الإمكانيات المرصودة للقوتين سواء في إيطاليا أو في اليونان تظل ضئيلة».

وأضاف «إيطاليا هنا تدافع عن مياهها الإقليمية ولديها كل الحق في تسيير دوريات، لكن في الحالة الإسكندنافية في أوروبا الشمالية سواء تعلق الأمر بألمانيا أو السويد أو النرويج والدانمارك فإن هذه الدول لا يحق لها المساهمة في توجيه ضربات عسكرية لمراكب عصابات الهجرة السرية، ما يعني أنه يجب على الأوروبيين أولا معالجة هذه المشاكل القانونية».

ووضع الاتحاد الأوروبي خطة لمضاعفة حجم مهمة البحث التي يقوم بها في البحر المتوسط إلى ثلاثة أمثالها دون توضيح إجراءاته بخصوص خطط إنقاذ حياة المهاجرين وحصول الفارين من الحرب على فرصة لمنحهم اللجوء الإنساني أو السياسي.

ورأت المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في تطمينات الاتحاد زيادة في قدرة وموارد ونطاق العملية البحرية الإيطالية «ماري نوستروم» التي انتهت قبل ستة أشهر، معتبرة ذلك مجرد «خطوة أولى مهمة باتجاه عمل أوروبي موحد وهو النهج الوحيد الذي يمكن أن يجدي نفعا لحل مشكلة ذات طبيعة كبيرة وتشمل دولا كثيرة بهذا الشكل».

ووافق زعماء الاتحاد الأوروبي خلال قمتهم الطارئة التي عقدوها الخميس في بروكسل على إعادة تمويل مهمات البحث البحري إلى ما كان عليه، بعد أربعة أيام من غرق أكثر من 900 شخص أثناء محاولتهم الوصول إلى أوروبا بحرا قادمين من ليبيا، نصفهم كانوا فارين من الحرب أو الاضطهاد في أفريقيا والشرق الأوسط ويستحقون الاستفادة من صفة «لاجئ» من وجهة نظر المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

صدمة الأرقام

وتباينت مواقف قادة الاتحاد الأوروبي بخصوص مسألة التراجع عن قرار سابق كان قد اتخذ من قبل بلدان أوروبا بهدف تقليص عمليات الانقاذ في البحر المتوسط بسبب تكاليفها المالية المرتفعة وتبعاتها، خاصة بعد أن صدم العالم بالأرقام القياسية لمن يغرقون في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي أثناء محاولتهم الهرب من الحرب والفقر في الشرق الأوسط وأفريقيا.

ولم يسفر الاجتماع الأوروبي عن أكثر من طرح اختيارات تتضمن مهاجمة المهربين وإقامة مخيمات للمهاجرين وهي خيارات تنقسم بشأنها دول الاتحاد البالغ عددها 28 رغم ضغط الرأي العام الأوروبي ودخول اليمين المتطرف في البلدان الأوروبية على خط الأزمة بهدف استثمار المأساة الإنسانية في أجندته السياسية والإنتخابية.

وبحسب المنظمة الأممية فإنه «في ضوء خبرة المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فإننا نعلم أنه بدون قنوات واقعية وبديلة يصل من خلالها الناس إلى بر الأمان فمن غير المرجح أن تكون الزيادة اللازمة بشدة في الجهود الدولية لمكافحة المهربين فعالة» مثنية في الوقت ذاته «على ما خلص إليه الاتحاد الأوروبي وهو أن إنقاذ الناس يجب أن يكون أولوية».

وفيما أعلن الاتحاد الأوروبي أن طاقات بلدانه الاستيعابية تسمح باستقبال نحو عشرة آلاف مهاجر غير شرعي سنويا، تتوقع وزارة الداخلية

القدس الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

الإيطالية وصول نحو خمسة آلاف منهم أسبوعيا حتى شهر ايلول/سبتمبر المقبل إلى سواحلها ما يعني وصول نحو مئتي ألف منهم إلى ايطاليا وحدها خلال العام الجاري وهو رقم أكبر بكثير من طاقة الاتحاد الأوروبي المعلنة لمساعدة اللاجئين القادمين سرا عبر البحر واستقبالهم وتقديم ما يلزم لهم إنسانيا وقانونيا واجتماعيا.

وانتقدت الأمم المتحدة رد الفعل الأوروبي حتى الآن ودعت الاتحاد لبذل المزيد من الجهود قائلة «ينبغي أن يتجاوز رد فعل الاتحاد النهج الحالي الذي يقوم على الحد الأدنى.. والذي يركز بشكل أساسي على الحد من وصول المهاجرين واللاجئين إلى شواطئه».

وحتى أثناء اجتماع الزعماء الاوروبيين انتشل خفر السواحل الإيطالي 84 مهاجرا غير شرعي جميعهم فيما يبدو من منطقة أفريقيا جنوب الصحراء من زورق مطاطي يوشك على الغرق على بعد نحو 56 كيلومترا قبالة ساحل ليبيا بعد أن تلقى إشارة استغاثة.

13 ألف قاصر بلا مرافقين

وتتحمل إيطاليا حاليا عبء استقبال نحو 81 ألف مهاجر غير شرعي، بينهم 13 ألف قاصر بدون مرافقين لا تزال السلطات الإيطالية حتى الآن عاجزة عن توزيعهم على مختلف المناطق.

ومعلوم أن إيطاليا كانت قد أوقفت العام الماضي مهمة انقاذ بحري أنقذت أرواح أكثر من مئة ألف مهاجر بحجة أن الدول الأخرى في الاتحاد الاوروبي رفضت تمويلها، وحلت مكان المهمة بعثة أوروبية أصغر ركزت على أعمال الدورية على حدود دول الاتحاد بعد أن قالت دول ان انقاذ المهاجرين يشجع المزيد على القيام بالرحلة.

وفي تراجع مثير للجدل التزم رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون الذي يخوض انتخابات ضد مناهضين للهجرة بتخصيص حاملة طائرات هليكوبتر تتبع البحرية البريطانية وسفينتين لعملية سبق أن رفض دعمها سابقا خوفا من أن تغري مزيدا من الناس بمحاولة عبور البحر، لكنه شدد على أن من يتم انتشالهم لن يمنحوا اللجوء بشكل تلقائي في بريطانيا وسيتم على الأغلب تسليمهم لإيطاليا التي قال رئيس وزرائها ماتيو رينتسي إنه متفائل بأن حلفاءه الأوروبيين لن يتركوا روما تعاني وحدها.

ويصف المختصون شهر نيسان/أبريل الجاري بالشهر الأكثر دموية على الإطلاق في مجال الهجرة السرية، حينما لقي أكثر من 1300 مهاجر غير شرعي حتفه غرقاً في عرض البحر الأبيض المتوسّط، وبعدما سجّلت أوروبا الأسبوع الماضي أسوأ حادثة غرق راح ضحيتها نحو 800 شخص بعد غرق مركب صيد قبالة سواحل ليبيا، ما رفع عدد قتلى جحيم المتوسط إلى أكثر من 1750 منذ بداية العام 2015، وهو رقم أكبر 30 مرة من الرقم المسجل العام الماضي.

وتقدر منظمة الهجرة الدولية ومقرها جنيف حصيلة قتلى العام 2015 غرقا حتى الآن بأنها أكثر 30 مرة ممّا كانت عليه في العام الماضي في الفترة نفسها حيث قُتل آنذاك 56 شخصاً فقط في المتوسط، معبرة عن خشيتها أن يتمّ تجاوز حصيلة قتلى 2014 الإجمالية في المتوسط البالغة 3279 مهاجراً «في غضون أسابيع هذا العام، أو تفوق الحصيلة 30 ألف قتيل مع نهايته استناداً إلى الحصيلة المسجلة حاليا والمرشحة للإرتفاع على نطاق واسع».

وحددت المفوضية العليا للأمم المتحدة للاجئين لاحقا الحصيلة النهائية لحادث الأحد الماضي «الأكثر دموية الذي سُجّل في المتوسط على الإطلاق» بعد أن لامس الرقم 800 قتيل، في ظل توقعات أن يرتفع الرقم إلى أكثر من عشرة آلاف قتيل قبل نهاية العام.

وبحسب إفادات الناجين، فإن مركب الصيد الذي كان يقل المهاجرين الحالمين بالوصول إلى «الفردوس» الأوروبي غرق بسبب فقدان التوازن نتيجة تحرّك جموع المهاجرين الذين كانوا على متنه لدى اقتراب سفينة شحن برتغالية أتت لنجدته.

ووصف ناجون من الحادث الأرقام المعلنة للغرقى بغير الدقيق، مبررين ذلك بالقول أن السلطات تعتمد في عملية العد فقط على الجثث التي تطفوا على السطح أو يلفظها البحر، في حين تؤكد شهادات الناجين أن أعداد الغرقى أكبر بكثير مما تعلنه السلطات.

ونجا 28 شخصا فقط من الكارثة التي يعتقد أنها أسفرت عن أكبر خسارة في الأرواح في البحر المتوسط منذ عقود وسلطت الضوء على حجم أزمة المهاجرين التي تواجهها أوروبا.

وخلصت مقابلات مع الناجين إلى أن من المحتمل أن يكون هناك أكثر من 750 شخصا على متن قارب الصيد البالغ طوله 20 مترا، حيث لم يتم انتشال سوى 24 جثة فقط.

وحسب إحصائيات رسمية فقد غرق ما لا يقل عن 1500 مهاجر غير شرعي وهم يحاولون عبور البحر الأبيض المتوسط حتى الآن هذا العام، بينهم عدد كبير من الأطفال، مقارنة بـ100 فقط غرقوا قبل ايار/مايو من العام الماضي، وهو مؤشر سيئ إلى أن عدد غرقى عام 2015 في طريقه لتجاوز عدد الذين توفوا في 2014 والذي بلغ 3200 شخص، وفقا للمنظمة الدولية للهجرة.

وفي خطوة تهدف إلى جدية الإجراءات العقابية المتخذة من قبل أوروبا لمحاربة شبكات تهريب البشر، سارعت إيطاليا إلى تقديم تونسي تقول إنه كان يقود سفينة صيد محملة بالمهاجرين قبل غرقها قبالة سواحل ليبيا ما أسفر عن غرق أكثر من 800 شخص أمام قاض إيطالي يوم الجمعة بعد أن طلب المدعون توجيه اتهامات له بالقتل وتهريب البشر.

اعتقال قبطان السفينة

ونفى محمد علي مالك الذي يبلغ من العمر نحو 27 عاما أن يكون المسؤول عن سفينة الصيد التي انقلبت منتصف الليل، وعلى متنها مئات المهاجرين من أفريقيا وبنغلادش كانوا متكدسين في طوابقها السفلية.

ويستشهد ممثلو الادعاء بأقوال ناجين أكدوا أن التونسي المعتقل هو قبطان السفينة لكن محاميه ماسيمو فيرانتي نفى ذلك معلنا أن موكله سيبلغ القضاة بأنه كان مجرد راكب فيها كما باقي الركاب.

وفيما بدأت الجلسة الإجرائية في محكمة في مدينة كاتانيا في صقلية حيث يرجح أن يلتقي محمد علي مالك وجها لوجه مع عدد من الناجين الذين سيدلون بشهاداتهم، لم يبد هذا الأخير أي مشاعر تأثر أو ندم على ما جرى وفق ملاحظات الشرطة.

وطلب المدعون أن توجه إلى محمد علي مالك تهم بالخطف بالإضافة إلى القتل المتعدد والتسبب في تدمير سفينة وتسهيل الهجرة السرية رغم أن الجلسة الإجرائية لا تزال تمهيدية الهدف منها فقط السماح للقضاة بإرساء الحقائق الأساسية للقضية قبل اتخاذ قرار بشأن ما إذا كان ينبغي توجيه اتهامات للمتهم أم إطلاق سراحه.

ولم تقتصر المحاكمة السريعة على القبطان التونسي المزعوم بل تعدتها إلى مساعد مفترض له من جنسية سورية يبلغ من العمر 25 عاما و يدعى محمود بخيت، حيث يعتقد المدعون أنه أحد أفراد الطاقم المسؤول عن المركب عندما اصطدم بسفينة تجارية جاءت لتقديم المساعدة وانقلب في البحر، غير أن هذا الأخير ينفي ذلك بشدة.

ومع وصول المزيد من المهاجرين خلال الأيام القليلة الماضية إلى موانئ إيطالية على متن سفن عسكرية قالت الشرطة في مدينة سرقوسة بصقلية إن ثمانية مصريين اعتقلوا للاشتباه بأنهم من مهربي البشر، مؤكدة أن الثمانية كانوا أفراد طاقم قارب صيد مسجل في مصر وتم إيقافه وعلى متنه قرابة 450 مهاجرا.

ووصلت سفينة تابعة للبحرية الإيطالية صباح يوم الخميس إلى ميناء قطانية في صقلية وتحمل 220 مهاجرا تم إنقاذهم وبينهم أربع نساء حوامل.

ورغم مصادقة أوروبا على خطة تتضمن 13 مقترحا للتعامل مع الضغط الناجم عن محاولة مئات الآلاف الوصول إلى الفردوس الأوروبي الذي يتصاعد على أراضيه نجم الأحزاب السياسية المعادية للمهاجرين، فإن المشكلات العملية والقانونية والسياسية الناجمة عن القيام بعمل عسكري في ليبيا أو حتى إقامة «مراكز استقبال» في الخارج أو حتى إعادة توزيع اللاجئين في دول الاتحاد الأوروبي مازالت بعيدة عن الحل وغير قابلة للتطبيق بسبب تلكؤ كل دولة أوروبية على حدة ورمي الكرة في ملعب الدولة الأخرى.

قوارب الموت وصدام الحضارات

صبحي حديدي

أيسر المقاربات، ولكن أشدّها قصوراً، وأكثرها أذىً على المدى القريب والبعيد معاً؛ هي تلك التي ترى أنّ الحلّ الأفضل لمواجهة «أزمة الهجرة الأوروبية»، هو وضع المزيد من العراقيل أمام تدفق المهاجرين، واتخاذ تدابير ردع أكثر صرامة، وتشديد العقوبات ضدّ المهرّبين، وصياغة سياسة أمنية مشتركة في مراقبة البحار...

والحال أنّ أوجه القصور تبدأ من تفضيل هذه التسمية، «أزمة الهجرة الأوروبية»، تلطيفاً للاسم الحقيقي الذي يصف الواقع على نحو أصدق: بشر من بقاع مختلفة في الأرض، نساءً وأطفالاً ورجالاً، شيباً وشباباً، يفرّون من جحيم العنف، حيث أنظمة الاستبداد والفساد والفاشية، لكي يقعوا فريسة هيّنة في يد شبكات التهريب وعماء البحار، حيث القارب بمثابة قشة يتمسك بها الغريق، الذي لا خوف تبقى عنده من البلل!

يصغي المرء إلى كبار الساسة من قادة الديمقراطيات الغربية، الذين اجتمعوا في بروكسل لتدارس «أزمة الهجرة الأوروبية»؛ فيعثر على اقتراح عبقري أوّل، من رئيس الوزراء الإيطالي، يقضي بتدمير القوارب التي يستخدمها المهربون (الأمر الذي سوف يعني، عملياً، استبدالها بقوارب أدنى أماناً وأشدّ خطراً!)؛ أو اقتراح ثان، لا يقلّ عبقرية، يرى تولية ملفّ الردع والرقابة إلى «أنظمة صديقة» في المنطقة (هي ليست سوى أنظمة الاستبداد والفساد والفاشية، ذاتها، التي يفرّ منها اليائسون...(!

لا أحد اكترث بالذهاب إلى جذور الظاهرة التي تدفع البشر إلى اختيار مغامرة مثل هذه، باهظة الثمن وكارثية العواقب، تبدأ من تأمين كلفة التهريب (التي لا تقلّ عن عشرة آلاف يورو)، وتمرّ برحلة المخاطر نحو المجهول، حيث لا ضمانة البتة أنّ الرحلة لن تنتهي في قيعان البحار. لا أحد تساءل عن سياسات التهجير القسري، وليس الهجرة الاضطرارية وحدها، على سبيل المثال؛ حيث تلجأ الأنظمة إلى تفريغ مناطق معينة من سكانها، لأسباب شتى، عسكرية أو أمنية أو طائفية، فتنهب الممتلكات وتحرق البيوت وتنتهك الأعراض وتجبر البشر على مغادرة المكان. ولا أحد استذكر مصطلح «التطهير العرقي»، ومشتقاته العديدة، التي تشمل أيضاً سياسات «التنظيف» المناطقي والإثني والمذهبي؛ سواء أتى من أنظمة العنف، أو من أمراء الحرب.

ورغم أنّ بلداناً مثل تركيا ولبنان والأردن والسودان وجنوب أفريقيا وليبيا، تتحمل من ضغوطات الهجرة أضعاف ما تتحمله الدول الاوروبية مجتمعة؛ فإنّ هاجس المقاربة الأوروبية المبسطة، والتبسيطية في الواقع، يحصر الأزمة في القارّة العجوز أساساً، من ناحية أولى؛ كما يفرغها من مضمونها الإنساني، الذي يخصّ حقوق الإنسان الأولى في الحياة والنجاة، لتصبح مسألة أمنية تخصّ الإرهاب والجهاديين، من ناحية ثانية. وأمّا الأدهى في الموضوع، ولعله الأخطر في العمق والنتائج البعيدة، فإنه تحويل الهجرة إلى صراع ثقافات وصدام حضارات، بين «القِيَم» الغربية و«العقائد» الشرقية؛ أو، على وجه التحديد، بين التراث اليهودي ـ المسيحي الغربي، والتراث الإسلامي!.

وذات يوم غير بعيد أثار برنارد لويس، المستشرق البريطاني ـ الأمريكي الشهير، ضجة واسعة حين صرّح لصحيفة ألمانية بأنّ أوروبا، بسبب من احتمال ضمّ تركيا إلى الاتحاد الأوروبي في المقام الأوّل، وموجات الهجرة من آسيا المسلمة وشمال أفريقيا، في المقام الثاني؛ سوف تصبح إسلامية عند نهاية القرن الحالي.

فإذا أُضيفت إلى المعادلة تلك الفوارق المارثونية بين جوع الكثرة وتخمة القلة، الأمر الذي اعتادت تقارير التنمية السنوية تفصيل القول فيه؛ فإنّ نظام المحاصصة الشائه، في الاقتصاد الكوني، يصبح بمثابة قارب آخر يقود بؤساء الأرض من جحيم العنف والحروب، إلى جحيم الفاقة والمرض والجوع. وثمة، هنا، حلف ضمني بين أكثر من جلاد، ضدّ الضحية الواحدة إياها.

تشرين الثاني 1988 غرق أول ضحية للهجرة السرية... نيسان 2015 أكبر فاجعة بغرق 800... ويستمر العالم يتفرج

مدريد - «القدس العربي»:
حسين مجدوبي

يوم اول تشـرين الثاني/نوفمبر من سـنة 1988، عثر الحرس المدني على جثة في شـاطئ مدينة طريفة في الضفة الشـمالية لمضيق جبل طارق، كانت أول جثـة يتم العثور عليها ضمن ما سـيصبح معروفا باسم «الهجرة السرية» أو «الهجرة غيـر النظامية» وكذلك «قوارب الموت»، لتبدأ مآس حقيقية طيلـة قرابة ثلاثة من العقـود وأبرزها فاجعة يوم 20 تشـرين الثاني/نوفمبر 2015 عندما غـرق أكثر من 800 مهاجر.

يقول الصحافي إلدلفونسـو سينا لـ«القدس العربي» وهو أول من كتب مقالا حول ظاهرة قوارب الموت من شـمال إفريقيا نحـو أوروبا والتقـط صـورة لأول جثة/ضحية الهجرة السرية «يوم اول تشرين الثاني/نوفمبر 1988 كانت الرياح شـديدة والغيوم كثيفة، وحوالي العاشرة صباحا جرى الاتصال بي ليخبرونني بالعثور على جثة على شاطئ طريفـة دون أي توضيح آخر». ويضيف «في ظرف عشـر دقائق كنت على الشاطئ، وجدت جثة تعود لشاب ملامحه مغربية في حوالي 30 مـن عمره ألقت به الأمواج وعلى بعد أمتار منه كان قارب خشبي يرسو متهالكا في الشاطئ».

ويسـتطرد قائـلا في وصف حـادث وكأنه مـر عليه ساعات فقط بدل ثلاثة عقود تقريبا لأنه من الصعب نسيان أدق تفاصيـل مثل هذه اللحظات، «ونحن أمام الجثة، وصل ضابط الحـرس المدنـي مانويل برادوس ورفقته خمسـة مغاربة جـرى اعتراضهـم فـي الطريق التي تـؤدي إلى الجزيرة الخضراء وكانوا يتحدثون العربية والفرنسـية، وكنت الوحيد الذي يتحدث الفرنسية، وسألتهم عن الجثة، وكان الجواب غير المنتظر: لقـد انطلقنا بعد منتصف الليل من شـاطئ طنجة في قارب على متنه 24 شـخصا، وعندما اقتربنا من الشـاطئ انقلب القارب، اعتقدنا أن المياه لم تكن عميقة ولكن كان العكس، من يجيد السباحة خرج وهم نحن الخمسة والباقي غرق».

ويستمر إلدلفونسو في سرده «وقتها تأكدنا أن الجثة لا تعـود لصياد أو مهرب مخدرات بل لشـاب كان يرغب في الوصول إلى أوروبا بعدما بدأت السوق الأوروبية (الاتحاد الأوروبي لاحقا) في التشدد في مواجهة الهجرة القانونية. وتصدر الخبر في اليوم الموالي الجرائد الأوروبية بنوع من التعجب والاسـتغراب وهو كيف يغامر شـباب بأرواحهم للوصول إلى أوروبا؟ وفي الأيـام اللاحقة بدأ البحر يلفظ جثث ضحايا أول قارب للهجرة السـرية يعبر مضيق جبل طارق، كنا أمام ظاهرة لم نسـتوعبها في البدء لتأخذ بعدا مأسـاويا خلال السـنوات اللاحـقة وتستمر حتى اليوم، وكل هذا وسـط اللامبالاة من الحكومات الأوروبية، وتحول الضحايا إلى مجرد أرقـام متضمنين في قصاصات الأخبار».

لم يتم التعرف على معظم ضحايا قارب تشرين الثاني/نوفمبـر 1988 وكذلك القـوارب اللاحقة، ويوجـد أغلبهم مدفونين في قبـور جماعية أو قبور مجهولة الاسـم تحمل أرقاما فقط في مقبرة الجزيرة الخضراء.

وستشـهد ظاهرة قوارب الهجرة منعطفا سـنة 1992 عندما فرضت اسـبانيا التأشيرة على المغاربة وباقي الدول المغربية وإفrيقيا. لم يعد أمام الحالمين بالسـفر سـوى وسـيلتين، تزوير التأشـيرة أو المغامرة عبر قوارب الموت نحو الضفة الشمالية لمضيق جبل طارق.

كانـت ظاهرة قوارب الهجرة أو ظاهـرة قوارب الموت محتشمة في السنوات الأولى، في نهاية الثمانينيات وحتى منتصف التسـعينيات، وكان الرأي العام يعلم بها سـواء في اسـبانيا أو أوروبا وكذلك في المغرب بعد غرق قارب من القوارب. وكان غرق القارب يشـكل الحـدث الإعلامي، كما كان يشـكل الحدث وصول قاصرين أو نساء وأخيرا أفارقة من جنـوب الصحراء، وبهذا لم تعـد الهجرة مقتصرة على المغاربة بل على جزء كبير من شباب قارة ترغب في الانتقال إلى أوروبا.

ومع تزايد الحالمين بأوروبـا والمغامرين على متن هذه القـوارب، ارتفعت وتيرة الغرقى والمفقودين إلى مسـتوى تحول معـه مضيق جبل طارق إلى مقبـرة بحرية حقيقية. وكانـت قـوارب الهجرة تشـهد أوجها في فصـل الصيف عندما يكون البحـر هادئا أو عندما كانـت دولة من الدول الأوروبية مثل اسـبانيا وإيطاليا تعلن عن مسلسل تسوية أوضاع المهاجرين السـريين. كانت مثل هذه الأخبار مفرحة للعصابات التي تشرف على تهريب البشر.

ابتداء من سـنة 1992، بدأ المغرب في حراسـة شاطئ مضيق جبل طـارق ما بين طنجة إلى حدود سـبتة المحتلة وشواطئ إقليم تطوان، وأمام انتشار مئات الجنود في نقط مراقبة، تطورت الهجرة السـرية إلى هجرة منظمة تشرف عليها عصابات ولو قليلة العدد تقوم بتهريب الأشخاص من شـواطئ تقع ما بين وادي لاو إلى حدود مليلية في الشاطئ المتوسطي المغربي نحو شواطئ الأندلس في إقليم مالقا.

وكان هـذا هـو الطريق الثانـي للهجرة السـرية في التسـعينيات، وكلما شـدد المغرب الحراسـة تظهر طرق أخرى ومنها طريـق ثالث وخطير للغايـة وهو من جنوب المغـرب نحو جزر الكنـاري في المحيط الأطلسـي، لتصبح المنطقة الممتدة من السـنغال إلى جنـوب المغرب نحو جزر الخالـدات. وإذا كانـت تنطلق من شـمال المغـرب قوارب صغيرة ومتوسـطة تسع قرابة أربعين شخصا، فقد انطلقت من شواطئ موريتانيا والسـنغال قوارب الهجرة المعروفة بـ«كايوكو» وهي التي تحمل ما بين مئة و150 مهاجرا دفعة واحدة.

وكانت رحلة الإبحار من السـنغال إلـى جزر الكناري تستغرق أحيانا 12 يوما في البحر لقطع مسافة تقرب الألف ميل. وكان يحدث أن يغرق قـارب بالكامل وتبتلعه تيارات المحيط الأطلسـي، ولا أحد يعلم بالفاجعة سـوى عائلات المهاجريـن الذين يؤكـدون لاحقا للصحافـة والجمعيات الحقوقية انطلاق قوارب في تاريخ معين ولم تصل إلى جزر الكناري لأن ذويهم لم يتصلوا لاحقـا، وهذا يعني أنهم في عداد المفقودين.

وفـي منتصف العقـد الماضي، ظهر طريـق ثالث وهو إنطلاق القوارب من شـواطئ الجزائر نحو شـواطئ شرق اسبانيا وكذلك من شواطئ تونس إلى جنوب إيطاليا. ولم تتعزز الهجرة السرية كثيرا في هذا الطريق بسبب الحراسة المشـددة التي اعتمدتها السلطات التونسـية والجزائرية بسرعة فائقة حتى لا تتفاقم الظاهرة.

وبدأت ليبيا خلال السـنوات الأخيرة من حكم القذافي تشـهد إبحار قوارب محملة بالمهاجريـن نحو صقلية، لكن الحديث عن الطريق الثالث للهجرة السـرية هو مع إنهيار نظام القذافـي وغياب حراسـة الشـواطئ، ومعه ظهرت السفن المحملة بمئات المهاجرين إلى غاية السفن التي تحمل قرابة ألف دفعة واحدة نحو جنوب إيطاليا. وهو ما يحدث في الوقت الراهن، وأعاد إلى الأذهان هجرة مواطني ألبانيا إلى إيطاليا في بداية التسعينيات عندما انهار النظام المالي لألبانيا وسقط النظام الشيوعي.

وسيسـجل الطريق الرابع من ليبيا إلـى إيطاليا أكبر فاجعة في تاريـخ الهجرة غير النظامية من القارة الأفريقية إلـى أوروبا بغـرق حوالي 800 شـخص يـوم الاثنين 20 نيسان/أبريل 2015، فاجعة أيقظت الضمير الإنساني.

ويبقـى الطريق الرابـع مختلفا عن الطـرق البحرية الثلاث الخاصة بالهجـرة غير النظامية. فـالأول والثاني من شـواطئ المغرب والجزائر وتونس والثالث من سواحل أفريقيـا الغربية نحو جزر الكنـاري يخضع لمفهوم الهجرة ذات الدوافع الاقتصادية، يتعلق الأمر بمهاجرين يقصدون أوروبا للعمل. بينما تقف عوامل سياسية ونزاعات مسلحة وراء الخط الرابع، فالأمر يتعلق بهجرة النازحين والهاربين من الحروب مثل الوضع في ليبيا وسوريا، حيث تؤكد أرقام حكومـة روما أن السـوريين يتصدرون لائحـة المهاجرين الذين يصلون إلى شواطئ إيطاليا منذ كانون الثاني/يناير الماضي.

طيلة هذه العقود، اتخذت الهجرة السـرية من شمال أفريقيـا نحو أوروبا مظاهـر مختلفـة ومتضاربة. مظاهر الفـرح متجلية في أولئـك الذين نجحوا فـي الوصول إلى أوروبا وأغلبهم مغاربة حيث اسـتقروا ووجدوا عملا، رغم الحراسـة. والتقت «القدس العربي» في اسـبانيا عشرات المغاربـة الذين قدمـوا عبر مراحل مختلفـة على متن قارب للهجرة السرية، وعندما نسـألهم هل يكررون التجربة إذا عاد الزمن إلى الوارء؟ «يكون الجواب نعم».

تسـببت الهجرة غير النظامية في أزمـات متتالية بين المغرب واسبانيا ولاحقا بين بعض الدول الأفريقية والاتحاد الأوروبي، حيـث يعجز الطرفان حتـى الآن عن إيجاد حل متفق عليه يمزج بين ما هو أمني وما هو تنموي.

وإعلاميا، أصبحت الهجرة السـرية من شمال أفريقيا نحـو أوروبا مادة إعلاميـة حاضرة طيلـة العقود الثلاثة الأخيرة، تحظى بالأهمية تماشيا مع طابعها المأساوي.

وكانت التغطية اسـتثنائية بعد انتشال أول جثة يوم 1 تشـرين الثاني/نوفمبر 1988. وبعد سنوات، غرق قارب على متنه 32 شـابا من شـباب قرية واحدة وهي وادي لاو يـوم 21 تموز/يوليو 2000، ابتلعهـم البحر بدون لفظ ولو جثة واحدة. وتكررت الضجة بغرق 37 مغربيا دفعة واحدة في مضيق جبل طارق يوم 27 تشـرين الاول/أكتوبر 2003، حيث رمى البحر جثث بعض الضحايا وقد أكل السمك جزء منها. ويوم 3 تشـرين الاول/أكتوبـر 2013، تفاجأ العالم بغـرق قرابة 360 مهاجرا من ليبيا نحـو إيطاليا، وكان هذا الرقم قياسيا في تاريخ الهجرة ولكن بشكل مؤقت، فقد غرق أكثر من 400 في المياه نفسـها يوم 12 نيسـان/أبريل 2015، وأسبوعا بعد ذلك غرق قرابة 800، وهو رقم قياسي قد يكون مؤقتا فقط في انتظار فاجعة أخرى.

وتصـدر تقارير متعـددة حول عدد ضحايـا الهجرة السرية، الأوسـاط الحكومية في شـمال إفريقيا والاتحاد الأوروبي تقلل منهـا وتتحدث عن بعض آلاف، والجمعيات الحقوقية وبعض الدراسات تتحدث عن عشرات الآلاف.

وتسـتمر الهجرة السـرية علـى مسـتوى الضحايا والموقوفين مجـرد أرقام في وقت لم يسـتيقظ فيه الضمير الإنساني لإيجاد حل لظاهرة حاضرة بكل عنوانها المأساوي منذ ثلاثة عقود وتتفاقم أكثر وأكثر.

صورة أول ضحية للهجرة السرية جرى انتشالها في شاطئ طريفة يوم 1 نوفمبر 1988 (تصوير إلديلفونسو سينا)

سواحل تركيا... مقبرة المهاجرين الفارين من الموت إلى الموت

اسطنبول - «القدس العربي»: إسماعيل جمال

باتت السـواحل التركية بمثابة مقبرة تبتلع سـنوياً المئات من الشباب والنسـاء والأطفال الفارين من الموت والفقر في بلادهم، في مسـعى للوصول إلى أوروبا للبحث عن الحياة المنشـودة التي تنتهي غالبا بالغرق أو الاعتقال أو الذل في مخيمات اللجوء في اليونان والدول الأخرى.

موجات الهجرة «غير الشـرعية» تضاعفت بشـكل كبير في السـنوات الأخيرة بسـبب تصاعد حدة الحروب والنزاعات في الدول العربية، لا سيما في سوريا والعراق، وبات السوريون وفلسطينيو سوريا يمثلون نسبة كبيرة من راكبي البحر الذين يحاولون الوصول إلى الضفة الأخرى.

تعد تركيا المعبر الرئيسي الأول للعديد من الفارين من ويلات الحروب في المنطقـة العربية، ومحطتهم الأولى في طريق اللجوء للدول الأوروبية باتجاه اليونان، ولهذا تشهد سنوياً محاولات عديدة للهجرة غير الشرعية، ومن هذه الحالات ما يتم إلقاء القبض عليه من قبل قوات خفر السواحل التركية، ومنها من ينجح ويصل الضفة الأخرى، وآخرين تقبض عليهم قوات خفر السـواحل أما أثناء محاولـة عبور البحر، أو حـين تتعرض مراكبهم للغـرق، فتنقذهم القوات ذاتها. وقـد بلغ عدد المهاجرين غير الشـرعيين – الذين ألقي القبض عليهم خـلال محاولتهم العبور من بحر «إيجه» باتجـاه اليونان خلال العام الماضي – «7540» شخصاً، و«44» شخصاً متورطين في الاتجار بالبشر. ويقدر عدد المهاجرين غير الشـرعيين الذين وصلوا إلى الـدول الأوروبية من تركيا وليبيا ومناطق أخرى خلال العام الماضي، بحوالي 278 ألف شخص، منهم 170 ألف شخص اسـتخدموا الأراضي الإيطالية، بينهم 142 ألف شخص اجتازوا الجزيرة قادمين من الأراضي الليبية.

كوارث متتالية

لا يكاد يمر أسـبوع دون أنباء عن غرق قارب مهاجرين أو انتشـال جثث لغرقـى، أو انقاذ قارب مهاجرين وسـط البحر أو اعتقال عشـرات المهاجرين داخل الأراضي التركية أثناء تحضيرهم لركـوب البحر أو تجاوز الحدود براً لليونان أو بلغاريا.

والأحد الماضي، أنقذت فرق خفر السواحل التركية قرابة 35 مهاجر، بينهم أطفال، بعدما غرق مركب كانوا يسـتقلونه في طريقهـم إلى جزيرة «كوس» اليونانية.

ومنتصف الشهر الماضي، أوقفت شـرطة خفر السواحل التركية باخرة، قبالة سواحل ولاية جنق قلعة شمال غربي البلاد، كانت تحمل على متنها نحو 400 مهاجر غير شرعي، يعتقد أنهم سوريون.

وأوضح والي المحافظة أحمد تشـينار، أن الباخرة انطلقت من سـواحل اسطنبول، عبر بحر مرمرة، وكانت تحمل مهاجرين غير شرعيين، وأن الشرطة قامت بإطلاق النار علـى الباخرة، لرفض قائدها إيقافها رغم التحذيرات التي وجهتها الشرطة.

وبداية العام الجاري، أوقفت قوات خفر السـواحل التركية 333 مهاجراً غير شـرعي، كانوا يحاولون الوصول إلى السواحل الأوروبية عبر المتوسط، على متن سـفينة تجارية تحمل علم جمهورية «توغو» قبالة سـواحل مرسين، جنوب تركيا.

وأفادت ولاية مرسـين في بيان لها أن قوات خفر السـواحل رصدت في الآونة الأخيرة – في منطقة شرق البحر المتوسط – عمليات نقل لمهاجرين غير شرعيين إلى إيطاليا بواسـطة سفن النقل التجارية، وأنها لاحظت نقل كميات

القدس الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

قوارب الموت والقانون الدولي

نيويورك - «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

قد تكون المرة الأولى التي يلتقي فيها كبار القوم في أوروبا وبعض الممثلين الدوليين في بروكسل الخميس الماضي لبحث مأساة المهاجرين الذين يبتلعهم البحر. المأساة أكبر من أن يدفن الناس رؤوسهم في الرمل ويدعون أن البحر رفيق لنا وأن المتوسط مهد الحضارات فحسب. المتوسط أصبح مقبرة الفقراء الجديدة، فكلما بلع حفنة منهم صاح «هل من مزيد؟». الأحد الماضي أقلعت سفينة صدئة من شواطئ ليبيا التي لا يبسط أحد عليها أي نوع من السيادة. المهربون وأقطاب الجريمة المنظمة حشوا جيوبهم بملاليم الفقراء الحالمين بحياة بسيطة تؤمن لهم الخبز والماء النظيف وسقفا يقي الأطفال بعد الوصول إلى شواطئ أوروبا الجميلة التي لا ترتاح لمناظر هؤلاء الأفارقة والعرب الذين يفرضون أنفسهم عليها بالقوة.

إنقلب القارب واستقر في الأعماق وفي بطنه 722 مسكينا ويتميا وابن سبيل ومشرد. سفينة الإنقاذ إستطاعت بعد لأي أن تنقذ 28 شخصا فقط من مالي وغامبيا وساحل العاج وسيراليون وارتريا والسنغال وتونس وبنغلاديش. من بينهم القبطان التونسي محمد علي مالك (27 سنة) ومساعده السوري محمود البخيت (25 سنة) اللذان إعتقلا بعد إنقاذهما وتحويلهما إلى صقلية وتوجيه تهمة القتل لهما. قال أحد طاقم الإنقاذ «كان سطح البحر عبارة عن مقبرة عائمة». وأكد آخر أن قسما من المهاجرين كان خلف أبواب موصدة. وأكد أحد الناجين أن نحو 1،200 شخص كانوا محشورين في مزرعة قرب طرابلس يحرسهم رجال مسلحون ويهينونهم ويضربونهم. كان المهربون يرشون الضباط والشرطة الليبية إلى أن جاءت ساعة الرحيل ليلا حيث نقلوا في قوارب مطاطية إلى سفينة الموت البعيدة قليلا عن شاطئ البحر.

البحر يبلع الفقراء. قبل أيام خمسة فقط بلع البحر 400 جنوب مالطا وقبل الحادث بيومين أضاف خمسين آخرين. ليصل العدد منذ بداية العام إلى 1727. منظمة الهجرة الدولية تعتقد أن عام 2015 سيتفوق على 2014 الذي شهد غرق 3279 مهاجرا.

إلتقى كبار القوم في بروكسل يوم الخميس الماضي وناقشوا المشكلة من كافة جوانبها ووضعوا خطة على الورق كي لا تتكرر المأساة ثانية. وللننتظر يوما أو أسبوعا لنسمع عن مأساة جديدة للفارين من جحيم بلادهم إلى الحلم البعيد فيعترضهم الموت بطريقة فجة لا تعطيهم فرصة للبكاء. وسيعود الأغنياء للاجتماع ويتعهدون بعمل شيء ما كي لا تتكرر المأساة لكنها تعود لتطل من جديد دون أن تظهر «عنقاء الرماد من الدمار».

الخطة تتكون من عشر نقاط. من بينها تعزيز أمن الشواطئ وتدمير سفن التهريب الراسية في الموانئ المهجورة ومراقبة أوسع للعابرين وتخصيص طائرتي إستطلاع ومروحيتين وستة قوارب خفر سواحل و 65 ضابط بحرية ورفع الميزانية المخصصة لعمليات الحماية من 3 مليون يورو إلى نحو 10 ملايين وتخصيص 5.000 مكان في ملاجئ إستقبال المهاجرين. بالله عليكم هل هذه خطة جادة؟ ولنسمع رد منظمة العفو الدولية: «إن هذه الاستجابة غير كافية ومخجلة وتستحق الرثاء». السيدة الحديدية أنغيلا ميركل قالت لدى وصولها أمام عدسات الكاميرا «الأولية الآن لإنقاذ الأرواح واتخاذ الخطوات السليمة للقيام بذلك». لنرَ كيف سيتم إنقاذ الأرواح.

كم صغير هذا البحر

البحر المتوسط من منظور التكنولوجيا الحديثة بؤرة صغيرة، لا يزيد عن مساحة الجزائر إلا قليلا. تستطيع الأقمار الصناعية مراقبة كل شاطئ وجزيرة وسفينة صيد وناقلات بترول وسفن شراعية وحتى سمك الدولفين وهو يلاحق السفن السياحية. وتستطيع الدول الصناعية الكبرى أن تلتقط الإشارات السلكية والمخابرات الهاتفية والرسائل النصية ونداءات الاستغاثة اليائسة. وتستطيع الأساطيل البحرية وقوات الناتو والسفن العسكرية والغواصات وطائرات الأواكس وطائرات التجسس والدرونز المخصصة للقتل أن تراقب هذا البحر الصغير وتلتقط كل حركة غير طبيعية وأن تكون جاهزة للإنقاذ على وجه السرعة خاصة وأن معظم السفن تنطلق من السواحل الجنوبية في جزئها الشرقي بين ليبيا ومصر وبنسبة أقل من المغرب وبعض الدول الأفريقية. لا أحد يقنعنا أن هذه الدول لا تستطيع إنتشال الضحايا أو منع تلك السفن التالفة من عبور البحر.

قام نحو 200 شخصية أوروبية ودولية رفيعة المستوى من بينهم رؤساء ووزراء سابقون ونشطاء حقوقيون بالتوقيع على وثيقة مهمة وضعوها برسم إجتماع بروكسل للضغط على ضمائر المسؤولين الحكوميين. قالوا لهم إن هؤلاء الضحايا وصمة عار على ضمائرنا جميعا وطالبوا بسياسة شاملة وجادة تعتمد على توسيع نطاق المراقبة والتفتيش وتجفيف مصادر التهريب وملاحقة المهربين وتوسيع منظومات إستقبال المهاجرين وإعتماد نظام المحاصصة بين الدول في إستقبالهم وإشراك مفوضية اللاجئين في الحلول وتضخيم الميزانيات المخصصة لمسألة الهجرة وغير ذلك من الإجراءات الإستثنائية.

القانون الدولي الغامض

المشكلة أن القانون الدولي في مسألة الهجرة غير الشرعية غامض. كل ما لدينا هو «المعاهدة الدولية لحماية جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم» والتي تم اعتمادها في الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 18 كانون الاول/ ديسمبر 1990 ولم تدخل حيز التنفيذ إلا في تموز/يوليو 2003 بعد أن وصل عدد التصديقات عليها 20 دولة لأن الاتفاقية لا تتمتع بالتأييد وخاصة في أوروبا، ولم يصل عدد الدول المصدقة عليها لغاية 2014 إلا 47 دولة فقط. ولا يستغربن أحد إذا علم أن أيا من الدول الأوروبية المهمة المتشدقة دوما بحقوق الإنسان لم يصدق على الاتفاقية بما فيها إيطاليا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا، وللعلم أيضا فإن كثيرا من الدول المصدقة على المعاهدة هي من الدول المصدرة (وتسمى الطاردة أيضا) للمهاجرين مثل المكسيك والمغرب وليبيا ومصر وسوريا والجزائر والعديد من الدول الأفريقية والآسيوية واللاتينية. كذلك لم توقع على الاتفاقية أو تصدق عليها أي من دول مجلس التعاون الخليجي لما يفتح ذلك من شهية المنظمات الإنسانية لمراقبة أوضاع العمال المنتشرين بمئات الألوف في هذه الدول. الحجة التي ترددها الدول الأوروبية أن قوانينها المحلية تعالج مسألة المهاجرين دون حاجة لاتفاقيات دولية. وهذه حجة مردودة لأنها لا تثار في معاهدات أخرى كمعاهدة حقوق الطفل والسكان الأصليين وعدم التمييز وحقوق المرأة وغيرها الكثير. بل إن السبب الحقيقي هو أن هذه المعاهدة تفرض مجموعة من المسؤوليات الخلقية والإنسانية والمالية والاقتصادية في التعامل مع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم.

وهناك سبب آخر وهو أن تحسين قوانين الهجرة وتأمين حقوق العمال المهاجرين في بلد ما سيثير شهية أعداد أكبر من المهاجرين وسيصبح ذلك البلد الجهة المفضلة للمهربين والمهاجرين غير الشرعيين.

لقد بلغ عدد العمال المهاجرين عام 2005 نحو 190 مليونا بما يعادل عدد سكان البرازيل. ولا تكاد دولة في العالم تكون خارج شمولية المعاهدة إستقبالا أو تصديرا للمهاجرين. والهدف الأسمى للمعاهدة هو حماية حقوق العمال المهاجرين وإحترام حقوق الإنسان لهم ولعائلاتهم ومعاملتهم بطريقة إنسانية تحفظ حقوقهم وكرامتهم. وتحدد المعاهدة مجموعة معايير أخلاقية وإنسانية يجب إتباعها في معاملة العمال المهاجرين كما تعتبر دليلا إرشاديا للدول حتى غير المنضمة لها يمكن إتباعه في معاملة المهاجرين وأسرهم بطريقة تحفظ حقوقهم وتفتح لهم المجال واسعا للإنتاج والإبداع.

تهريب المهاجرين مسألة ممنوعة في القانون الدولي لكن الإشكالية أن الكثير من هذه الجرائم ترتكب في المياه الدولية وبالتالي تضيع الأمور في تحديد الجهة المسؤولة عن محاكمة المهربين خاصة إذا كانوا خارج بلادهم. وكي تتم محاكمتهم لا بد من إعتقالهم أولا ثم توجيه تهمة محددة بحقهم كما فعلت إيطاليا مع القبطان التونسي ومساعده السوري. وفي العديد من الحالات يتملص المهربون من المسؤولية لأنهم يتمكنون من الهرب في قوارب النجاة قبل الغرق أو لا يكونون أصلا في المراكب المثقلة بحمولتها بعد تأمين الإقلاع. وهؤلاء المهربون عادة يعملون مع أفراد من الأمن والمخابرات في بلادهم لتأمين الحماية من أي مساءلة قانونية مقابل تقاسم الغنائم معهم أو مع العصابات الإجرامية المنظمة التي تؤمن لهم الحماية.

حتى مسؤولية التحقيق في المراكب الغارقة غير محددة. من يقوم بها؟ دول الإستقبال أو دول المصدر أو المنظمات الدولية العديدة كالمنظمة الدولية للهجرة أو مفوضية حقوق الإنسان أو مفوضة اللاجئين؟ لا أحد يعرف وتضيع الأمور وتسجل هذه الجرائم فقط في سجلات المهاجرين الغرقى دون متابعة أو مساءلة أو محاكمة.

وأخيرا، إن هذه المشكلة الحقيقية التي تفاقمت في السنوات العشر الأخيرة بعدما أقفلت أوروبا حدودها وانهارت إقتصاديات عدد من الدول الأفريقية والعربية والآسيوية تحتاج إلى وقفة دولية جدية تعالج أسباب المشكلة وذيولها عن طريق المزاوجة بين قوانين تتعلق بالمصدر وتجفيف المنابع كما تتعلق بالمصب وأنسنة القوانين، وفي الوقت نفسه ملاحقة العصابات المنظمة التي تغرر سنويا بآلاف الشباب اليائس.

كبيرة من الأغطية والمواد التموينية إلى سفينة «بورتشن» تفوق حاجة طاقم السفينة، كما لاحظت نقل عدد كبير من المهاجرين غير الشرعيين من الساحل إلى السفينة بواسطة قوارب الصيد.

وأوضحت الولاية أن معظم المهاجرين كانوا من السوريين، فيما تم خلال العملية اعتقال 15 من المهربين، بينهم 4 أتراك، مشيرةً إلى أن خفر السواحل التركية أوقفت العام الماضي ألفاً و 754 مهاجراً غير شرعي، قبالة سواحل مرسين فقط. ونهاية العام الماضي، قتل 28 مهاجرا في حادثة غرق القارب الذي كان يحمل على متنه مهاجرين غير شرعيين في مضيق البوسفور في تركيا، كما انتشلت جثث 18 مهاجراً في حادث غرق مركب آخر في المياه الدولية في بحر إيجه، غرب تركيا.

لكن الفاجعة الأكبر كانت نهاية عام 2012 عندما غرق مركب مهاجرين قرب سواحل مدينة إزمير التركية وتوفي قرابة 61 شخصا بينهم 3 أطفال رضع و28 طفلا صغيرا، و18 أمرأة، معظمهم فلسطينيون وسوريون وعراقيون.

طرق الهجرة

وبحسب شهادات لأشخاص خاضوا التجربة أوضحوا لـ«القدس العربي» أن الساعين للهجرة من الأراضي التركية إلى أوروبا يتبعون العديد من الطرق في معظمها تكون نقطة الانطلاق الأولى هي سواحل تركيا الغربية المطلة على البحر المتوسط، للوصول إلى إحدى الجزر اليونانية القريبة ومن ثم بدء رحلة جديدة لدولة أوروبية أخرى.

وفي إحدى الطرق يتم استخدام قوارب مطاطية صغيرة للانطلاق من سواحل مدن إزمير ومرسين على الأغلب باتجاه إحدى الجزر اليونانية في مقابل مادي يتراوح بين 1000 و1500 يورو.

ويتم دفع المبلغ المقرر من خلال مكاتب تأمين منتشرة في إسطنبول التركية والمدن اليونانية، وفي حال نجاح عملية التهريب يحصل المُهرب على المبلغ من مكتب التأمين.

وبعد وصول المهاجرين إلى اليونان، تتحفظ عليهم السلطات اليونانية، حيث يُوضعون في «كامب» (مخيم خاص للمهاجرين)، ويتم «تبصيمهم» ومن ثم يُمنحون «خارطية» (وهي ورقة طرد من اليونان)، ويُطلق سراحهم لتبدأ رحلة البحث عن مُهرّبين ينقلونهم إلى الدولة الأوروبية المنشودة.

وعن طرق الانتقال من اليونان إلى الدول الأوروبية الأخرى، أوضحت مصادر لـ«القدس العربي» أن ذلك يتم من خلال هوية أو جواز سفر مزوّر تُوضع عليه الصورة الشخصية للمُهاجر. وتُكلف بين 2500-3000 يورو للمُهاجر الواحد.

لكن هذه الطريقة كثيراً ما تفشل. خاصةً إذا كان الأمن في المطارات اليونانية مُشددا، حيث يقضي بعض المهاجرين من 7 ـ 8 أشهر في اليونان وهم يحاولون الدخول إلى إحدى دول أوروبا الغربية.

التدابير الأمنية المشددة التي اتخذتها اليونان في الآونة الأخيرة على حدودها مع تركيا دفعت المهاجرين غير الشرعيين المتوجهين إلى أوروبا إلى تحويل وجهتهم إلى بلغاريا، عبر ولاية «قرقلر إيلي» الحدودية، شمال غربي تركيا.

ومن جملة التدابير التي أقدمت عليها اليونان بناء سياج شائك على طول حدودها مع تركيا، كما قام الإتحاد الأوروبي من خلال وكالته لأمن الحدود الخارجية بزيادة عمليات المراقبة الحدودية.

ويقطع المهاجرون غير الشرعيين نهر مريج في ولاية «أدرنة» والذي يشكل حداً طبيعياً بين تركيا واليونان من المناطق التي ينخفض فيها منسوب المياه، إلا أن الحركة تضاءلت في هذه المنطقة عقب حالات غرق لبعض المهاجرين، الذين استعاضوا عن ذلك بالعبور من بعض القرى الحدودية باتجاه اليونان.

وتزايدت في الآونة الأخيرة حركة عبور المهاجرين غير الشرعيين من المناطق الحرجية المجاورة لمعبر «دره كوي» الحدودي مع بلغاريا، حيث يتخفى المهاجرون في هذه المناطق، ريثما يحل الظلام، ليتابعوا طريقهم نحو الأراضي البلغارية.

وتشير تقارير تركية رسمية أن عدد الموقوفين في ولاية «أدرنة» ـ خلال محاولات تجاوز الحدود بطريقة غير شرعية ـ بلغ 16 ألفا و383 شخصاً، وتظهر التقارير أن السوريين يشكلون غالبية المهاجرين غير الشرعيين الذين حاولوا العبور إلى اليونان، منذ عام 2012، فضلاً عن مواطني إيران وأفغانستان وميانمار وباكستان.

القدس العربي الأسبوعي
السنة السادسة والعشرون - العدد 8086 الأحد 26 نيسان (ابريل) 2015 - 7 رجب 1436هـ

بيان هزيل لقمة طارئة

بعد كارثة البحر المتوسط الأخير: أوروبا تتداعى في قمة بروكسل لحل الأزمة مع غياب واضح للنية الجادة

بروكسل - ستوكهولم «القدس العربي»: مالك العثامنة

أصدرت القمة الأوروبية الطارئة في بروكسل حول الهجرة غير الشرعية والتي انعقدت ليوم واحد فقط الخميس الماضي، حزمة قرارات سبقتها مقدمة من بندين ورد فيهما أن الوضع في البحر الأبيض المتوسط بلغ حالة تراجيدية، وأن الاتحاد الأوروبي سيعمل على تحريك كل جهوده للحد من أي خسائر أرواح في عرض البحر، ومعالجة جذور المشكلة الإنسانية التي تواجه القارة الأوروبية بالتعاون مع الدول التي تصدر المهاجرين والناقلة لهم. وأكد البيان أن الأولوية هي في تجنب مزيد من خسارة الأرواح في البحر.

ويستطرد البيان الأوروبي بقوله، أنه وعلى كل ما سبق ذكره قرر الاتحاد العمل على تعزيز الحضور في البحر، لمواجهة النقل غير الشرعي ومنع الهجرة غير الشرعية، مؤكدين أن عدم الاستقرار في ليبيا يخلق ظروفا ملائمة للسلوك الجرمي للمهربين، وأن الاتحاد سيدعم كل الجهود الأممية لتعزيز سلطة الدولة في ليبيا.

وفي إشارة خجولة عن سوريا يكمل البيان قوله أن الاتحاد أيضا سيعمل على تعزيز الجهود لتوضيح أن عدم الاستقرار والنزاعات هي العامل الرئيسي للهجرة غير الشرعية بما في ذلك في سوريا.

هذه الإشارة الخجولة التي وردت في مقدمة البيان الأوروبي الرسمي، تكشف هشاشة ما يلي من قرارات، والتي وردت على شكل التزامات كان أولها تعزيز الوجود البحري في المتوسط، من خلال مضاعفة تمويل خطة «تريتون» ماليا.

كما التزم الاتحاد حسب بيانه بمحاربة المهربين غير الشرعيين لكن من خلال القانون الدولي وهو ما يرى فيه مراقبون اختباء خلف تفسيرات قانونية فضفاضة تجعل الوضع يسير على ما هو عليه دون تغيير.

كما التزم الاتحاد بمنع الهجرة غير الشرعية من خلال دعم كل من تونس ومصر والسودان ومالي والنيجر مع دول أخرى لم يوردها البيان بالاسم، لمراقبة والسيطرة على الحدود والطرق الدولية والمعابر حولها، مع التأكيد على مناقشة موضوع محاربة الهجرة غير الشرعية مع الاتحاد الأفريقي في اجتماع يتم عقده في مالطا بعد شهور.

كما أشار البيان الأوروبي إلى التعاون مع تركيا فيما يتعلق بالجانبين السوري والعراقي.

البيان أشار أيضا إلى عزم الاتحاد الأوروبي إرسال مندوبي سلطات الهجرة في دول الاتحاد إلى الدول المعنية والمصدرة للهجرة غير الشرعية للتعاون مع السلطات هناك وتبادل المعلومات لتعزيز الحرب ضد الهجرة غير الشرعية.

أما فيما يخص بالإجراءات الداخلية لدى دول الاتحاد، فقد كانت القرارات حذرة تجاه سيادة الدول وعكست حجم الخلافات بين الدول الأوروبية في رؤيتها للأزمة، وعدالة توزيعها على الدول الأعضاء، بحيث قرر المؤتمرون ضرورة الاستعجال بإعادة النظر في قوانين الهجرة واللجوء الإنساني ضمن المعايير الأوروبية.

الاتحاد الأوروبي الذي كان على موعد مع نوبل للسلام عام 2012 والتي حازها لجهوده في تحقيق الأمن والسلم الدوليين، يجد نفسه اليوم وعلى أبواب العام الخامس للربيع العربي، والأزمة السورية تحديدا.. أمام معضلة ضمير أخلاقية لا تقل تعقيدا عن المعضلة السياسية التي يتحمل مسؤوليتها بأعضائه الفاعلين في المجتمع الدولي إضافة إلى جيرته القدرية للمتوسط الذي يشاركه به بلدان الأزمات التي تصدر إليه حاليا البشر عبر قوارب الموت كما درجت التسمية، خصوصا بعد حادثة الغرق في المتوسط لسفينة تهريب راح ضحيتها أكثر من 750 هاربا ومهاجرا عبر المتوسط.

بروكسل التي شهدت الخميس اجتماع قمة طارئا كما وصفته أوروبا الرسمية، لمناقشة قضية الهجرة غير الشرعية إليها، وتداعيات تلك الهجرة والمسؤوليات المطلوب توافرها.

وكما تمخض الجبل فولد فأرا، كان مخاض القمة تمهيدا لقرارات رأى فيها مراقبون ومحللون أقل من المطلوب، خصوصا أنها كانت قرارات عائمة بهدوء على سكون مياه الأزمات السياسية الحزبية في الدول الأوروبية.

وعلى الرغم من المبادرات الأوروبية المعلنة في هذا الصدد إلى الآن، وتوافق الدول الأعضاء على ضرورة التحرك لوقف الموت على بوابات أوروبا، إلا أن تلك الدول تتردد كثيراً في إيواء مزيد من اللاجئين بحجة أن قدرتها الاستيعابية لم تعد تحتمل المزيد.

ولا يخفى في هذا السياق، أن السبب الرئيسي يكمن في تخوف الحكومات الأوروبية من معارضة شعوبها لتنامي أعداد المهاجرين، لما يفرضه ذلك من انعكاسات ديموغرافية واقتصادية واجتماعية.

ولطالما قاوم السياسيون القوميون جميع محاولات تسليم زمام الأمور للاتحاد الأوروبي بشأن توطين وتوزيع طالبي اللجوء في الدول الأعضاء. وكما جوبهت بالرفض مبادرات إصلاح النظام القائم، الذي يلزم بلدان «الخطوط الأمامية» كاليونان وايطاليا واسبانيا بمعالجة طلبات اللجوء.

وبالتالي، فإن الإطار الحالي يضع عبئاً ثقيلاً على كاهل الدول الأوروبية الجنوبية لأوروبا، فيما يريح الدول الأبعد ذات الحدود المغلقة، على الرغم من أنها قد تملك طاقات استيعابية أكبر من نظيراتها الجنوبية.

حادثة المتوسط، والتي جعلت من هؤلاء البشر الهاربين من أوطانهم المنكوبة ضحايا أكبر كارثة بحرية معاصرة، أجبرت الضمير الأوروبي على التزحزح قليلا للتنادي لتلك القمة، لكن تبقى النتائج دون تطلعات الأطراف المعنية، وأهمها طرف الباحثين عن ملاذ آمن في أوروبا والتي يرى فيها هؤلاء، أنها مسؤولة بسياساتها الخارجية إلى ما آلت إليه أوضاع بلدانهم.

أم وطفلان وسط العاصفة ورحمة البحر

«القدس العربي» التقت في السويد أحدى الناجيات قبل ثلاثة شهور من رحلة على ضفاف الموت في المتوسط، حيث قضت نسرين صوفي، السورية الهاربة من آتون الحرب في بلادها سبعة أيام بلياليها في مياه المتوسط، برفقة طفليها وقد حملت نفسها مسؤولية جريمة إصطحابهما إلى تلك التجربة المفزعة كما تقول وهي تورد قصتها ..

من تركيا كانت الإنطلاقة، كما تقول نسرين، والتي التقت عشرات من مهربي البشر في تركيا، وأغلبهم سوريون كما التقت مهربين من جنسيات عربية أخرى، وتؤكد السيدة الناجية من الغرق أن هؤلاء متواجدون في تركيا ولا مهنة لهم إلا تهريب البشر بأموال طائلة عبر المتوسط إلى أوروبا.

وبعد اتفاقها مع مهرب سوري، على مبلغ 6000 دولار لتهريبها وطفليها الاثنين، تقول أن هذا المبلغ غير قابل للتفاوض، وتسرد بعدها لـ «القدس العربي» قصة الرحلة، حيث بعد الاتفاق تم اصطحابها مع طفليها إلى سفينة صغيرة بالكاد تتسع لسبعين راكبا لكنها كانت ممتلئة بما يزيد على مئتي راكب، وهي السفينة التي ستقلهم إلى الباخرة التي يفترض أن تمخر عباب الأبيض المتوسط وتنقلهم إلى بر الأمان الأوروبي.

تقول نسرين أن الصدمة الحقيقية بدأت لحظة وصولها تلك الباخرة الضخمة التي يبلغ طولها 120 مترا، حيث تغيرت فجأة معاملة المهربين إلى الأسوأ، فبدأوا يكيلون للركاب أقذع الشتائم المصحوبة بالأوامر للتحرك نحو العنبر الكبير في قاع السفينة المتهالكة حسب وصفها.

العنبر كما وصفته نسرين كان من أبشع ما يمكن رؤيته من أماكن متخمة بأكداس اللحم البشري دون مراعاة لأي إنسانية، وهو عنبر بالكاد يتسع لـ 300 شخص لكنه كان متخما بما يقارب الـ700 إنسان من بينهم ما يقارب الـ 200 من الأطفال.

لحظة رؤيتها العنبر وهي تمسك بيديها طفليها، رفضت نسرين الدخول إليه، ومع تعالي صراخها بهستيرية وتهديدها للمهربين أنها ستلقي بنفسها في البحر إن أجبروها على الدخول فقد اضطروا إلى وضعها في غرفة متهالكة على سطح السفينة. وتكمل الأم لطفلين والهاربة من جحيم الموت السوري بقولها أن هذا العنبر كان الناس محتجزين فيه لأسابيع حتى يمتلئ بما يكفي حسب المهربين لتحرك الباخرة، وأن سيدات حوامل وضعن مواليدهن في العنبر ضمن ظروف صحية سيئة ناهيك عن ان المياه تملأ أرضيته المفرودة بأكملها بمشمعات «نايلون» لا تكاد تقي الموجودين من غمر المياه لأجسادهم.

في اليوم الثالث، حسب نسرين، واجهت الباخرة عاصفة قوية ورأت بعينيها ارتفاع الموج غلى ما يقارب التسعة أمتار، مع تمايل السفينة الشديد وجنوحها الوشيك نحو الغرق في كثير من الأحيان..طبعا مع تخيل كمية الماء التي دخلت العنبر في القاع حيث يتكوم 700 إنسان بلا حول ولا قوة مغلق عليهم باب حديدي ثقيل لا يتسع بالكاد لشخص.

وفي ظروف تقارب حد الهلاك، تمضي نسرين في حكايتها نحو الثلاثة أيام الأخيرة والتي صادفت رأس السنة حيث إنقطع مياه الشرب عن الجميع، فعمل المهربون على تزويد الموجودين بحصص محدودة من مياه المحركات غير الصالحة للشرب، مع استخدام مقٍن وتحت رحمة القائمين على الباخرة لدورة المياه الوحيدة الموجودة في الباخرة.

عند الوصول إلى الشواطئ الإيطالية بدأ الجزء الأخير والأصعب من المعاناة، حيث رست الباخرة على أحد الشواطئ، ليهرع إليها رجال الإنقاذ والأمن الإيطاليين، مرتدين أقنعة تمنع عنهم عدوى الجراثيم والبكتيريا في مشهد من أقسى المشاهد الإنسانية على حد وصف نسرين، والتي اصطحبها الأمن الإيطالي مع أطفالها إلى أحد المراكز الرسمية، لتعمل على وضع بصمتها هناك.

ولأن لنسرين أقارب في انتظارها مقيمين في السويد، فقد رفضت إعطاء بصمتها على الأراضي الإيطالية، وهو ما يجبرها في حال فعلت على الإقامة في إيطاليا. وتسرد السيدة اللاجئة إلى قارة حقوق الإنسان حجم انتهاكات حقوق الإنسان في ما واجهته على يد البوليس الإيطالي، الذي واجه مقاومتها عملية «التبصيم» بشراسة وصلت إلى أن قامت شرطية إيطالية بأخذ طفليها عنوة منها، وتهديدها بوضعهما في مراكز إيواء بعيدة لأنها لا تملك ما يثبت أنهم أطفالها..وتحت وطأة التهديد غير المعقول تقول نسرين أنها اضطرت إلى وضع بصمتها مما يجعلها حبيسة اللجوء الإيطالي.

بعد إطلاق سراحها وأطفالها، توجهت السيدة عبر رحلة قطارات طويلة إلى السويد لتقديم أوراق لجوئها التي تم رفضها لأنها قدمت بصماتها في إيطاليا، ولا تزال نسرين مع أطفالها في السويد تحت وطأة الانتظار عل وعسى يحدث ما يغير من واقعهم الصعب هناك.

شاهد عيان على قمع البوليس الإيطالي وانتهاكات حقوق الإنسان

قصة نسرين، تشابه قصة مواطنها ربيع، السوري المتعلم ابن العائلة ميسورة الحال والذي اضطرته الحرب في سوريا إلى الهروب والبحث عن ملجأ في قارة حقوق الإنسان، ليصطدم بواقع مشابه في الرحلة البحرية التي تشبه تفاصيلها ما وصفته نسرين، لكن الرجل وعند وصوله الأراضي الإيطالية، وأمام رفضه وضع بصمته هناك، تعرض للضرب بالهراوات من الأمن الإيطالي إلى حد كسر قدمه، وأمام وطأة الوجع الشديد، ورفض السلطات علاجه إلا بعد أن يقوم بوضع بصمته اضطر الرجل إلى الرضوخ ليتم تحويله إلى عملية جراحية في إيطاليا كانت مليئة بالأخطاء ضاعفت من حالته الحرجة، وتسببت في عاهة دائمة في قدمه.

وكما مواطنته، فهو موجود في السويد، ويقول لـ «القدس العربي» أن أوروبا مسؤولة سياسيا وأخلاقيا عن تداعيات الأزمة السورية، فهي طرف سياسي مؤثر، وعليها تحمل النتائج، وأن فتح ممرات آمنة وقانونية للاجئين وضمن إجراءات قانونية ممنهجة يقضي على كل عمليات التهريب بدون عناء.

ربيع، قال أنه توجه إلى بيروت من سوريا أول رحلته، وقصد السفارة السويدية طلبا للجوء، وأخبروه هناك أن اللجوء لا يكون إلا على الأرض السويدية، مما جعله يتساءل أمام طاقم السفارة عن هذه التعليمات الغريبة التي تجبر الناس على التهريب غير الشرعي إلى اوروبا.

ربيع الذي يخوض نزاعا قانونيا في اوروبا حول ما سببته «الإنسانية الأوروبية» له من عاهة مستديمة يتساءل عن الفرق بين سلطات البوليس والأمن في بلده وإيطاليا، خصوصا بعد تعرضه لهذا الاضطهاد الجسدي وهو اللاجئ إلى الأمان.

قمة بروكسل رفع عتب عن ضمير أوروبي مستتر خلف المصالح

وعودة لقمة بروكسل التي رأى فيها مراقبون أنها ليست أكثر من رفع عتب يحاول مجاملة الذات الأوروبية أكثر من معالجة الأزمة من جذورها، فإن البيان الصادر عنها لم يكن يقدم حلولا بقدر ما عكس أول طبقة من الجليد الظاهر على السطح لخلافات في العمق بين دول الاتحاد الأوروبي. حتى في الإجراءات العملية فإن القمة التي فكرت في إتخاذ بعض القرارات التي تخص التعامل مع المهربين، حيث درس الزعماء الأوروبيون فكرة توجيه ضربات عسكرية لعصابات التهريب التي تتخذ من سواحل شمال أفريقيا منطلقا لإرسال المهاجرين إلى أوروبا عبر المتوسط. لكن الخبراء يعتقدون أن مثل هذه الخطوة ستحتاج إلى تفويض أممي. كما ينتقدون قدرة أجهزة المخابرات على التعرف على عصابات المهربين وقد يؤدي ذلك إلى إلحاق الضرر بمدنيين أو صيادي السمك في المنطقة.

ومن الخلافات أيضا الإنقسام الأوروبي-الأوروبي حول التوزيع العادل للمسوؤلية في تحمل أعباء اللاجئين، ولعل هذا كان جليا من تصريحات الرئيس الفرنس فرانسوا أولاند التي قوبلت بالسخرية عموما حين أعلن أن فرنسا (من أكبر دول الاتحاد مساحة وقدرات) قادرة على استيعاب ما يقارب 700 لاجئ!! محصلة القول، فبين قمة أوروبية تحاول إرضاء الحد الأدنى من ضميرها الجمعي المختلف مع رأيها العام المنقسم على نفسه بين يمين و يسار، ودفق لجوء إنساني هربا من ويلات الحروب والأزمات التي تضطلع أوروبا فيها أدوارا مهمة، يتحول المتوسط يوما بعد يوما بأزرقه الصافي إلى مقبرة مفتوحة ويفصل بين شماله وجنوبه بقسوة الإنسان..

القدس العربي الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

قوارب الموت: عندما تكشف «زيف» الاتحاد الأوروبي وانهياره الأخلاقي

إبراهيم درويش

تداعى قادة الاتحاد الأوروبي في بروكسل يوم الخميس لبحث أزمة «قوارب الموت» التي باتت تضرب السواحل الأوروبية بشكل شبه يومي جالبة معها كوارث وموتا ومعاناة إنسانية. وليست هذه المرة الأولى التي تجد أوروبا نفسها أمام مشكلة المهاجرين غير الشرعيين الذين يعبرون الصحارى ويهربون من جحيم الحروب الأهلية في بلادهم بحثا عن «حياة جديدة» في أوروبا. فقد شهد البحر المتوسط خلال الأعوام الماضية ومنذ اندلاع ثورات الربيع العربي 2011 حوادث غرق لقوارب بدائية يسافر عليها المهاجرون الذين يستغلهم المهربون ويتركونهم في عرض البحر يواجهون مصيرهم. ففي الأسبوع الماضي غرق ما يقرب من 1200 مهاجر جاءوا من إريتريا وأثيوبيا وسوريا والصومال ومالي والنيجر وأبعد من هذه. وقد دفع كل واحد منهم مبالغ كبيرة للمهربين طمعا في وصول آمن للشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط ومنه إلى أوروبا. وما حدث الأسبوع الماضي وإن كان صادما إلا أنه جزء من حركة تاريخية طويلة للهجرة والتحرك عبر المتوسط. وقد أضحى البحر البوابة الوحيدة للعبور إلى أوروبا بعدما اتخذت دول مثل تركيا واليونان إجراءات لمنع التهريب عبر أراضيها كما أصبح عبور جبل طارق بالقوارب المطاطية صعبا ما يعني تضييق مناطق العبور في منطقة واحدة وهي إيطاليا التي باتت تستقبل آلاف اللاجئين الذين ترميهم القوارب أو ينقذهم خفر السواحل. ورغم تكرر حوادث الموت في عرض البحر إلا أن المهاجرين يصرون على قطع الرحلة الشاقة والموت في سبيل الوصول إلى أوروبا. ومنذ عام 1993 مات ما يزيد عن 30.000 شخص وهم يحاولون قطع المتوسط إلى الحدود الجنوبية لأوروبا، وبالتأكيد فالعدد أكبر من هذا.

ذعر ثم نسيان

والغريب أنه في كل مرة يموت فيها مهاجرون في البحر المتوسط يتداعى الأوروبيون لبحث الطرق لمواجهة الأزمة ويتبادلون الإتهامات فيما بينهم ويبحثون عن رمز للشر يوجهون له التهمة ويحملونه مسؤولية مآسي المهاجرين. وفي هذه المرة اختاروا رمز «المهربين» حيث تحدث المسؤولون في الاتحاد الأوروبي عن خطة من عشر نقاط تقوم على استهداف قوارب المهربين عسكريا وتدميرها. لكن المهربين قد تعلموا من الخبرة أن يغيروا قواربهم في عرض البحر وفي الفترة الأخيرة باتوا يتركونها تغرق لأن لديهم المال لشراء قوارب جديدة وبالتالي تسيير رحلات موت أخرى. وفي الغرب يتحول كل نقاش حول المهاجرين غير الشرعيين إلى سياسة محلية حيث تستغله حركات اليمين المتطرف لتوسيع قاعدتها الإنتخابية على حساب الأحزاب التقليدية. ففي بريطانيا التي ستشهد انتخابات عامة بعد اسبوعين يتجنب الساسة موضوع المهاجرين بسبب تحوله لجزء من برامج الأحزاب المتطرفة مثل حزب الإستقلال اليميني الذي يأمل في الحصول على بطاقة التأهل للبرلمان من خلال نقد سياسات حكومة الإئتلاف (المحافظون والليبراليون الديمقراطيون). والوضع نفسه في فرنسا ودول غرب أوروبا التي ازدهر فيها اليمين بسبب العداء للمسلمين والمهاجرين. ويحسن الساسة في الغرب لعبة تبادل اللوم حول من يتحمل مسؤولية موت المهاجرين، وينعكس هذا على طبيعة الحلول المقدمة. فالجميع – أي الساسة – لا يريدون مزيدا من المهاجرين على حدودهم، ومن هنا جاء الحديث عن دور «المهرب» الشخصية القاسية الذي يغلب شهوة المال على مصلحة الناس. وكعينة من المقترحات التي ترد في تحليلات الصحف فقد اقترحت صحيفة «دايلي تلغراف» (20/4/2015) معالجة المشكلة من جذورها في بلدان المهاجرين أي حل مشاكل الحرب والفقر في أفريقيا ومساعدة اقتصاديات الدول، لكن المقترح يظل مثاليا ولن يمنع المهاجرين خاصة الشبان الباحثين عن تجربة للسفر إلى مناطق جديدة.

صحيفة «فايننشال تايمز» (16/4/2015) دعت الأوروبيين لتمويل عملية إنقاذ جادة في البحر المتوسط خاصة أن هناك أعدادا متزايدة من المهاجرين الذين يحاولون الوصول إلى جنوب أوروبا. ودعت لشجب الكيفية التي ردت فيها الدول الأوروبية على الأزمة. واعترفت أن الفوضى التي تعم شمال أفريقيا قد حولت مشكلة هجرة مزمنة إلى أزمة.

مشيرة إلى أن عام 2014 شهد وصول 220 ألف مهاجرة بزيادة أربعة أضعاف عن العام الذي سبقه. وأشارت إلى عملية «ميرنوسترام» (بحرنا) للبحث والإنقاذ التي مولتها الحكومة الإيطالية وأوقفتها فيما بعد بسبب الكلفة المالية الباهظة 9 مليون يورو في الشهر. وقد شجعت العملية كما يقول معارضوها على تدفق المزيد من المهاجرين. وحولت الحكومات الأوروبية فيما بعد انتباها على ضبط حدودها. ولكن وقف عملية «ميرنوسترام» لم توقف دفعات المهاجرين. وترى «فايننشال تايمز» أن تخلي الحكومات الأوروبية عن مهام البحث والإنقاذ غير أخلاقي فإن كان الناس يخاطرون بحياتهم فيجب على أي دولة متحضرة أن لا تتهاون في إنقاذهم.

أزمة أخلاقية

وإلى هذا أشار الكاتب والمعلق البريطاني كينان مالك في مقال نشرته «نيويورك تايمز» إلى نتائج إلغاء عملية «ميرنوسترام» واستبدالها بعملية أصغر «تريتون». وحلل فيه سياسات الاتحاد الأوروبي الفاشلة في التعامل مع أزمة الهجرة، مشيرا إلى أن الاتحاد الأوروبي قام بتشكيل سياسات خاطئة أولاها، ما وصفه نقاد «أوروبا القلعة» جدار محمي بدوريات برية وبحرية ونظام مراقبة عالي الدقة. الأمر الثاني أن الاتحاد الأوروبي كما يرى مالك تعامل مع المهاجرين كمشكلة جنائية مما يعني أنه لا يستهدف فقط المهربين. مشيرا لحادث عام 2004 الذي قام فيه طاقم سفينة ألمانية بإنقاذ 25 أفريقيا كانوا على متن قارب مطاطي. وعندما وصلوا إلى ميناء صقلية تم اعتقالهم لتقديمهم المساعدة لمهاجرين غير شرعيين. ولم تبرأ ساحة الطاقم إلا بعد معركة قضائية استمرت 5 أعوام. وفي عام 2007 منعت السلطات الإيطالية قاربي صيد تونسيين أنقذا مهاجرين من عرض البحر ومنعت طاقمهما من الرسو على لامبوديزا، الجزيرة الواقعة بين تونس وصقلية. ولم تتم تبرئة ساحة التونسيين إلا عام 2011. وفي ملمح ثالث وقاصر محاولة الاتحاد نقل المشكلة إلى شمال أفريقيا بالتعاون مع الأنظمة هناك وتحويل خفر سواحلها لوكلاء يمنعون المهاجرين، كما فعلت إيطاليا مع القذافي عندما دفعت له قبل عام من الإطاحة 50 مليون يورو لمنع المهاجرين. وفعل الأمر نفسهمع المغرب وتونس ومصر. ويقول مالك إن «أوروبا القلعة» لم تؤد فقط لبناء حاجز نفسي حول القارة بل أقامت حاجزا عاطفيا حول حس أوروبا بالإنسانية وحتى يتغير هذا فسيظل البحر المتوسط «مقبرة المهاجرين».

خطة فاشلة

وفي هذا السياق توافق مجلة «إيكونوميست» على أن الإجراءات التي تقدم بها الاتحاد الأوروبي لن تنجح. فهناك مليون مهاجر في جنوب القارة ينتظرون الحصول على فرصة حياة أفضل من الواقع الذي يعيشونه. فالعالم العربي في حرب انهارت فيه دول وشعوب، وقد تمتد نزاعاته لعقود طويلة، وفي أفريقيا تعاني شعوبها من الفقر والكوارث الطبيعية. والغريب أن أوروبا المستقرة لم تفهم بعد طبيعة الخيارات الصعبة المطروحة على سكان الدول القابعة جنوبها. وترى أنه من الصعب التعامل مع أزمة اللاجئين لأن وجودها دليل على وجود الحرب. فأنت لا تستطيع وقف موجات الهجرة لأن تحقيق الأمن في ليبيا وسوريا وإرتيريا مثلا صعب. وفي الوقت نفسه لا تريد الدول الأوروبية السماح لكل المهاجرين لأنها تريد أن تختار من يهاجر إليها لا أن يختارها المهاجرون. لكن أوروبا وبعد جرائم الحرب العالمية الثانية لا يمكنها الإمتناع عن تقديم المساعدة لأي لاجئ. وترى المجلة أن الموقف الأوروبي خلال العام الماضي بدا مترددا ويعبر عن انهيار في الأخلاقيات لأن الدول الأوروبية لم تضع إلا نسبة قليلة من الجهود من أجل إنقاذ اللاجئين. فقد ناقشت دول بمن فيها بريطانيا أن زيادة نسبة نجاة اللاجئين ستكون عاملا في زيادة موجات المهاجرين. ووراء استعداد الدول الأوروبية الوقوف أمام موت المهاجرين على ويعتقد مالك أن خطة استهداف قوارب المهاجرين غير أخلاقية وستدفع المهاجرين للبحث عن طرق أخرى. وأمام هذا الفشل في السياسات يتساءل ما الحل؟ إلغاء فكرة «اوروبا القلعة» وتخفيف القيود على حركة المهاجرين وفتح المجال القانوني لهم للهجرة. قد يقول البعض أن هذا سيفتح الباب أمام تدفق المهاجرين، لكن تحصين أوروبا لم يمنع تدفقهم أيضا.

ولأن سياسة اللجوء في أوروبا تعني أنه يجب وصول المهاجر إلى الأراضي الأوروبية يخاطر المهاجرون بحياتهم للوصول إلى جزيرة لامبوديزا لتقديم طلب اللجوء. ومن هنا لا يمكن وقف قوارب الموت. وتقترح أن تتم معالجة المشكلة في المعسكرات التي يتجمع فيها المهاجرون قبل ركوبهم البحر، ودراسة طلبات اللجوء، فعندما يجد المهاجر أن طلبه نظر به فلا حاجة والحالة هذه لدفع المال للمهربين ومواجهة خطر الموت في عرض البحر. وتقول إن أوروبا لا يمكنها أن تضع حدا للعنف والفقر الذي يدفع الناس للهجرة ومع ذلك عليها أن تدعم جيرانها في الجنوب، وتدفع لتسوية في ليبيا بشكل سيؤدي إلى محاصرة المهربين. وعندما تبدأ أوروبا باستيراد المحاصيل المنتجة في شمال أفريقيا فقد تمنع المهاجرين الإقتصاديين من محاولة عبور البحر طالما أن هناك فرص عمل متوفرة. وفي المحصلة فحل مشكلة قوارب الموت تبدأ من أوروبا، فبدلا من التضييق على المهاجرين ووضع القيود إرضاء لمصالح انتخابية ضيقة على أوروبا التفكير بحكمة واحترام حاجة وإنسانية من دفعتهم الفاقة للبحث عن فرصة عمل شريفة، وتدفعه لركوب الطائرة بدلا من الجلوس في قوارب قديمة مزدحمة بالبؤس والتعب تتلاعب بها الأمواج ويحوم حولها ملاك الموت. وأهم ما كشفت عنه أزمة القوارب هذه «وهم» فكرة أوروبا التي تقدم نفسها كنموذج للدول الوطنية التي تعمل معا من أجل المصلحة المشتركة. وفي الوقت الحالي كشفت قوارب الموت عن خطل هذه الفكرة.

98 مهاجرا كانوا ضائعين في البحر وصلوا إلى تونس

نقلت ثلاث سفن صيد السبت إلى مرفأ جرجيس في جنوب تونس 98 مهاجرا افريقيا كانوا تائهين في البحر المتوسط بعدما حاولوا الوصول بطريقة غير شرعية إلى جزيرة لامبيدوزا الايطالية، وفقا لما قاله قبطان احدى هذه السفن. وقد تحدث الهلال الأحمر الجمعة عن 80 مهاجرا تائها في البحر.

وأوضح القبطان الذي طلب عدم الكشف عن هويته «رصدنا الجمعة مهاجرين ضائعين قبالة سواحل جرجيس، لكن بسبب سوء الأحوال الجوية لم نتمكن من ايصالهم إلى المرفأ إلا اليوم» موضحا ان المهاجرين كانوا على متن زورق مطاطي. وقال ابو بكر وهو أحد الناجين من ساحل العاج «غادرنا زوارة (مدينة ليبية شهيرة بمرفئها) الجمعة الساعة 00 ,5 صباحا (4.00 ت غ)، لكن الماء بدأ يتسرب إلى زورقنا عند الظهر، ومن حسن الحظ رصدنا صيادون تونسيون واتوا لنجدتنا».

وذكر رضى بلحاج مندوب الهلال الأحمر، ان الناجين هم ماليون وغامبيون وسنغاليون ومن ساحل العاج كانوا يريدون الوصول إلى جزيرة لامبيدوزا.

تحقيقات

الظروف الاقتصادية والتغيرات السياسية لها تأثيرها على حياة الحمام

«مطيرجية» العراق.. بين ماضٍ قاسٍ وحاضرٍ أقسى

بغداد - «القدس العربي»: صفاء ذياب

لم يكن عالم المطيرجية (مربو الطيور عموماً.. والحمام على وجه الخصوص) عالماً سهل الاقتحام، فعلى مدى أكثر من ستين عاماً كانوا منعزلين على أنفسهم، ويعيشون حياتهم بعيداً عن الشارع العراقي، ففي خمسينيات القرن الماضي لم يكن الأهالي يرحبون بهم، إلى درجة أنهم لا يزوجونهم من بناتهم، إلا إذا كان والد الفتاة مطيرجيا أيضا.. المشكلة الأكبر التي تواجههم، أن شهادتهم أمام المحاكم لم تكن مقبولة، حسب قول أبو محمد (76 عاماً) مضيفاً أن هذه الفقرة لم تكن ضمن القوانين العراقية أيام الملكية وما بعدها، غير أن القاضي بمجرد أن يعرف أن هذا الشخص (مطيرجي) يستبعده مباشرة بإعتباره شخصاً غير مرغوب فيه.

هواية الشباب

أبو محمد يتحدث لنا عن سنوات طويلة قضاها مع الحمام عندما كان مراهقاً، أي في خمسينيات وستينيات القرن الماضي. مبيناً أنه كان يسكن منطقة الفضل، وهي منطقة شعبية بالقرب من ساحة الميدان وسط بغداد، واشتهرت بالمطيرجية منذ ذلك الوقت: «كان فوق كل سطح من منطقتنا أبراج حمام، نستيقظ مع الخيط الأول للشمس لنبدأ بتطيير الحمام، عندها يتبارى أبناء المنطقة لمعرفة أيهم يملك الحمام الأفضل، من خلال (اللوت) وهي عدد تقلبات الحمام في الهواء، فضلاً عن التزاوج الذي كان له طرائقه الخاصة، فكلما كانت الأم من سلالة نقية، كانت أفراخها من السلالة نفسها، حتى تبقى السلالة مستمرة وتتطور مع الزمن».

غير أن نظرة المجتمع للمطيرجية جعل أهل أبو محمد يصرون على تركه هذه الهواية، خصوصاً بعد أن انتشرت إشاعة في الأوساط البغدادية أن المطيرجية منحرفون، وشاذون جنسيا، حسب ما يقول أبو محمد، إلا أنه يؤكد أن هذه التهمة غير صحيحة، فمجتمع المطيرجية فيه كما في المجتمع من طبقات ونماذج، فيه الصالح وفيه سيئ السمعة، غير أن هذا السيئ بدأ يغير من نظرة المجتمع لهذه الفئة الكبيرة.

الجنوب.. مصدر الحمام

على الرغم من شهرة سوق الغزل، وسط بغداد، في تربية وبيع الطيور بأنواعها، والحمام بشكل خاص، غير أن مدينة بغداد لم تكن المصدر الرئيسي للحمام ومهمنة المطيرجي. أقول مهنة، لأنها تتحول بمرور الزمن إلى عمل حقيقي وسعي لتحقيق الأفضل، ولكسب المال أيضاً، أما الهواة فلا يمكن إحصاؤهم، لأنهم يتزايدون باستمرار.

في بادئ الأمر، تعتقد أن بغداد بأسواقها ومحلاتها الكثيرة مصدر الطيور والحمام في العراق، غير أنك بمجرد أن تتجه لمدينة البصرة سوف تكتشف الفارق الكبير. ففي بغداد لا توجد مزارع وبساتين كبيرة للمطيرجية كالموجودة في البصرة، ولا توجد مسابقات كبيرة كالتي تقام في جنوب البصرة، وتحديداً بالقرب من الحدود الكويتية، حيث الصحراء والفضاء غير المحدود.

الشيخ أبو هاشم، وهو من أقدم مطيرجية البصرة، تحدث عن هذه الهواية منذ أن كانت بيوتهم من القصب، قبل أن تشق الطرق وتعبد في المنطقة، وكان بالقرب من بيوتهم القصب هذه، بيوت الحمام التي كانت تبنى من الصفائح، كان ذلك في العام 1935.

وقد كشف الحاج هاشم عن بعض أشهر مطيرجية البصرة خلال القرن الماضي وأنواع الحمام وأسمائها التي اشتهروا بها، مبتدئاً بحسين سكينة واشتهر بـ «رس العقارب» في الستينيات، وياسين مذكور من منطقة الجبيلة، واشتهر بـ «الأربش من رس المقنزع» سنة 1970، هاشم جلوب- أو هاشم كزيزة واشتهر بـ «الدخانيات» سنة 1960، وحسين بناي من منطقة الجبيلة واشتهر بـ «رس القنادي» سنة 1960، وعباس العاقول من منطقة بدران وقد اشتهر عنده «حمر الزوار» في الستينيات.

مجتمع مغاير

المطيرجي والمحكم حسن عنيد، الملقب بـ «المكش الذهبي» وهو المحترف في تطيير الحمام، يؤكد أنه لم يعد مجتمع المطيرجية مثل السابق، فقد كان أغلبهم من الأميين والفاشلين في المدارس، إلا أن هذا المجتمع في الوقت الحالي دخل إليه أناس لهم قيمتهم ووظائفهم المهمة، بسبب عشقهم لعالم الحيوان عموماً والطيور على وجه الخصوص، فتجد فيه اليوم القاضي والمحامي والضابط في الجيش والدكتور، الحياة مفتوحة الآن للجميع، وفي الوقت نفسه فإن مجتمع المطيرجية مختلف، «لأنه معتكف عن الناس، ومنعزل، لديه مزارع خاصة ولديه جمهور من طبقات مختلفة».

عنيد تحدث عن إحصائيات المطيرجية في مدينة البصرة فقط، فقد يتجاوز عدد المحترفين منها 750 شخصاً، أما الهواة والذين لديهم أعشاش الطيور ليست كبيرة مثل المحترفين فيتجاوزون الـ2000 شخص في هذه المدينة فقط، وهي النسبة الأعلى عراقياً.

«عالم المطيرجية اليوم دخل إليه متعلمون وموظفون ومهنيون، بسبب عشقهم لعالم الحيوان عموماً والطيور على وجه الخصوص»

القدس الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

بين العراق والكويت

كان العراق المصدر الرئيسي للحمام في الخليج عموماً والكويت على وجه الخصوص، واستمر هذا الوضع حتى ثمانينيات القرن الماضي، واندلاع الحرب العراقية الإيرانية، لتبدأ بعدها مرحلة احتلال الكويت وحرب الخليج الثانية التي أجبرت الكثير من مطيرجية العراق على هجر هذه المهنة أو الهواية، لأسباب كثيرة، منها عدم تمكنهم من تصدير الطيور أولاً، وخلو السوق من الأدوية التي تحتاجها الطيور ثانياً، والوضع المادي الصعب أثناء الحصار الاقتصادي الذي حال دون تمكنهم من شراء أنواع جديدة من الطيور.

المطيرجي حسن عنيد يبين أن هذه الفترة مثلما شهدت انتكاسة في سوق الحمام العراقي، شهدت انتعاشاً في سوق الحمام الكويتي، ففي الوقت الذي كان العراق يزاوج وينتج أنوعاً جيدة من الحمام، ويجري إرسالها إلى الكويت عن طريق الخليج العربي مستخدمين الكفة (وسيلة نقل نهرية قديمة) بدأ مطيرجية العراق شراء الحمام من الكويت. «الذي حصل أن مطيرجية الكويت طوروا هذه الهواية بشكل عجيب، فبدأوا يزاوجون بين أنواع مختلفة من الحمام من أجل إنتاج أجيال جديدة لها قدرات خاصة، فتمكنوا من تغيير شكل وجسم الحمام وألوانه بعد أجيال عدَّة... في بداية الأمر كانت ألوان الحمام المعروفة، الخمبي والأبيض والأسود، لكن هذه الألوان في الوقت الحاضر غير مرغوب بها، خصوصاً بعد ظهور ألوان جديدة ومغايرة».

أما أسعار الحمام في الوقت الحالي فقد وصلت إلى أرقام خيالية، فبعض الطيور يصل سعرها إلى خمسة آلاف دينار كويتي وأكثر من ذلك. «قبل مدة اشترى تاجر عراقي حمامة من الكويت بسعر عشرة آلاف دينار كويتي (أي ما يقارب 40 ألف دولار)». أما عن ارتفاع سعر حمامة دون أخرى، فيعود إلى أسباب كثيرة، أهمها عدد «اللوتات» التي تقوم بها، أي عدد تقلباتها في الهواء بعد ارتفاعها لخمسين متراً تقريباً، ومن ثمَّ نظافتها من العيوب، وإنطلاقها من برجها وكيفية العودة له، وأشار عنيد إلى أن الطيور لا تدرب، بل تبقى محافظة على سلالتها.

تطور الهواية عراقياً

لم يعد مطيرجية العراق عموماً، والبصرة تحديداً، مجرد عاشقين للحمام، يبنون برجاً فوق سطح دارهم ويخرجون ويصعدون عند الفجر لسطح الدار لكي يمارسوا هوايتهم، بل تطور الأمر لدخول رؤوس أموال وتجار عشقوا الحمام، فاشتروا مزارع وبنوا بيوتاً من أجل أن يمارسوا هذه الهواية على مدى أوسع، ولكي لا يزعجوا سكان المدينة، هربوا بهوايتهم إلى الصحراء، لتكثر مزارع الحمام على طريق سفوان (100 كم جنوب البصرة)، هذه المزارع التي تجاوزت، حتى الآن 600 مزرعة، في تزايد مستمر.

حسن عنيد وأخوه علي عنيد يملكان إحدى هذه المزارع، وقد أنشآها «لكي نبتعد عن المناطق السكنية أولاً، والسبب الأهم لكي تعيش الطيور فضاءً تأخذ به حريتها في التعليق» أما أشكال هذه المزارع فتختلف من واحدة لأخرى، بحسب ذوق المطيرجي أو إمكانياته المادية، لكن الأهم من هذا هو بيوت الحمام، «إذ نقوم بصبغ كل برج بلون معين لكي تتعود الحمامة عليه، فعندما تطير تعود إلى برجها الأخضر أو الأزرق على سبيل المثال، وكل برج يحتوي على أكثر من مئتين إلى ثلاثمئة حمامة. لكن المسألة لا تعتمد على العدد، بل على أنواع الطيور وسلالتها. مثلاً إذا جاءنا طير من الكويت اسمه (عين السيح) أو (أوبك)، فنقوم بتركيب الحمام مع بعض من خلال التزاوج، لننتج أنواعاً جديدة. لكن الأجيال الجديدة تبقى مرتبطة باسم (عين السيح) الأم، المشكلة أن الزمن سرقنا، والكويتيون قاموا بما لم نقم به سابقاً من تطوير وتزويج الحمام والمغايرة في جيناتها، أما إذا أردنا أن نواكب ما فعلوه فنحتاج لعقود لكي نتمكن من إنتاج أنواع جديدة من الحمام».

مسابقات سنوية

كانت مدينة البصرة هي الرائدة في إقامة مسابقات سنوية عراقياً للحمام، انطلقت هذه المسابقات التي أطلقوا عليها اسم (أسوار البصرة) قبل أربع سنوات، كانت جوائزها في بداية الأمر بسيطة جداً، لكنها ارتفعت مع زيادة عدد المشتركين.. يقول المحترف حسن عنيد «كل مشترك يدفع 150 ألف دينار (بحدود 125 دولاراً) كبدل اشتراك، تبدأ المسابقة بتشكيل لجنة من الحكام، تقوم بفحص الطيور التي ستشارك في المسابقة السنوية، نبدأ من الخور إلى منطقة الكرمة، ومن الكرمة لطويبجة، وهكذا حتى نتمكن من تغطية مناطق البصرة جميعها».

مضيفاً أن لجنة التحكيم تبدأ من أحد أبراج الحمام لتنتقل إلى البرج الثاني وتختار الحمامة الأفضل، وهكذا تستمر عملية التحكيم حتى يتم اختيار أفضل أنواع الحمامات التي تدخل ضمن المسابقة. «الطير الذي يدخل في المسابقة، نصنع له حجلاً، حلقة فيها شعار الدورة ويلبس في قدم الحمامة، وهذا الحجل يثبت أن صاحب الحمامة فني حمام، ولا يدخل طير في المسابقة إلا إذا كان يحمل هذا الحجل».

في الدورة الماضية، حصل عنيد على الجائزة الأولى التي كانت قيمتها 4 ملايين دينار عراقي (أي ما يقارب ثلاثة آلاف و300 مئة دولار) لكن المسابقة التي ستقام هذا العام ستضاعف عدد المشتركين، لهذا كان قرار لجنة التحكيم أن تكون الجائزة سيارة حديثة.

أما معيار الفوز بالجائزة، فيشير عنيد إلى أن الظروف الجوية لها تأثير كبير على اختيار الحمامة الفائزة، ومدرب الحمام ليس له أي سلطة عليها بمجرد أن تطير، فإذا طارت الحمامة ومر صقر بالقرب منها تخلخلت وربما سقطت، أو إذا كانت الريح عالية، «تبدأ قاعدة التحكيم بـ(الكومة)، وهي ارتفاع الطير من برجه إلى السماء، والقاعدة الثانية عدد العيوب التي في الحمامة، فكلما كانت العيوب قليلة حصلت الحمامة على درجة أعلى، القاعدة الثالثة (المشاغل) وهو عدد تقلبات الطير في الهواء، والقاعدة الأخيرة عودة الحمامة إلى برجها بشكل عمودي وليس مائلاً».

مشاكل من دون حل

المطيرجية شريحة كبيرة تعاني من مشاكل عدَّة، مثلما تعاني بقية شرائح المجتمع العراقي، المشكلة الرئيسية التي يعانون منها هو عدم وجود الدعم الحكومي. المطيرجية الكويتيون، على سبيل المثال، وقف بجانبهم أمراؤهم وشيوخهم، فتمكنوا من بناء مجمعات كاملة لتربية الطيور وتحسين أنواعها، لكننا في العراق لا نستطيع عمل أي شيء، فالشرطة والبلدية تقف حائلاً دون أي مشروع، حتى أقفاص الحمام في منازلنا يأتون ويهشمونها في بعض الأحيان.

المطيرجي علي عنيد، يوضح أننا متأخرون عن الكويت أكثر من عشرين عاماً في تربية الحمام، بسبب الظروف التي مررنا بها، فالطيور بحاجة لسنوات من أجل التزاوج وتغيير الجينات، وهو ما لم نستطع عمله خلال العقود الماضية، «غير أننا الآن بدأنا بتطوير هذه الهواية، مثلاً المطيرجي جواد أبو حيدر أنشأ شركة أمجاد البصرة للحمام، وهي شركة متخصصة بتربية الحمام وتطوير جيناته، ومن ثمَّ إنتاج أجيال جديدة من الممكن أن تغير الكثير خلال السنوات المقبلة».

المشكلة الرئيسية التي يعاني منها مطيرجية البصرة تكمن مع شرطة الحدود، فما أن يأتي طير إلى البصرة، بعد عبوره بشكل رسمي من قبل الحدود الكويتية، حتى يقوم شرطتنا بقطع رأسه بحجة أنه لم يدخل للفحص الطبي، وقد طالب المطيرجية، على حدِّ قول عنيد، بوضع مقر طبي بالقرب من سيطرة الحدود من أجل فحص الحمام والتأكد من سلامته قبل دخوله العراق، إلا أن الأمر لم يلتفت إليه، فبقينا نخسر عشرات الآلاف من الدولارات في كل مرة، «وأيضاً عندما نقوم نحن بتصدير الطيور، ترفض الحدود العراقية والكويتية معاً دخول هذه الطيور، فلا يوجد بروتوكول تبادل بين البلدين». مبيناً أنهم عندما طالبوا بحقوق بسيطة من أجل إنشاء تجمع أو منظمة لحماية حقوقهم فوجئوا بأن المسؤولين يضحكون منهم باعتبارنا شريحة لا تمثل أية جهة، «وإذا أردنا أن نكون قوة تستطيع حماية نفسها، فيجب أن ندخل جميعنا في حزب واحد وهو من يدافع عنا، لكن هذا غير ممكن، فلا نستطيع إقناع الجميع بحزب دون آخر، وهو ما لم يحدث بين أفراد العائلة الواحدة، فكيف بشريحة كبيرة مثل المطيرجية». ويؤكد عنيد أن حياة المطيرجية مرهونة بالعلاقات السياسية والاقتصادية، فإذا أغلقت الحدود بين الكويت والعراق ذات يوم، مثلما حدث في تسعينيات القرن الماضي، ستتوقف حياتهم من دون أن تتحرك الحكومة، ولا أي جهة سياسية، لأنهم يعيشون على هامش المجتمع، والديمقراطية التي حدثت في العراق لم تغير شيئاً، لا من حياة المطيرجية ولا من نظرة المجتمع لهم.

«كان فوق كل سطح من منطقتنا أبراج حمام، نستيقظ مع الخيط الأول للشمس لنبدأ بتطيير الحمام، عندها يتبارى أبناء المنطقة لمعرفة أيهم يملك الحمام الأفضل»

حوار

حجاج نايل الأمين العام للتحالف العربي لإنقاذ السودان في حديث لـ«القدس العربي»:

هدفنا الأساسي كسر الصمت العربي تجاه الأزمة السودانية

القاهرة – «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

ظلت الدول والمنظمات العربية بعيدة عن الأزمة السودانية لفترات طويلة، لكن في الفترة الأخيرة ظهر إهتمام عربي بما يدور في السودان وتم في القاهرة تكوين التحالف العربي لأنقاذ السودان. ولمعرفة الكثير عن هذا الموضوع طرحنا أسئلتنا على حجاج نايل رئيس مجلس إدارة البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان والأمين العام للتحالف العربي لإنقاذ السودان.

■ بدءا ماذا يعني التحالف العربي لإنقاذ السودان؟

□ **هو عبارة عن مؤسسة ضخمة أصبح لها دور فعال ومؤثر، وكبرت وانتشرت من خلال برنامج ينفذه البرنامج العربي للإصلاح وكان اسمه «أنقذوا دارفور قبل فوات الأوان» أنشئت في عام 2007 وكان البرنامج يركز على وقف جرائم القتل والحرق والاغتصاب التي تحدث في دارفور وذلك على خلفية أن كل العالم يهتم بقضية دارفور ما عدا العالم العربي. وهذا الصمت العربي المريب، سواء أكان رسميا أو أعلاميا أو شعبيا، كان لا بد من كسره لإدراكنا أن ما يحدث في السودان هو أضعاف أضعاف ما يحدث في دول عربية أخرى تهتز لها الجامعة العربية والدبلوماسية العربية. ما يحدث في السودان قتل بالآلاف للمدنيين بواسطة طائرات «الإنتنوف» وأيضا هنالك قتل من حاملي السلاح. لذلك كانت الحملة قوية جدا تحت شعار «إنقذوا دارفور قبل فوات الأوان» وتم التنسيق مع عدد كبير من المنظمات الدولية والإقليمية.**

■ وكيف تم كسر ما تسميه الصمت العربي تجاه أزمة دارفور؟

□ **عملنا على كسر هذا الصمت وبالفعل في عام 2008 تمكنا من جمع أكثر من 51 منظمة إقليمية ودولية في لقاء كبير وتم تأسيس التحالف العربي من أجل دارفور والتنسيق مع جامعة الدول العربية في عدة لقاءات جمعتنا بالسفير صلاح حليمة. وفي العام الماضي تم تغيير الاسم إلى «التحالف العربي من أجل السودان» لأن دائرة القتل امتدت إلى جبال النوبة والنيل الأزرق والعديد من المناطق التي تشهد نزاعات وانتهاكات في مجال حقوق الإنسان.**

كان الهدف من تأسيس التحالف في ذلك الوقت هو وضع الأزمة السودانية على أجندة الإعلام العربي والرؤساء والملوك العرب و نجحنا في ذلك أكثر من مرة، حيث نسقنا مع جامعة الدول العربية وأرسلنا وفدا إلى منظمة المؤتمر

لا ننحاز لطرف ضد الآخر لكن الحكومة السودانية منعتنا من الوصول للضحايا

القدس الاسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

الربيع العربي وتداعياته جعل ما يحدث في السودان في مؤخرة أجندة الإعلام

نعيد نشاطنا وتواصلنا في المنطقة العربية وربما تشهد الفترة المقبلة تنشيطا أكثر ولدينا استراتيجية أخرى هي ضرورة دعم أنشطة المجتمع المدني السوداني لأنه المعني أساسا بهذا الحراك.

■ حملتكم لإطلاق سراح المعتقلين السياسيين في السودان على ماذا ترتكز وإلى أين وصلت؟

□ أعتقد أن النظام السوداني بدأ يتخبط في الفترة الأخيرة ويظهر ذلك في الإعتقالات الأخيرة سواء لرموز المجتمع المدني التي لا تحمل سلاحا ويثير قلقنا ما يحدث من اختطاف في مناطق الصراع وفي الخرطوم أيضا، وهناك إختفاء قسري على نطاق واسع جدا، نراقب في ذلك ما يقوم به النظام السوداني من تعديلات دستورية تكرس للهيمنة.

وأقول إن النظام السوداني لم يترك لنا فرصة كي نهدأ قليلا، فقبل أن تنتهي حملة نقوم بها يقوم النظام بتصرف آخر يجعلنا نبتدر حملة جديدة. وبخصوص هذه الحملة سوف نتواصل مع المؤسسات الإقليمية والدولية التي تعمل في مجال حقوق الإنسان ومع هيئات الأمم المتحدة وسوف نتواصل مع كل أشكال الإعلام حتى يتم الإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين والتراجع عن التشريعات التي تكرس للإنتهاكات ونسعى لوجود حوار حقيقي بين النظام وكافة القوى السياسية حتى يتم وقف قذف المدنيين بـ«الإنتينوف» وحتى نضمن عدم انفصال جزء آخر من السودان.

■ من أين تحصلون على تمويل أنشطتكم في ظل الإستقطاب الحاد والأجندة المتقاطعة ولغة المصالح؟

□ التحالف العربي من أجل إنقاذ السودان يضع شرطا أساسيا لقبول أي دعم من أي جهة ومن أي طرف. وذلك حتى لا يؤثر هذا الدعم على استقلاليته وحياده. نحن لم نتدخل في القضية السياسية السودانية وأتحدى من يقول أننا نتدخل لحساب طرف ضد آخر.

نحن مثل كل منظمات المجتمع المدني نركزعلى الجانب الإنساني في الصراع على وصول الإغاثة وعدم تعرض المدنيين لإنتهاكات وهنالك عشرات المنظمات الدولية التي تدعم مثل هذا النشاط دون أجندة سياسية، ولم يثبت علينا إنحياز ضد سلوك الجماعات التي تحمل السلاح وضد إنتهاكات الحكومة، ولذلك نجد دعما من بعض المؤسسات الدولية المحترمة ونجد دعما عربيا كما يحدث من الصناديق الكويتية ونبحث عن مزيد من الدعم طالما أنه لا يؤثر على مبادئنا.

■ التحالف العربي من أجل إنقاذ السودان اسم له دلالاته، خاصة وأن البعد الأفريقي يشكل جزءا مهما في الأزمة، حيث يعتقد البعض أنه الأكثر تأثرا بالإنتهاكات؟

□ هذا صحيح، فقد عانينا كثيرا حتى يعرف السودانيون طبيعة التحالف وتعرضنا لهجوم عنيف في المؤتمرات التي قمنا بتنظيمها في الخرطوم ودارفور ومرد ذلك إلى الغياب العربي عن الإهتمام بالسودان. الشعب السوداني لم يشعر بالتضامن العربي ولا التضامن الخليجي الحقيقي، حتى بعض الصناديق القطرية والكويتية والأماراتية لا تقوم بتوزع مساعدات إنسانية إلا على فترات متباعدة مع عدم وجود اتصال مباشر، وقد عانينا كثيرا من السخرية والمقارنات لكن مع اصرارنا وبمرور الوقت، تم التأكد من مصداقية التحالف العربي من أجل إنقاذ السودان، ولدينا تنسيق مع تحالف عريض للعديد من المنظات الأفريقية خاصة مع «دارفور كونسورتيوم» وقد اصبحوا الآن «سودان كونسورتيوم» ومقرهم في كمبالا ونحن موجودون في مؤتمرات القمة الأفريقية، البعد الأفريقي نصب أعيننا وكذلك العربي لكننا نركز على البعد العربي لأنه مفقود، فالعرب لا يعطون الأزمة السودانية القدر الكافي من الاهتمام وأقول لك إن التحالف العربي لإنقاذ السودان موجود لتعويض الغياب العربي المطلق في هذه الأزمة.

الإسلامي في جدة وشاركنا في القمم الأفريقية في أديس ابابا وفي مؤتمرات موازية للقمم العربية في شرم الشيخ وغيرها وطالبنا الجميع بالكف عن دعم الحكومة السودانية التي تقتل شعبها وتقوم بكل هذه الإنتهاكات.

■ ما هو تأثير كل هذه المحاولات؟

□ اكتشفنا مع مرور الوقت أن الأزمة السودانية أكبر مما كنا نتصور حيث عجزت كل محاولات الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي وجولات امبيكي والمباحثات العربية الثنائية وعلى سبيل المثال، رغم جهود منبر الدوحة والاتفاقات التي تمت مع بعض الجماعات المسلحة، إلا ان الوضع لا يزال كما هو، التحالف بدأ بـ 50 منظمة والآن يضم 143 منظمة عربية منتشرة في أكثر من عشرين دولة وهذا أكبر دليل على أن هناك أثرا لما نقوم به وأصبحنا نضغط من خلال وسائل الإعلام وأكبر دليل على ما أقوله، هو الحملة العظيمة التي نظمها أصدقائي في التحالف العربي من أجل السودان بخصوص اطلاق سراح المعتقلين السياسيين والتي أحدثت دويا كبيرا حتى على المستوى الدولي.

■ ماذا تم تحديدا؟

□ قمنا بالتنسيق مع البرلمانيين العرب ونظمنا مؤتمرا وعرضنا أنشطة في البحرين ودول الخليج وفي اليمن وأسسنا فروعا للتحالف في جميع الدول العربية والأقوى من ذلك ذهبنا للسودان ونظمنا بالتنسيق مع مركز «الخاتم عدلان» عددا من الفعاليات في الخرطوم وطالبنا – أكثر من مرة – بالذهاب لدارفور لتقصي الحقائق ميدانيا، لكن دائما يتم رفض طلبنا وجلسنا مع الدكتور غازي صلاح الدين مسؤول ملف دارفور في ذلك التوقيت وكانت معنا وفود من الكويت ومصر واليمن والجزائر وسوريا واستمرت مباحثاتنا ساعات مع غازي صلاح الدين ووعدنا بتصاريح لزيارة دارفور لكن ذلك لم يتم ولم يوافق النظام.

■ لماذا لا تتعاون معكم السلطات السودانية هل تشك في أنكم غير محايدين؟

□ هذا السؤال كان محل نقاش قوي داخل التحالف العربي، لقد أكدنا مرارا وما زلنا نؤكد، بأن هدف التحالف هو إنساني في المقام الأول يستهدف توصيل الإغاثة للمدنيين وتوفير الحماية لهم ولم نتدخل أصلا في العملية السياسية، وكنا نتحدث عن الإنتهاكات التي تحدث للمدنيين وليس للمتحاربين. وفي عام 2010 وأثناء الجمعية العمومية للتحالف العربي تم طرح سؤال مفاده: ما هو مستقبل العلاقات مع الأطراف المتصارعة في السودان؟ وتم الإتفاق من جميع الأعضاء على فتح حوار مع جميع أطراف الأزمة السودانية بما في ذلك الحكومة، وطرحنا هذا الأمر على جميع الأطراف ووجدنا استجابة كبيرة إلا من الحكومة التي أصرت على موقفها وارسلنا للسفارة السودانية في القاهرة وكنا في حوار غير رسمي مع مسؤول المؤتمر الوطني في القاهرة – آنذاك – وليد سيد، وكانت لديه تحفظات كبيرة على التحالف العربي لإنقاذ السودان وطلب من التحالف فصل عدد من الأعضاء السودانيين مثل الدكتور أمين مكي مدني وغيره بحجة لم تكن مقنعة، كما أن فصل الأعضاء في التحالف لا يتم بهذه الطريقة وكان هذا شرطه للحوار مع التحالف، ورغم ذلك ظللنا نقدم لهم الدعوات في الأنشطة والفعاليات وطلبنا مشاركتهم حتى في المؤتمرات الصحافية للرد على استفسارات الصحافيين لكنهم لم يستجيبوا للأسف، وهذا حال كل الأنظمة العربية وليس الحكومة السودانية فقط.

■ مع عدم قدرتكم على الوصول إلى مناطق النزاعات والمناطق التي يحتمل أن تحدث فيها إنتهاكات، كيف تحصلون على معلومات حقيقية وأرقاما موثقة تعتمدون عليها؟

□ اكتسبنا مصداقية وثقة عبر الأنشطة التي كنا نقوم بها والمعلومات التي نتحصل عليها منذ عام 2008 ونظمنا أنشطة في دول عديدة ندوات في تونس وذهبنا إلى قطر وقابلنا مسؤولي الخارجية ورموز المجتمع المدني من أجل إحداث موازنة في تبني قطر للقضية دارفور. وفيما يتعلق بسؤالك فقد لاحظ نشطاء المجتمع المدني السوداني ما نقوم به من مجهود وكانوا شريكا قويا ومحترما طوال السنوات الماضية، وفي حقيقة الأمر لدينا تنسيق تام مع كل بؤر الصراع في السودان، خاصة في مجال المعلومات الخاصة بالإنتهاكات وهناك تنسيق يومي في كل ما يحدث بطبيعة الحال فمع وجود وسائل الإتصالات والتواصل الحديثة لم يعد من الممكن إخفاء شيء.

■ هل هناك تنسيق وتعاون بينكم وبين المنظمات الدولية والإقليمية التي تعمل في المجال نفسه؟

□ هنالك بعدان في هذا الإتجاه، الأول أن يكون كل الأعضاء عرب وكل النشاط عربيا وذلك من أجل تفادي ما ترده الحكومة السودانية من أن الغرب هو الذي يحرك الأحداث و«نظرية المؤامرة « التي يعيش فيها كل الحكام العرب. لكن على مستوى البعد الثاني نحن نقوم بتنسيق قوي مع العديد من المنظمات الدولية حول الأزمة السودانية وكان لدينا مؤتمر مشترك في أسبانيا ولدينا شراكات مع المنظمة العربية لحقوق الإنسان ومع مركز القاهرة لحقوق الإنسان.

■ رغم توسع دائرة الحرب من دارفور إلى جبال النوبة والنيل الأزرق تراجعت القضية السودانية في أجندة الدول العربية إلى مركز متأخر وذلك بسبب ثورات الربيع العربي وتداعياتها ووجود تنظيم الدولة وغيره من الحركات المسلحة، في ظل هذه الأوضاع كيف تستعيد الأزمة السودانية موقعها في صدارة الإعلام العربي؟

□ أحيلك في الإجابة على هذا السؤال إلى أرشيف «التحالف العربي لإنقاذ السودان، فقد أقمنا قبل عامين ونصف مؤتمرا بعنوان «تأثير الربيع العربي على الأزمة السودانية» خلص إلى وجود تأثير سلبي للربيع العربي على الأزمة السودانية وكانت في السابق معاناتنا من غياب الإهتمام بالشأن السوداني في أجهزة الإعلام العربية، فما بالك مع وجود ثورات الربيع العربي وتنظيم الدولة والقاعدة وما يحدث في سوريا والعراق.

وعلى سبيل المثال كان لدينا نشاط كبير في سوريا والعراق والبحرين ولدينا مجموعات في هذه الدول وغيرها تقوم بالتركيز على الأزمة السودانية، ولكن منذ اندلاع ما يعرف بالربيع العربي تراجع الإهتمام بالشأن السوداني وما زلنا نبحث عن مخرج تجد من خلاله أنشطة التحالف العربي من أجل السودان الإهتمام رغم ما يحدث في المنطقة العربية، وبدأنا في الفترة الأخيرة

143 منظمة تعمل في 20 دولة عربية لإيقاف الإنتهاكات التي تحدث في السودان

كتب

«رسالة الغفران» وفلسفة الترجمة

نصّ

إبراهيم عبد القادر المازني

قرأت هذه «الرسالة» فذهبت أُفكِّر في ترجمة الأدب من لغة إلى لغة كيف ينبغي أن تكون؟ أنجعلها حرفية دقيقة بغير نظر إلى ما بين اللغات من فرق في الذوق، وطريقة تأليف الكلام «على معاني النحو» كما يقول الجرجاني، وما بين أبنائها من اختلاف في أساليب التفكير والتناول؟ إن الأمانة تقتضي هذا، ولكن الأمانة لا تهون في كل حال، ولا سيما إذا عَظُم الاختلاف بين لغتين كالعربية والإنكليزية، وبعدت مسافة الزمن بين العصر الذي ننقل منه والعصر الذي ننقل إليه، فكان لهذا أثره حتى في الأجيال المتعاقبة من أمة واحدة، فما ظنّك بأمتين، غربية حديثة، وشرقية قديمة؟ أم نتصرف كما تصرف فتزجرلد حين نقل «رباعيات الخيام» من الفارسية إلى الإنكليزية فطرح الثوب وتحفظ بالروح ونظم معانيها شعرًا إنكليزياً سلساً يطيب وروده على الأذن ولا تنفر منه أذواق قومه؟

وليس لي علم بالفارسية، غير أني قرأت ترجمات عربية شتى لهذه الرباعيات عن الفارسية، بعضها منثور والبعض منظوم، قيل في وصفها إنها حرفية، وأنا أفضّل ترجمة فتزجرلد ولا أعدل بها شيئًا، لأنها شعر استطاع قائله ـ ولا أقول مترجمه ـ أن يكسبه جمالاً ويجعل له سحراً، ولكن هذه لا تُعدُّ ترجمة بالمعنى الصحيح، وأصدق ما يقال فيها – في رأيي – إن فتزجرلد استوحى معانيها من الخيام، ولم يتقيد بالأصل، بل أرسل نفسه وهو ينظمها على سجيته وسجية قومه.

ويقول بيتس E. S. B. Bates في كتابه «دراسات في الترجمة» ما معناه أن الترجمة الأدبية لا ينبغي أن تقتصر على أداء المعنى فحسب، بل يجب أيضاً أن تنقل روحه إلى القارئ، وأن لا تكون في ثوبها المستعار أقل روعة أو جمالاً أو قوة منها في ثوبها الأصلي. ويذهب تتلر A. F. Tytler إلى أن الترجمة ينبغي أولاً أن تكون دقيقة الأداء للمعاني التي في الأصل، وثانياً أن يكون للأسلوب وطريقة الأداء الطابع نفسه الذي للأصل، وثالثاً أن يكون للترجمة كل ما للأصل من سهولة التأليف وسلاسة الإنشاء، ولكنه يجيز بعض التصرف في الشعر؛ لأن روح الشعر ألطف من أن يحتمل الالتزام الدقيق للأصل، وأخلق به أن «يتبخر» إذا بالغ المترجم بالتقيد.

وأحسب أن من العسير فرض قانون يلتزمه كل مترجم في كل حال، أو وضع قاعدة لا يتزحزح عنها مقدار شعرة، ولكن من المُسلَّم فيما أرى أن الأمانة شرط لا مَعدَى عنه، وليست الأمانة أن تؤدي المعنى وحده، بل ينبغي كذلك أن تحرص على «شخصية» الكاتب، وإذا قلت الشخصية فقد قلت الأسلوب، وطريقة تناول الموضوع وعرضه، والنهج الخاص في تأليف الكلام، فإن المعنى الواحد يكتبه رجلان، فيكون بينهما تفاوت، ويوجهه كلٌ منهما وجهته وينظر له من ناحية غير صاحبه، ويخلطه في نفسه بغير ما يخلطه ذاك، ويزاوج بينه وبين ما عنده، ويولد من هذا التزاوج آخر قد يجيء مختلفاً جداً على الرغم من التشابه العام، كما يتشابه الشقيقان، وهما بعدُ اثنان متميزان.

***

و«رسالة الغفران» التي ساقتنا إلى هذا الحديث، هي – كما يعرف القارئ – لأبي العلاء المعري، وسبب كتابتها أن ابن القارح حُمِّل رسالة إليه، فأضاعها، فكتب إليه يعتذر، وتكلف في اعتذاره أن يُظهر علمه وفضله وأدبه، فرد عليه أبو العلاء برسالة الغفران، وقابل ما تكلف من العلم بمثله فأغرقه في بحر من علمه بالأدب ونقده الشعر، وأحاط ذلك بإطار من الفكاهة، وتخيل ابن القارح في الجنة يطوف بها ويرى ويسمع إلى آخر ذلك.

كان الأستاذ كامل الكيلاني قد نشر «مختصراً» لهذه الرسالة، احتفظ فيه بإطار القصة، ولم يستَبق من غيرها إلا ما لا غنى عنه للسياق، فيسر قراءتها للقارئ العادي الذي لا يعنيه التوفر على الدرس والتحصيل.

وقد نقل المستر ج. براكنبري هذا المختصر إلى اللغة الإنكليزية نقلًا حرفياً في الأغلب، ولم ينبه إلى أن هذه ترجمة المختصر لا الأصل، فالقارئ الإنكليزي الذي لا يعرف ذلك قد يذهب إلى رأي في المعري لا مسوِّغ له في الحقيقة؛ لأن ما حُذِف من العناصر الأدبية واللغوية في المختصر كثير والباقي لا يكفي للتعريف بما قصد إليه أبو العلاء. (...)

وما أظن إلا أن القارئ قد أدرك أنّا كنا نؤثر أن يترجم النص الكامل للرسالة لا المختصر، وإن كنا لا يسعنا إلا أن نعترف بأن النص الكامل كان خليقاً أن يُنفِّر القارئ الإنكليزي ويتعبه، ولكن التعب الحاصل على الحالين، فإن المختصر نفسه لا يوائم ذوق الغربي، ولا يجري على ما أَلِف، ولما كان الغرض من الترجمة أن يطلع الإنكليز على مثال من الأدب العربي، فقد كان الإنصاف يقتضي أن يُعرَض على أصله وحقيقته، غير مبتور أو منقوص، وليس الحذف من عمل المستر براكنبري، فما عدا أنْ نقل المختصر المنشور بأمانة ودقة، فلا لوم عليه، وإنه لمشكور على مجهوده الذي لا نشك في أنه سيفوز من قومه بحقه من التقدير.

عن مجلة «المقتطف»، نيسان (أبريل) 1944

مشرحة السخرية

في مقتبل حياته الجامعية كان الأديب المصري إبراهيم عبد القادر المازني (1890 ـ 1949) قد فرّ من دراسة الطبّ لارتياعه من مشاهد تشريح الجسم البشري؛ لكنه صرف بقية عمره وهو يشرّح نصوص الآخرين، أدباً وترجمات، ولا يخرج من خصومة حتى يدخل في أخرى. وتلك كانت معارك أدبية طاحنة، خاضها المازني ضد أعدائه وأصدقائه، سواء بسواء، وشملت أمثال أحمد شوقي وطه حسين وعباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي وخليل مطران وعبد الرحمن شكري وأحمد زكي أبو شادي وعلي محمود طه... فضيلة تلك المعارك، الأهمّ ربما، أنها أتاحت للمازني أن يُعلي قيم التجديد والتحديث، بل الحداثة في معانيها العصرية والمستنيرة، ضدّ التقليد والجمود والنزعات المحافظة التي كانت تعشش في الحياة الأدبية المصرية، والعربية، عموماً.

فضيلة ثانية هي حسّ النقد الذاتي، إذْ لم يوفّر المازني ذاته في جوانب عديدة، لعل أشدّها جرأة كانت كشف مظاهر الاختلال في علاقته بأسرته؛ وهذه ـ في تلك الأزمان، على وجه التحديد ـ كانت سمة نادرة ومحرجة وأقرب إلى المحرّم. وأمّا السمة الأسلوبية الأبرز فقد كانت نبرة السخرية العالية من الخصوم، والتهكم الشديد على أقوالهم وأفعالهم وشخوصهم، بلغت أحياناً درجة مفرطة وتجريحية.

وكان ولع المازني بالترجمة قد أعطى حصيلة غنية من النصوص، في الشعر والنثر؛ حتى أنّ العقاد منحه شهادة عزيزة المنال: «لم أعرف فيما عرفت من ترجمات للنظم والنثر أديباً واحداً يفوق المازني في الترجمة من لغة إلى لغة شعراً ونثراً». وبالطبع، كان ذلك الولع قد مكّن المازني من عشرات المؤلفات في الأدب والنقد والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع، فصار أحد أكثر كتّاب عصره اطلاعاً على ثقافات الأمم، وبات بالتالي أكثر قدرة على تطوير آرائه الحداثية، وكذلك مقارعة خصومه! وأمّا في الشعر فإنه كان، إلى جانب العقاد وشكري، أحد كبار مؤسسي مدرسة الديوان؛ فدعا إلى التجديد، ومارسه عملياً في قصائد كثيرة، وتجاسر على اللعب بعمود الشعر، وكسر رتابة القافية، ودافع عن «الشعر المرسل»، وانتهج موضوعات فلسفية لم تكن مألوفة في أغراض الشعر يومذاك، وأدخل في شعره تضمينات واقتباسات من الآداب الغربية؛ ثمّ اتخذ، سنة 1917، قراراً دراماتيكياً هو التوقف نهائياً عن كتابة الشعر، والانصراف إلى النثر وحده.

أعمال المازني كثيرة، لعلّ أشهرها «حصاد الهشيم» و«صندوق الدنيا»، في المقالة؛ و«خيوط العنكبوت»، «إبراهيم الكاتب»، «عود على بدء»، «في الطريق»، «إبراهيم الثاني»، «قصة حياة»، «سحر الحبّ»، «الشاعر المحتضر»، «كأس النسيان»، في النثر والشعر.

القدس العربي الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

«فبصرك اليوم حديد» للشاعر السوري موسى عباس

الشعر والفن التشكيلي والتراث

أحمد الحسين

لا يسعى الشاعر موسى عباس في مجموعته الصادرة حديثاً إلى الدخول في عالم الشعر عبر المختلف والمغاير، بل يحاول أن يدخل هذا العالم المحيِّر من زوايا هادئة، لا تريد أن تكسر المألوف، فلا يحمل الشاعر معه أوهاماً أو طموحات في إمكانية أنه سيغيّر العالم بالشعر، أو أن العالم سيتمّ «فتحه» شعرياً. يدخل الشاعر بوابة الشعر من أبواب التعبير عمَّا يجول في داخله، يدرك الشاعر أن مجموعته تلك تُطْبَعُ في زمن الصورة، وأن ماعجز عن تحقيقه الشعر باتت الصورة تحققه، من حيث الأثر وأداة التعبير.

يستحضر الشاعر أدوات الشعر التقليدية، محاولاً أن يترك أثره من خلالها، لا يلتفت إلى المغاير، بل إلى أدواته التقليدية، حيث يسرد حكاياته مع الشعر، والتجارب النفسية والعاطفية مع عوالم تستنجد به، فيلبيها عبر لغته التي تحاول أن تقول كل شيء.

من الصعوبة أن يُقبل القارئ، على مستوى الفكرة المجرّدة، مجموعة شعرية يدخل الحديد في عنوانها، وربَّما ليس من السهولة على شاعر أنْ يُلين الحديد، لا موقف مسبقاً من كلمة»الحديد» بما أنَّها الرمزُ الأشهر للصلابة، لكن، كيف يمكنها أن تقدّم عالمًا من الشعر يقوم على المخاتلة والمراوغة وتقليب وجوه القول؟ لابدَّ من السياق إذًا، كي يروّض الشاعر موسى عباس في مجموعته «فبصرك اليوم حديد» الحديدَ، ويحوّله من وحشة تلك القساوة إلى مرونة الإيحاء الشعري، بحيث تغدو جمله حمالة أوجه، تنفتح على عالم الدلالة وفقاً لقراء متعدّدي الثقافات والرؤى يبحثون عن مداليلهم في تلك النصوص.

يُثقِلُ الشاعر نصَّه بإرثه الشعري والدينيّ، حتى يفوحَ عطرُ التراث من تلك النصوص، لكنه في الوقت نفسه يغوص عميقًا في وجع الواقع: «وحنيني لبلادٍ لم أزرْها تمطر العشاق من أوّل غيمة». تلك الدراما التي يقدّمها الشاعر تكاد تكون أبرز ملامح مجموعته، فالصراع مع الذات مُنطلقٌ للصراع مع الآخر المُتَرع بالخيبة، يُعْمِل الشاعرُ حروفه في استبطان أغوار تلك الشخصيات؛ ليصل إلى حالة اتحاد مع مكوّنات الطبيعة لاستغوار مكنوناتها: «أنا ونجم القطب توأمان»، فتنتفي الحدود بين العام والخاص، فلا طعمَ للعشق بين حبيب وحبيبة، دونَ أبعاده التاريخية، ولا مكانَ لرسالة يوجِّهها الشاعر لحبيبة اليوم، دون أنْ يتذكّر قيس وليلى، ووقوف امرئ القيس على أطلال حبيبته.

تغدو الذاكرة في هذا الموضع أكثر حضورًا من الواقع، حيث يكون أثرُ القراءات حاجزًا بين حريّة التعبير لمن يحبُّ، وتلك القراءات المُقيِّدة، فيفرض النص على متلقيه حالة من الانفتاح في الدلالة كي يبقى التواصل ممكناً بينهما، دون أن يجور أحدهما على الآخر.

تحضرُ موتيفات الفنان حسن حمام لتتشابكَ مع دلالات النص الشعري عبْر تفاصيل خطوط وجوه شخصيّاته بالأسود والأبيض، حيث ترغب بالتماهي مع ما يريده الشاعر، لتكونَ نصًا قارئًا وليس موازيًا للنصّ الأساسي، كأنَّ الرسَّام هنا يقرأ بعينيْ الشاعر نفسه، لكن بـ(نوتة) التشكيل: «يالامرأة طال ركوعي بين يديك/ ودمي تتوضأ فيه الأشجار». لا بدَّ أن تصل الرسائل إلى قارئه دون مواربة، لكن بإيقاع عالٍ ولغة جزلة، مع حنين مرتفع نحو عالم السرد، برؤى شعرية، حتى يصلَ المتلقي إلى مرحلة ينتظر فيها حكايات كلّ نص محمَّلة بالصور الصوتية والبصرية التي لا يشوبُها الغموض، وانطلاقاً من هذه الرؤية قرأ الفنان التشكيلي النصوص الشعرية، وحاول أن يستوحي منها دلالات محددة، صاغها بالأسود والأبيض أو عبر الألوان.

أنتج الواقع المرُّ حزناً خيَّم في أجواء النصوص، مما حوَّل الكثير منها إلى حالة من الرثاء والفجيعة، إذ يمكنُ للمتلقّي أن يقبض عليها في كل مقطع، لتقنع قارئها أنها مكتوبة في أجواء الشرق الموّارة بالألم، تستحضر روحه وحزنه وأوجاعه وحروبه، فلا تخطئ عينا القارئ في أن كاتبها يهجس بهذا الوجع الأليف:

«تنثرنا أسطورة في مطلع الشمس
وفي آخر الليل المرايا
تجمع المنثور من حديث الغول والعنقاء
والخلّ الوفي
ربما كنت أنا آشور أو نوح الذي استوى
في قمة الجوديّ يا قلبي
سفينة

وكانت باسم الله مجراها ومرساها».

ورغم كل هذه المقدسات التي يحيط بها هذا المشرقيّ حياته، إلا أنها لم تستطع أن تدرأ عنه رياح الحروب والقتل والطغيان، وكأن لسان حاله يقول، لو لم ألذْ بتلك التمائم الحياتية لكان وجعي أكثر إيغالاً في تاريخ الوجود البشري.

يحضرُ الحبُّ موضوعاً مركزيًا تدور في فلكه أفكار كثيرة، لا مشكلة إلى من يتجه هذا الحب، قد يكون لامرأة جميلة هزَّ جسدها قلب الشاعر، أو حنينٌ لأرض سُرقت أمام عينيْه، في أجواء فجائعيّة تهيلُ بثقْلها على الشاعر، فيغدو منظارُه للعالم منظارًا فَقْديًا، إذ يفقد الحبيبة والوطن والذكريات، ويختار مواقف محدّدة على حافة النهاية مع ظروفه، فتقف الكثير من النصوص على حافة الرحيل، تريد أن توقف آلة الزمن للحظات، لعلها تثبِّتُ سيلان المشاعر التي توغل فيها الكثير من نصوص الشاعر، هاربة بنفسها من لحظات الفقد والحرمان، تسعى لفتح منافذ لحياة سرية أو علنية لم تشأ الاعتراف بقوة الفقد في سيرورتها، تريد فتح صفحة جديدة في تاريخها، لا تعترف بقوة الرحيل أو الهجران الذي بات على المشرقيّ أن يعيشه كل يوم.

في قصائده القصيرة جدًا تُمْحَى الحدودُ بين عالميْ الشعر والسرد في محاولة إعادة ترسيم لها بلغة الشعر لا بالعنف، حيث صراع الماضي والحاضر، الماضي الزاخر بالجميل والحاضر المُتخم بالفقد، والمستقبل المجهول الذي لايبدو أيّ أفق له بالانتظار. يبدو الشاعر هاهنا أقرب إلى استعادة بعض المواقف من قصائده الطويلة، كأنَّ تلك الدفقات الشعرية في النص الطويل لم تكتمل، يريد أن يشبعَها لغويًا، أو يستمتع في استذكارها ثانية، حيث يتناول الظل والدم والشيخ، ليوغل في تكريسها بصفتها لحظة خاصة في سيمفونيّة وجعه الفيَّاضة بالحكايات.

تبدو نصوصه القصيرة جداً أقرب إلى نفثات قلب تحرقه تفاصيل حياتية، لا يريد لها أن تتوغل كثيراً في أمداء روحه كي لا تستبدّ بتفاصيله، وتغدو الحياة أصعب مما هي عليه، فيزفرها عبر جمل لغوية قصيرة، هارباً منها، لم يشأ أن يهرب من تثبيتها بصفتها لحظة من لحظات عيشه أو وجعه، وفي الوقت نفسه لا يريد أن يستفيض باستغراقها له.

تكشف المجموعة تغيُّر دلالات الحياة السورية، بعد الذي حدث، فالمكان اليوم ليس كمكان الأمس، والزمان كذلك، التفاعل مع ما يحدث هو أقرب إلى إعادة تأويل لتفاصيل كانت تمرُّ دون أن يكترث بها، باتت تفرض حضورها أكثر في أرجاء حياتنا: «لأوّل مرة/ أسماؤنا عبء ثقيل نحمله/ وحتى الصمت صمتنا/ لا بدّ من تفسيره». يتحوَّل المقدَّس الديني عند عباس من كونه نصًا محفوظًا لا تقْرَبه دون أن تتوضأ إلى نص قريب يصبح جزءًا من الشعر والكتابة، كأنَّه يريد أنْ يُعيده إلى تفاصيل الإنسان، أو ليقول إنّه وُجِد لأجل الإنسان، وليس ليبقى في دُور العِبادة، لا يقاربه الشاعر من نافذة «الحلال والحرام» بل من نافذة فاعليته وعمقه في نسيج الحياة التي نعيشها، من أجل ذلك لا يتردّد في توجيه رسالة إلى عامل الخليفة مع كمّ كبير من المفارقات المُوجعة: «سيدي ياسيد الوطن المبجل/ هل بكى طفلك من أجل الثياب المدرسيّة؟/ وتواريت عن الجيران في ليالي العيد كيلا تكشف المستور؟». يتقاطع عامل الخليفة مع زعامات معاصرة فضَّلتْ أن تبيد بلاداً بأكملها من أجل الركض وراء سراب لا يمكنه مُعاندة حركة التاريخ التي تنتصر دائماً لإرادة الشعوب، وإنْ جاءت متأخرة قليلاً أو كثيراً.

يحرصُ الشاعر على بناء جملة مألوفة يقترب بها أكثر من القارئ، دون أن يجشِّم نفسه عناء المغامرة اللغوية، التي قد تقطع التواصل مع متلقّيها، معوِّضًا عن ذلك بغناها التراثي، مستحضرًا في مجموعته عددًا من المفردات المفتاحية التي يمكن اتخاذها مداخل لقراءة المجموعة (نهر الفرات، البدوي، الماء، الفقد، الظل).

ويمكن النظر إلى هذا التوصيف من منظاريْن رئيسيين متكاملين: الأول أثر الأنواع النثرية الأخرى التي يقتحم عوالمها الشاعر موسى عباس، حيث إن منظاره ورؤيته تتشاطرها أجناس أدبية عدة؛ والمنظار الثاني، كون علاقة الشاعر مع اللغة علاقة هادئة لاتتسم بالصراع والتحدي وهو ماينظر إليه الكثير من النقاد والمتابعين بصفته عنصراً يخدش وجوديّة الشعر!

موسى عباس: «فَبَصرُك اليوم حديد».
دار فضاءات، عَمَّان 2015

«مدينة الحب والخطايا» للفلسطينية مرمر القاسم

الرواية والخطاب في زمن الموت

محمد معتصم

اقترنت الآداب المعاصرة في التزامها بالقضايا العربية الكبرى وعلى رأسها القضية الفلسطينية، ولا يمكن التنكر لها ولآلام أهلها ولتحولاتها المأساوية ولا الجحود بدورها في منح الأدب – ومن ضمنه الرواية المعاصرة وقبلها الشعر –قيمة وجوده، لقد اتخذها كثير من الكتاب جدارا يحتمون به ويعلقون عليه قضاياهم الإجتماعية المحلية، فكانت فلسطين ومحنتها السياسية والوجودية محنة كل الدول العربية ومنبع كل متخيل عربي، ملتزم، ومناهض للاستعمار وللظلم ولكل أدب يتعلق بالمساواة والكرامة الإنسانية والعدالة الإجتماعية.

للرواية العربية المعاصرة صلة وثيقة بالقضية الفلسطينية، ورافقتها على مستوى تحولها في المضامين والمواقف والرؤى أو على مستوى تحولها على مستوى الصيغ الخارجية في مرحلة التجريب والبحث للرواية على آفاق جديدة في الكتابة، لكن الاقتراب من القضية كان له جلاله وهيبته، وكان هناك شبه إجماع على أن القضية الفلسطينية هي قضية كل العرب والمسلمين، بل هي القضية الأولى التي بدونها تصبح كل كتابة مجرد ترف، ويصبح كاتبها مجردا من كل انتماء للفئة المثقفة الطليعية.

قلما تعرضت الكتابات المرتبطة بموضوع القضية الفلسطينية للنقد الجمالي، خاصة في مراحل سابقة على ازدهار المذاهب الأدبية والنظريات النقدية والدراسات الحديثة المهتمة بالبنيوية كفلسفة أولا وكمنهج في الدراسة والتحليل ثانيا، وفي مراحل ازدهار الدرس اللساني وما تلاه من مناهج في السيميائيات والتأويل والقراءة وتحليل الخطاب، أي في ارتباطها بالنقد كتحليل للنصوص أو المقاربات العلمية التي تمتح أدواتها وطرائق تحليلها من العلوم الإنسانية المجاورة للأدب كالدراسات الإجتماعية والنفسانية أو التحليل نفسانية.

في الآونة الأخيرة ظهرت كتابات إبداعية تقوم بما لم يقم به النقد الأدبي والمقاربات العلمية، أي أنها قامت بانتقاد الثورة وانتقاد مسار التحرر، كما قام بعض الكتاب والكاتبات بتشريح واقع القضية الفلسطينية على ضوء التحولات السياسية التي انتهجتها خصوصا بعد اتفاقية وادي عربة واتفاقية أوسلو وما نتج عنها من صراعات داخلية تحولت فيما يشبه صراعات «شخصية» مرتبطة بمصالح حزبية. والتحول الأخطر ما نجده في رواية «مدينة الحب والخطايا» للكاتبة الفلسطينية مرمر القاسم، في هذه الرواية انتقاد حاد للثورة الفلسطينية وانحراف مسارها بعد اتفاقية أوسلو التي قسمت الفلسطينيين، فتحولت نظرات الكتّاب من التوجه إلى عدو واحد مشترك إلى الصراع الإيديولوجي والعقدي والموقف من القضايا الأساسية والأولويات المشتركة والمتفق حولها سلفا. والمقتطفات الآتية توضح هذا الخلاف الحاد بين مختلف الأطراف المتصارعة حتى قضت على القضية الأم، يقول النص في حوار بين عدد من الشخصيات الروائية:»لا يهم، حياتنا غدت ساحة حرب، هدفهم الوحيد الانتصار بكل الطرق المتاحة، لا قواعد للعبة، كل فريق يدعي المثلية، أما الهدف فلم يعد مشتركا، وأصبح اللعب بين المبدأ وبين القانون إلى أن سقطت القضية» ص (142). ويضيف آخر:» ليت الليل يأخذ أبالسة أوسلو ويرحل عنا، لعل وطن الكذبة يكف عن قتلنا...» ص (143).

هناك وعي جديد نشأ من التحول السياسي والفجوة الثقافية المحلية التي قسمت الكتلة الوطنية، وأحدثت هوة في اللحمة الإجتماعية والوعي الثقافي والوحدة والهوية على أساس الخلاف المرجعي الحزبي والعقائدي والذي يخفي وراءه تعطشا للسلطة والاستفادة منها، وهو ما سيسمح لبعض المرتزقة والمتطفلين السياسيين والفاعلين غير النزهاء بإدارة دفة السياسة بلعب جديد مبتكر ظاهره وطني، أي حب الوطن والدفاع عن مصالحه ووحدته وحريته والدفاع عن تاريخه المقاوم والمناضل من أجل الكرامة والحرية والاستقلال، وباطنه التخريب والقتل والجشع للسلطة والمال العام والخيانة العظمى، كما سنبين في أهم موضوعة انتقاد للانحراف السياسي والثقافي.

ومن الانتقادات المهمة ما ارتبط بمفهوم الأدب ذاته، كما في المجتزأ الآتي:»انتهى العرض (...) سحقا لم يعد شيء كما كان، كانت للأدب مهمة حقيقية وهدف سام للبحث عنها لا أن يجرعونا زخم التعايش بزناخة سلامهم المزعوم، عم يتحدث هؤلاء الأغبياء ومن موَّلهم، أين اختفت الأعمال الأدبية المؤكدة على الإيمان بانتصار وضبط الثورة المنظمة الصارمة، وأي منطق ذاك الذي تحدثوا عنه، ليس هناك شيء اسمه المنطق، تلك خرافة بشرية مبنية على نقطة قدّرها العقل البشري للتوقع، وهو ما يمكن للعقل تصوره وتقديره وتوقع حدوثه فقط، أما ما يحدث الآن فليس من المنطق في شيء.» ص (137–138).

في المجتزأ السردي إشارة قوية إلى تأثُّر الأدب (العرض المسرحي) بالموقف السياسي، وهذه قضية جوهرية وجذرية أسالت الكثير من المداد؛ قضية الأدب والسياسة، هل هناك علاقة ما بينهما؟ هل الأدب يتطور في تبعيته للسياسي أم في استقلاله وتحرره ليتقدم الموقف؟ من يؤثر في الآخر؛ الأدب أم السياسة؟

وفي المجتزأ تأكيد على أن الموقف السياسي أو اختيار النهج السياسي يؤثر في الأدب وبالتالي يؤثر في الحياة العامة وفي مفهوم الأدب ومفهوم الثقافة، فالأدب «الرسمي» أدب يؤكد على النهج السياسي ويدعمه، بينما الأدب «المختلف» فينجذب نحو الفئات الأضعف، الفئات غير المستفيدة من السلطة والتحول السياسي.

إذن، كل تحول سياسي، أو اختيار حزبي وعقدي، يؤثر في الأدب وتذوقه فيُقَسِّمه إلى تيارين كبيرين متناقضين؛ تيار موالٍ، يسعى بكل الوسائل الدعائية (الإعلامية) والأدوات القهرية (القوانين) والإمكانيات (السلط) المتاحة له فرض مفهومه الجديد للأدب وللثقافة (الحضارة عامة)، بما يرسخ تجربته ويخلق له أتباعا وموالين؛ وتيار غير موالٍ، يسعى إلى «تصحيح» التحول أو «الانحراف» الذي وقعت فيه التجربة السياسية وبالتالي «الأدب». هناك دائما في كل مجتمع وفي المراحل الفاصلة أدب «رسمي» وآخر «مختلف» كل منهما يدافع عن مبادئه ومواقفه وأتباعه، يسعى الأدب الرسمي إلى تعزيز مكانته السيادية والسلطوية باستغلال الإمكانيات الهائلة المتوفرة لديه، ويسعى الأدب المختلف أو الأدب «الشعبي» الذي ينتسب إلى القواعد الشعبية المقهورة إجتماعيا والمبعدة سياسيا من القرار السياسي إلى الدفاع عن حقه في امتلاك السلطة والكلام نيابة عن المقهورين الذين لا لسان لهم.

إذا كانت رواية القاسم تدين التحول الشديد والانحدار السريع في الأدب الرسمي (ص: 137–134)، فإنها تقدم عبر النص عددا من الإشارات المُتَضَمَّنَة إلى أهمية الأدب والفن، بل تضع نصوص الأغاني في لحمة السرد، للتدليل على مقولة مارت روبرت، بأن الرواية خطاب جامع، يحتوي جل أشكال الخطاب المتداولة. فالخطاب الروائي خطاب غير متجانس وما يوحده ويمنحه الانسجام والترابط ليس غير المكونات الروائية للقصة (الشخصيات الروائية والوقائع والفضاء الروائي والعقدة).أما الصيغ الخطابية فتتنوع وتختلف باختلاف المذاهب والرؤى وكذلك اللغة فهي غير متجانسة، كما يتضح من مجموع الأساليب السردية وغير السردية المتضمنة في المتن السردي الروائي، لذلك نجد اللغة السردية تتضمن نصوصا باللهجة العامية من قَبيل: «عايل يا الأسمر عايل صبح ضعنكم شايل/ ما اكَدر على ثمنكم تسعين بكره وحايل...» ص (51)؛ أو باللغة العربية الفصيحة مثل كلمات النشيد الوطني أو العلم: «موطني.. موطني.. الجلال والجمال.. والسناء والبهاء...» ص (38)؛ أو كلمات أغنية فايزة أحمد: «لا تسلني يا حبيبي/ كيف هذا الحب جاء...» ص (59).

لم يؤثر التحول السياسي في القضية الفلسطينية إلى انقسام الأدب إلى «رفيع» و»وضيع»، كما بينت في كتابي «المتخيل المختلف: دراسات تأويلية في الرواية العربية»، بل غيّر حتى في مفهوم الوطن، والوطنية، والنضال، والمواطنة. ومن أخطر الموضوعات وأهمها التي تناولتها رواية القاسم موضوعة: «المنظفون الوطنيون» أو «الأشباح»؛ وهم فئة من المناضلين الذين تم استغلالهم باسم الوطنية وتحت شعار «تنقية الوطن من الخونة المتعاونين ضد الوطن مع العدو الصهيوني المحتل». إنهم أشباح بلا هوية محددة، يعيشون بين الناس متخفين وراء أسماء حركية وهمية ويأتمرون بأمر سيادات وقادة يحملون بدورهم أسماء مزيفة وحركية يرمز إليها بالحرف الأول من الاسم واللقب، ومهمتهم الرئيسية «تنظيف الوطن من الخونة». إنه الفكر الجديد الذي أنتجته السياسة الجديدة وأنتجه التحول في القضية الأم والمركزية، أي قضية تحرير الأراضي المحتلة وعودة اللاجئين المشردين في شتات الأرض.

مرمر القاسم: «مدينة الحب والخطايا».
منشورات فضاءات،عمّان 2014؛
206 ص

توماس دي فال في «الكارثة الكبرى»

قضية الأرمن في عهد تركيا العثمانية: انقسام المؤرخين حول حجم المجازر

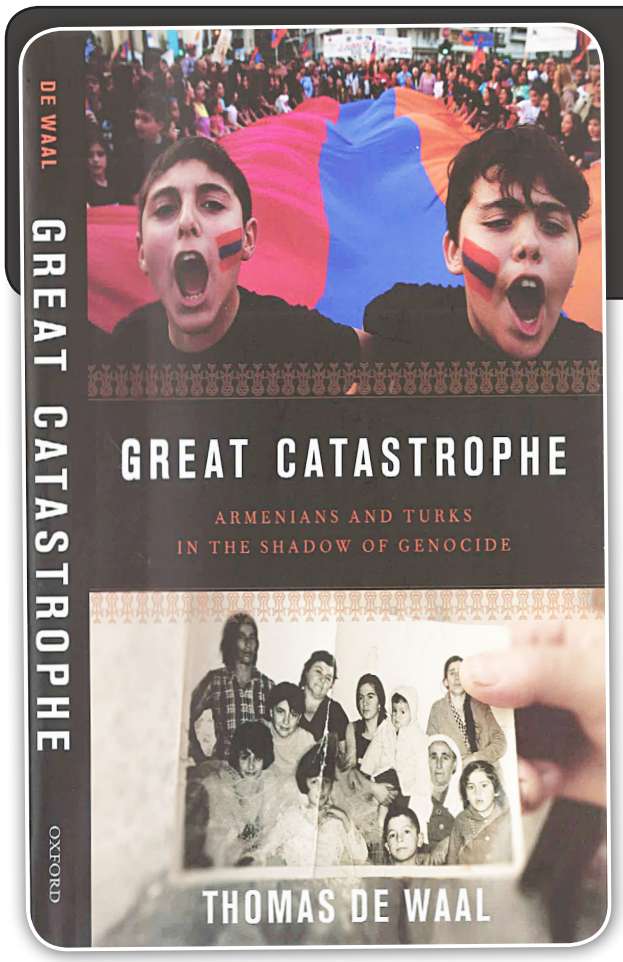

سمير ناصيف

يتحدث المؤرخون بكثافة هذه الأيام عن المجزرة التي ارتكبها الأتراك العثمانيون ضد الأرمن في عام 1915 وبالتحديد في أواخر شهر نيسان/ابريل من ذلك العام، ما يعني أن مئة عام مرت على هذه الفاجعة التاريخية التي تُقام مناسبات ليوبيلها المئوي.

بيد أن اختلافات بين هؤلاء المؤرخين حول نسبة تحديد مسؤولية تركيا العثمانية تواجدت وما زالت تتواجد حتى الساعة.

أول مسؤول دولي بارز فضح الإجرام التركي-العثماني، حسب ما ورد في كتاب «الكارثة الكبرى» لكاتبه توماس دي فال الصادر عن دار جامعة اكسفورد للنشر، كان السفير الأمريكي في الأمبراطورية العثمانية هنري مورغانثو الذي وجه رسالة بتاريخ 10 تموز/يوليو 1915 إلى وزير الخارجية الأمريكي آنذاك روبرت لانسنغ قال فيها: «أن التنكيل بالأرمن في مناطق مختلفة من الدولة العثمانية وصل إلى حدود غير معقولة.. فالدولة ترتكب التوقيف الإعتباطي والتعذيب والتهجير القسري لإقتلاع الأرمن من مناطق سكنهم في شرقي تركيا إلى مناطق خارج البلاد أو إلى مقاطعات تابعة للدولة العثمانية ولكن بعيدة عن مدنها الأساسية». وشملت الممارسات التركية، حسب السفير، مورغانثو القتل والسرقة والإغتصاب. وفسر هذه الممارسات قائلاً أن المجموعات المسلمة من جهة والمجموعات الأرمنية المسيحية كانتا تعيشان في أمان ووئام في شرقي تركيا العثمانية ولكن تطوع بعض الأرمن في الجيش الروسي، المتخاصم مع الدولة التركية، صَعّد المواقف. وبعض هؤلاء الأرمن أضطروا إلى أتخاذ هذا القرار لأنهم كانوا يحملون الجنسية الروسية. وهذا الأمر ساهم في قوة الهجوم الذي شنته روسيا على مقاطعة «فان» في الأراضي التركية العثمانية بالتالي أراد الأتراك الانتقام. ولكن معظم الضحايا كانوا من الأرمن الأبرياء والنساء والأطفال والمسنين الذين هجّروا من أماكن سكنهم وقُتل عدد كبير منهم. وقد أيد هذه الحقائق التي وردت في رسالة مورغانثو، دبلوماسيون آخرون ومسؤولو إرساليات دينية وصحافيون وشهود آخرون.

ويؤكد الكتاب أنه مباشرة بعد دخول تركيا العثمانية بقيادة الضباط الشباب الأتراك الحرب العالمية الأولى مع المانيا وضد انكلترا وفرنسا وروسيا ودول التحالف، إتخذت الحكومة التركية قراراً بترحيل الأرمن القاطنين في قلب وشرقي الدولة العثمانية من بيوتهم وممتلكاتهم إلى مناطق صحراوية نائية في سوريا، وكثير من هؤلاء الأرمن ذُبحوا وهم في طريق هجرتهم ونُهبوا وانتُهكت أعراضهم من قبل سكان من مختلف الأثنيات، وتم تحقيرهم وموورست محاولة للقضاء على حضارتهم وقد بقيت قلة قليلة منهم في تركيا، وهذا يعني أن معاقبة جماعية وتطهيرا عرقيا أرتكبا ضدهم.

واسف مورغانثو، لأنه ومن خلال علاقاته واتصالاته مع وزراء وضباط أتراك كبار، فإنهم برروا فعلتهم هذه بأنها من ضرورات الحرب والعمل العسكري الناجح. ولسوء الحظ فإن هذا المنطق الوحشي ما زال يُستخدم حتى الساعة في الشرق الأوسط وأفريقيا وغيرهما.

وفي عام 2013، يقول الكاتب، أعترف مسؤولون تركيون، بينهم وزير الخارجية آنذاك أحمد داود اوغلو، بأن تهجير الأرمن في مطلع القرن الماضي كان عملاً خاطئاً، ولكنهم اختلفوا في تقديرهم لحجم وخطورة الخطأ المرتكب بحق الأرمن وركزوا على بعض مبرراته. وما زال النقاش يدور حول ما إذا ما كانت أهوال مجزرة الأرمن توازي مجازر اليهود على يد نظام أدولف هتلر والنازية الألمانية في الحرب العالمية الثانية. فالجهة الأرمنية تعتبرها موازية وربما أكثر خطورة. والأمر الذي زاد الطين بلة هو المعارك والأحداث التي تلت المذابح الأرمنية في عام 1915 واستمرت حتى العشرينيات من القرن الماضي عندما أنشئت الدولة التركية الجديدة في عام 1923.

ويشير الكاتب إلى أن انقسام مؤرخي المجازر الأرمنية كان واضحا في تقديرهم لحجم ضحاياها. فهؤلاء منهم المتعاطفون مع نكبة الشعب الأرمني يقدّرون الضحايا بما يزيد عن المليون فيما اعترفت حكومة تركيا لعام 1919 بقيادة مصطفى كمال أتاتورك بثلاثة أرباع هذا العدد، وخصوصا أن أتاتورك كان قد بدأ تحالفاً سياسياً مع الدول الغربية. كما تُطرح الأسئلة بين المؤرخين حول ما إذا كان وزير الداخلية التركي-العثماني طلعت باشا أمر جيشه وحلفاء جيشه بإرتكاب المجازر بحق الأرمن في عامي 1915-1916 أو أن الشعوب المؤيدة للسلطة التركية العثمانية فعلت ذلك من دون أوامر من السلطة المركزية. ولكن السفير مورغانثو يشير إلى وجود وثائق تؤكد ضلوع طلعت باشا في إصدار الأوامر كما يقول أنه ومن خلال لقاءاته الشخصية معه وطريقة تحدثه عن «الخطر الأرمني المطلوب إزالته» شعر بأنه يخطط لمجزرة ضد الأرمن.

وبعد الحرب العالمية الثانية، حاول القائد السوفييتي جوزيف ستالين فرض هيمنته على تركيا، حسب الكتاب، ولكن تركيا واجهته بالإنتساب إلى «حلف شمالي الأطلسي» (الناتو) عام 1952، وانقسم النقاش السياسي والمواقف حول توجهات الأرمن إلى معسكرين، أحدهما بقيادة حزب الطاشناق (الذي كان يقود الثوار ضد السلطة العثمانية) والذي بدّل تحالفه مع روسيا إلى تحالف وثيق مع أمريكا وحلفائها الأوروبيين، من جهة، والأحزاب الأرمنية الأخرى كالهنتشاق والرامغافار التي صارت أقرب إلى النظام السوفييتي. ويقول الكاتب أن هذا الإنقسام إنعكس بشكل واضح على الساحة اللبنانية في خمسينيات القرن الماضي وحتى الساعة. فالطاشناق أيد رئيس الجمهورية اللبنانية السابق (المقرب من الغرب) كميل شمعون (حكم لبنان بين 1952 إلى 1958) فيما تحالفت الأحزاب الأرمنية الأخرى مع الأحزاب اليسارية والقومية العربية والناصرية، وهي قريبة هذه الأيام من تيار المستقبل. أما الطاشناق فقريب من مجموعة 8 آذار (الجنرال ميشال عون وحلفائه).

كما أنتقل هذا الإنقسام بين القيادات السياسية الأرمنية إلى قياداتهم الروحية وصارت كل جهة تدعم مرشحيها في انتخابات البطاركة والمطارنة.

أما أمريكا، فمنذ منتصف الخمسينيات وتحت قيادة الرئيس دوايت ايزنهاور، دعمت الطاشناق كممثلين أساسيين للأرمن. وفي عام 1957 أستقبل نائب الرئيس، آنذاك ريتشارد نيكسون ووزير الخارجية جون فوستر دالاس البطريرك خورين بارويان في واشنطن بعد نجاحه في صراعه مع خصومه، علما بأنه حظي بتأييد الطاشناق.

ويتضمن الكتاب فصولا عديدة هامة عن علاقة الأرمن المستمرة التبدل مع الأكراد ومع المجموعات الإثنية الأخرى، وعن دولة أرمينيا التي نشأت تحت مظلة الاتحاد السوفييتي، ثم أصبحت مستقلة بعد تفكك النظام الشيوعي.

ومن أهم ما يورده أن أكرادا، كأفراد وليس كمجموعة، أرتكبوا إعتداءات وحشية ضد الأرمن المهاجرين قسراً في عام 1915 وخصوصا في «ديار بكر» وسرقوا أمتعتهم وقتلوا بعضهم، ولكن أكراداً آخرين دافعوا عنهم ووفروا لهم المأوى. وهذا الأمر انطبق أيضاً على الشركس وهم مجموعة قطنت المناطق الشرقية من الدولة العثمانية. كما أن الكتاب يشير إلى أن مذابح وتنكيلات أخرى أرتكبت ضد الآشوريين وهم مجموعة إثنية مسيحية عاشت في جنوبي تركيا وشمال العراق وأجزاء من سوريا.

ولعل هذه المواضيع تتطلب كتباً أخرى من المؤلف الذي يبدو ضالعاً في معرفته بالمنطقة وتاريخها وخصوصا أنه زارها مراراً. كما أنه أعتمد في مصادره على وثائق أولية أصيلة حصل عليها من مكتبة الكونغرس في أمريكا ومراكز الأبحاث في تركيا وعلى مقابلات شخصية مع كبار الإختصاصيين في هذا الموضوع.

ويؤكد في الصفحة الأولى من كتابه أنه قرر استخدام تعبير «مذبحة الأرمن» مع أن كثيرين من الاختصاصيين حول هذا الموضوع قد تحفظوا ويفضلون استعمال تعابير أخرى، بعد أن تأكد له من خلال أبحاثه أن «مذبحة الأرمن» كانت من أبشع المذابح التي ارتُكبت في التاريخ الحديث ولأنه يتمنى أن يتلقن العالم دروساً من بشاعتها وعدم معاودة سياسات المجازر الإثنية والطائفية البشعة في عصرنا هذا.

Thomas De Waal: Great Catastrophe (Armenians and Turks in The Shadow of Genocide)
Oxford University Press, 2015
298 pages

مئات القتلى في زلزال بقوة 7.9 درجات في النيبال

كاتماندو – (أ ف ب): أدى زلزال بلغت قوته 7.9 درجات إلى سقوط مئات القتلى في النيبال حيث احدث دمارا كبيرا بينما شعر بهزات عنيفة سكان مناطق في شمال الهند وبنغلادش.

وقال وزير المالية النيبالي رام شاران ماهات إن إجمالي ضحايا الزلزال بلغ 1457 قتيلا وفقا لتقارير الجيش النيبالي.

جاء ذلك في تغريدة لوزير المالية على صفحته على موقع تويتر للتواصل الاجتماعي.

وأدى الزلزال إلى انهيار برج دارهرا التاريخي في كاتماندو ولقي عدد من الأشخاص حتفهم في المكان. واكد مصور اخراج نحو عشر جثث من حطام البرج في وسط العاصمة.

وسارع السكان إلى الفرار من منازلهم تفاديا لانهيار الجدران. وقال شاهد عيان في كاتماندو «انهارت جدران المنازل حولي. العائلات جميعها خرجت إلى ساحات منازلها. الهزة لا تزال مستمرة».

وقال انويا شريستا احد سكان كاتماندو «بدأ كل شيء يهتز. سقط كل شيء. الجدران على امتداد الشارع الرئيسي انهارت وسياج الملعب الرياضي الوطني سقط أيضا». وقال غيانيندرا كومار شريستا من دائرة السياحة في النيبال ان انهيارا ثلجيا ادى إلى مقتل عشرة أشخاص «بينهم متسلقون أجانب» بعد ان ضرب الزلزال مخيما فيه حوالي ألف شخص.

وكان المعهد الامريكي للجيوفيزياء قال بادئ الأمر ان قوة الزلزال بلغت 7.5 درجات، ولكن تبين لاحقا انها 7.9 درجات وبعمق 15 كيلومترا. ووقع الزلزال على بعد 68 كيلومترا شرق مدينة بوخارا السياحية.

كما أسفر الزلزال عن اضرار في مطار كاتماندو الدولي الذي أغلق «لأسباب أمنية» كما قال مديره بيريندرا براساد شريستا.

وافاد شهود عيان ان الهزة الناتجة عن الزلزال استمرت بين 30 ثانية ودقيقتين، وشعر بها السكان على طول الحدود مع الهند وحتى العاصمة نيودلهي.

من جهته، قال لاكسمان سينغ راثور المدير العام لدائرة الأرصاد الهندية، للصحافيين ان «مناطق شمال الهند كافة شعرت بقوة الزلزال إضافة إلى هزات أرضية قوية في أوتر برديش وبيهار شرقا فضلا عن ولاية سيكيم في بنغال الغربية على سفوح الهيمالايا»، ما أدى إلى مقتل 26 شخصا.

وكتب رئيس الحكومة الهندي ناريندرا مودي على موقع فيسبوك «نحن في طريقنا للحصول على معلومات أكثر ونعمل للوصول إلى المتضررين هنا وفي النيبال».

إلى ذلك، شعر السكان في مناطق واسعة من بنغلادش والهند بالزلزال، ما أثار الرعب في العاصمة دكا حيث نزل المواطنون إلى الشوارع.

وذكر التلفزيون المحلي ان خمسين عاملا على الأقل جرحوا في مصنع للنسيج في سافار ضاحية دكا خلال تدافع عقب الهزة الأرضية العنيفة.

فنون

في مئوية المذابح الأرمنية:

يوسف كرش سيّد العدسة الملحمية

باريس – «القدس العربي»:

في أوائل القرن الماضي كانت ماردين، الواقعة في أقصى الشمال الشرقي من تركيا، هي أكبر بلدات سنجق ديار بكر؛ وكانت وادعة في جغرافيتها، ولكنها عارمة باضطرام التحوّلات الناجمة عن دخول تركيا في الحقبة الكمالية وانسلاخها، بكثير من الآلام، عن ذاكرة الإمبراطورية العثمانية. ولكن ماردين تميّزت بتعدديتها الثقافية والديمغرافية، وحفظ أبناؤها العرب المسلمون مكاناً للأكراد والتركمان والأرمن والكلدان، قبل أن يأزف زمن الجائحة والتقاتل الإثني والمذابح (ضد الأرمن بصفة خاصة) والتهجير والتتريك القسري.

وفي أسرة أرمنية تمتهن التجارة ولد يوسف كرش في 23 كانون الأول (ديسمبر) 1908، ليشبّ بسرعة على رائحة الموت الفردي (وفاة شقيقته بالتيفوس) والموت الجماعي في الجائحة والمذبحة، وعذاب التفكك الأسري، وتبعثر أشقائه ملك وجميل وسليم في أكثر من بقعة واحدة بين تركيا وسوريا. هذا الحسّ التراجيدي المبكّر سيلازم الفتى طويلاً، وسيكون وراء إصراره على استكشاف وتسجيل أقصى مقدار ممكن من درجات الأسى في البورتريهات الكبرى التي سيصّورها.

كذلك ستلازمه عمارة ماردين المعلقة في حضن هضبة مستدقة، «تتدلى منها البيوت كجنائن بابل المعلقة، ثم تتهادى نحو خرائب القلعة التي شهدت هزيمة المغول على يد المسلمين، قبل أن تنحدر إلى الوادي بسرعة فوضوية، كأنها تسير إلى قدر مكتوب»، كما عبّر كرش في سيرته الذاتية التي صدرت بعنوان «بحثاً عن العظَمة».

وفي عام 1915 بلغ اضطهاد الأرمن ذروته الدامية، وتوجّب على يوسف أن يشهد بأمّ عينيه مقتل القريبين منه، واعتقال خالَيْه ووفاتهما في السجن، وهو الذي كان ينقل إليهما صرّة الزاد بصفة يومية، وإلقاء عمّته ناظلي في بئر كادت تموت فيه لولا أن بادر والده إلى رشوة جندي تركي سمح له بانتشالها. وفي عام 1922 سمحت السلطات التركية بهجرة الأرمن، فغادرت أسرة كرش إلى مدينة حلب السورية، وتركت وراءها كلّ شيء بما في ذلك أبواب البيوت المفتوحة على مصراعيها. وبعد إقامة قلقة قررت الأسرة إرسال الفتى إلى كندا حيث يعمل خاله هناك، فغادر إلى بيروت ليستقل الباخرة الفرنسية «فيرساي» ويصل إلى هاليفاكس في اليوم الأول من السنة الجديدة 1925.

وكان الخال جورج نقاش اسماً على مسمّى، إذ كان يعمل نقاشاً ومصوّراً فوتوغرافياً في بلدة شيربروك. وقبل أن يعقد العزم على توريث مهنة التصوير إلى ابن اخته، توجّب عليه أن يرسله إلى مدرسة لتعليم اللغة الإنكليزية لأن يوسف لم يكن يتكلم سوى العربية وكان، مثل معظم أهل ماردين، لا يتقن لغة أخرى قدر اتقانه للعربية الغالبة. وبعد سبعة شهور بدأ التدريب الفعلي على مهنة التصوير في ستوديو الخال، الذي أدرك سريعاً خصوصية علاقة الفتى بالجانب الفني من الصورة، فقرر إرساله لدراسة التصوير في بوسطن على يد جون غارو، أحد كبار أساتذة البورتريه الفوتوغرافي في أمريكا الشمالية بأسرها. تلك كانت أبرز الانعطافات في حياة يوسف كرش الفنية، وهنا امتلك البذور الأولى للأسلوبية الفريدة التي ستجعله نسيج وحده في فنّ وليد ولكنه متشعب وواسع. وسيسجّل كرش في مذكراته أن السنوات الثلاث التي قضاها متدرباً عند غارو علّمته درسين كبيرين: الحساسية الصافية تجاه مختلف تدرجات الضوء الطبيعي، والحسّ الفائق بقابلية الوجه البشري لعكس تلك التدرجات في مستويات تعبيرية ودرامية رهيفة.

وعند عودته إلى شيربروك قرّر كرش أن ميوله تنحصر شيئاً فشيئاً في البورتريه وليس المشهد أو الطبيعة الصامتة أو التصوير الصحافي. ولم يكن بحاجة إلى مفاتحة خاله في الأمر لأن الأخير أدرك نزوع الفتى، فنصحه بالسفر إلى العاصمة أوتاوا. وهناك، بدءاً بالعام 1932، تنقل كرش في أكثر من ستوديو إلى أن استقرّ به الحال مصوّراً رسمياً في وزارات الدولة. وهذا الطور سوف يشهد توظيف الضوء الاصطناعي في القواعد البصرية التي تعلمها على يد أستاذه غارو، وسيشهد عملاً روتينياً وتقنياً صرفاً لا يتلاءم مع التفاعلات التي تعتمل في داخل الفتى.

ثم جاءت فرصة العمر...

كان ونستون تشرشل هو الوسيلة. ففي عام 1941 قام رئيس الوزراء البريطاني بزيارة خاطفة إلى كندا لإلقاء خطاب أمام البرلمان، في ذروة الحرب العالمية الثانية، وحين كان تشرشل في قمّة عنفوانه. وتوجّب أن يلتقط كرش صورة رسمية، لكنه اختار تنفيذ اللقطة التي ستدخل التاريخ وستخلد الرجل والمصوّر في آن معاً. وفي قرارة نفسه كان كرش يدرك أن احتفاظ تشرشل بالسيغار الشهير ليس التفصيل المناسب لهيئة التحدّي التي يريد تفجيرها في صورة قائد كبير يخوض حرباً كونية. ولكن أنّى له أن يقنعه بذلك! وفي اللحظة القاتلة، قبيل الضغط على زناد الكاميرا، سارع كرش إلى اختطاف السيغار من فم تشرشل، وحصل من «الأسد الهصور» على النظرة التي يريدها الفنان: التحدي والسخط والامتعاض والحيرة والإعجاب، في آن معاً. وبعد أيام معدودات كانت الصورة تتصدر غلاف مجلة «Life» في أكشاك بيع الصحف هنا وهناك في العالم، وأخذ اسم يوسف كرش يتردد في كل نقاش حول المغزى الخاص لنظرة تشرشل، أو «نظرة جزيرة صغيرة اسمها بريطانيا، توشك على هزيمة الرايخ الثالث بأسره».

وفي عام 1943 سافر كرش إلى بريطانيا موفداً من مجلّة Saturday Night الكندية، فصوّر عدداً كبيراً من الشخصيات الأبرز آنذاك، من أمثال أسقف كانتربري، وجورج برنارد شو، وهـ. ج. ولز، ونويل كوارد. ثم سافر إلى الولايات المتحدة ليعود منها بزاد إضافي جمعه في كتابه «وجوه القدر» الذي صدر عام 1947. وكانت هاتان الرحلتان قد دشّنتا بداية عهده بما سيسمّيه «الأوديسة الفوتوغرافية»، والتي قادته من قرى الزولو في جنوب أفريقيا إلى المعابد البوذية في اليابان، مروراً بالقطب الشمالي. وفي عام 1958 عاد كرش إلى كندا يحمل بورتريهات الرئيس اليوغسلافي تيتو، والرئيس الهندي نهرو، والملكة البريطانية إليزابيث، والرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور، والبابا بيوس الثاني عشر، والرئيس الكوبي فيديل كاسترو، والملك فيصل بن عبد العزيز، والعشرات سواهم من كبار ساسة الكون. وعاد أيضاً بالصور الأشهر لمئات الأدباء والفنانين، بينهم خوان ميرو، ألبيرتو جياكوميتي، أندي وارهول، ألبير كامو، توماس مان، كارل ساندبرغ ، فرانسوا مورياك، و. هـ. أودن، ياسوناري كاواباتا، تنيسي وليامز، أنا مانياني، وجيسي نورمان. وكلاسيكياته مجموعة في العديد من الكتب، بينها: «بورتريهات العظَمة»، 1959؛ و«حقيبة كرش»، 1967؛ و«وجوه من عصرنا»، 1971؛ و«بورتريهات كرش»، 1976؛ و«أساطير أمريكية»، 1992.

توفي يوسف كرش في بوسطن يوم 13 أيلول (سبتمبر) 2002، إثر عملية جراحية لم يُكتب لها النجاح. وحين صدر كتاب مشاهير العالم Who's Who طبعة سنة 2000، كان كرش (إبن بلدة ماردين التركية، وحلب السورية) هو الكندي الوحيد في لائحة أهمّ مئة شخصية عالمية في القرن العشرين، و51 من هؤلاء كان لهم شرف الوقوف أمام عدسته.

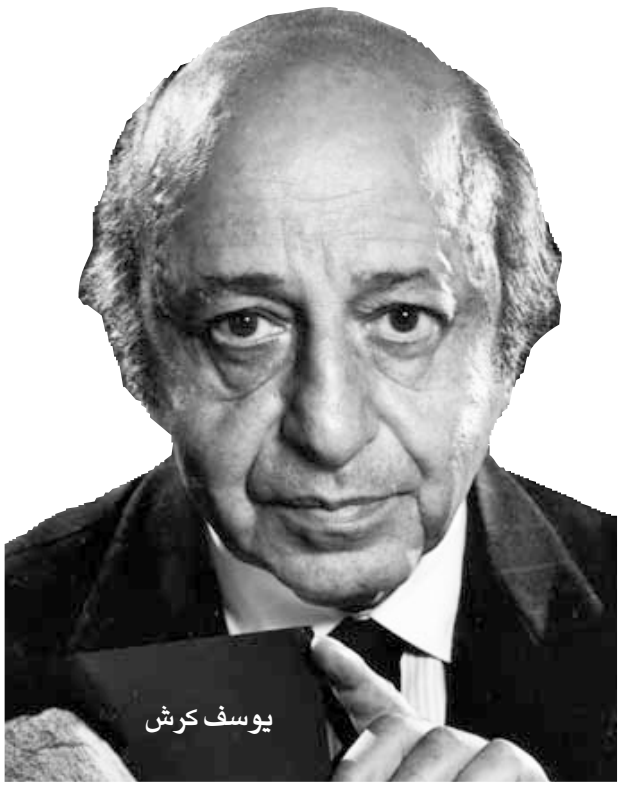
يوسف كرش

إرنست همنغواي

ونستون تشرشل

أودري هيبورن

القدس العربي الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

تجارب تشكيلية مصرية ...

الانطلاق من الكلاسيكية بروح التجريب

القاهرة – «القدس العربي»:
محمد عبد الرحيم

لم تـزل المدارس الكلاسـيكية في الفن التشـكيلي تتحـاور مع عين المُشـاهد مـن خلال خبـرات الفنانين المصريين، سـواء من خلال الرؤيـة أو التكنيك، دون أن يسلب هذا من الفنان تجربته الخاصة، التي تدور في فلك هذه المدرسـة أو تلك. وتكون المراهنة هنا على مدى قدرة الفنان في تجسـيد عمله وفكرته من خلال هذه المفردات. هذا ما نلحظه في عدة معارض تشكيلية شهدتها القاهرة مؤخراً، أولهـا معرض الفنان أحمـد الجنايني، المعنون (رحلة فن/ذاكرة اللون والوجدان)، والذي أقيم بأتيليه القاهرة، وقـد اتخذ الروح والتكوين السـريالي، كذلك معرض الفنان عماد رزق، الذي تجسدت أفكاره من خلال المدرسة التعبيرية والتأثيرية في الفن، وقد أقيم معرضه في قاعة زياد بكيـر/دار الأوبرا المصرية. وأخيراً معرض (أصداء الأزمنة 2) للفنان مجدي عبد العزيز، والذي أقيم في قاعة الباب/دار الأوبرا المصرية، وهو هنا يمزج ما بين المدرسة التكعيبية والخط العربي في حالة متناغمة، دون تغريـب، فأصبحت التجربة الفنية قـادرة على احتواء حالة متناغمة من الوعي والحِس في لحظة بصرية لافتة. تنطلق الأعمال من خلال مدارس كلاسـيكية لها ثقلها في الفن التشـكيلي، منها ما كان ثورة فـي الفن وقتها، لكن روح التجريب في هذه الأعمال تحاول الحفاظ على هذه الثورة قدر الإمكان.

مجموعات الجنايني السريالية

جاءت أعمال أحمد الجنايني مـن خلال مجموعات أطلق عليها اسماء دالة لتجتمع تحت موضوع واحد، مثل ... وادي الجمال، إنسـانيات، ومجموعة الشهيد، والتي من خلالها نشهد الحِس السـيريالي الواضح، من حيث المخلوقات الخرافية، والتكوينات ورؤية العالم، واللون الطاغي—الأصفر والرمادي بشكل خاص—حالة متوترة تحكم اللوحـة وإيقاعها، خاصة عند وضـع التكوينات وخلق هذا التوتر أكثر من خلال تشـكيل الأجسـام في مقدمة وخلفية اللوحة، كائنات شـبحية تتسـاوى فيها الطفولة وأجسـاد الموتى، بحيث تختلـط حالات الميلاد والموت في لحظة عابرة، تشـوّش مقصـود بالطبع من صاحب العمل، دون نسـيات الطقس الاحتفالي، خاصة في حـال الشـهداء/الموتى وكأنهم في قـدّاس جنائزي مستمر، يكاد يتجاوز إطار اللوحة، ويدعو إلى الاستمرار ... تكرار الأجسـاد أو الشـكل الدائري المغلق. ملحوظة أخرى لافتة فـي أعمـال الجنايني تتمثل في اسـتلهام الموروث البيئي والشـعبي والإصرار عليه، سواء عالم القرية المصرية، الريف والبيوت والحيوانات والطيور، أو روح الحضـارة القديمـة، خاصة الموت وطقوسـه، فالأجساد كلها تتشـكل كالمومياوات، لكنها خارجة حيّة من توابيتها، تطالـع الفضاء والناس، لتصبح أكثر منهم وجوداً وتأثيراً/رحلة الموت والعودة، وموروثات الشهداء الأحياء، ليمتد هـذا الحِس حتى شـهداء الثورة، التي لم تزل مشـاهدها ولقطاتها لم تغب رغـم كل ما يحدث. ضجيج النسيان هذا تخرسه اجساد الموتى، وهذا الثقل في تكوين الجسد، رغم هشاشته وهزلانه، وهو ما يخلق حالة من التعارض بين الضعف والقوة، ليبدو أكثر تأثيراً على جميع مفردات اللوحة.

البيئة الشعبية بروح تكعيبية

زمـن قديم يحاول أن يجسـده الفنـان مجدي عبد العزيز، سواء من خلال أعمال التصوير أو الغرافيك، هنا تبدو القاهرة الإسـلامية والحِس بشوارعها وحواريها، الحِس فقط دون التجسـيد الكامل، فاللقطات/اللوحات تأتي في شـكل لقطات كبيرة/تفصيلة توحي بحالة أكثر مما تجسـده داخل إطار اللوحة. كزخارف أسـوار أحد المسـاجد الشـهيرة بالقاهرة، أو مشـربية تقف خلفها امرأة/هكذا تصبح المشـربية في الوعي الشعبي، ويتخذ الأمر شـكلاً آخر من خـلال الخط العربـي وتنويعاته وتحوراتـه الدائمـة، كأن يصبح خلفية فـي لوحة، أو يصبح هو العنصر التشـكيلي الوحيد في لوحة أخرى، خالقاً تكوينات جديدة تمامـاً على التكوين الأصلي لهذا الخـط أو ذاك. الـروح التكعيبية تحضر بشـدة خاصة في لقطات الشـخصيات، حيث الشـخصية هي البطل، أشـبه بالبورتريه، لنسـاء شـعبيات، والحفاظ على إكسسواراتهن المميزة .. منديل الرأس، الحَلق، الجلباب الشعبي المميز لنساء الحارات، العين التي ترى وتختزن الكثير من خبرات وتفاصيل بصرية، كل هذا يوحى به في إيقاع وتكوينات تكعيبية، تتخذ من الأشـكال الهندسية بنية أساسية في اللوحة. تجربة ثرية ورصينة من حيث المساحات اللونية والتركيب الشـكلي والزخرفي، دون أدنى شعور بحالة من حالات التغريب، بل تجعل المشاهد يعيـد ترتيب واكتشـاف تجربته البصريـة، بعيداً عن الأنماط البصرية التي تربّت عليها مخيلته.

حيوات المخاليق

ومن السـريالية والتكعيبية في أعمـال الجنايني وعبـد العزيـز، ينطلق الفنـان عماد رزق من المدرسـة التعبيرية وصـولاً إلى التأثيرية، ليصبـح أكثر اقتراباً مـن حيـاة النـاس وأفعالهم اليومـيـة، أعمـال توحـي بالحـركة والصخب الدائم، تجسد البيئة المصرية والأحياء الشـعبية، ويوميات الإنسان المصري وطقوسـه، ما بين البيع والشـراء وتناول الطعام على عربة فول، والجلوس على المقاهـي، وصولاً إلى حلقات الذِكر الصوفي، حركة دائمة لا ترتكن إلى لحظة سـكون واحـدة، على العكس من وجـوه الشـخصيات— الشـخصيات هنا أبطال فـي دراما لا تنتهـي— هادئـة ومُسـالمة وحالمة ومستسـلمة فـي أكثـر الأوقـات. نسـتطيع أن نستكشـف العديـد من الحكايـات ونتخيـل مواقـف أصحابهـا، الأمـر أقرب إلـى لقطات سـينمائية، فالرجال في الصباح يجتمعون حول عربة الفول، وهو مشـهد اعتيـادي في الشـوارع المصريـة، ورجل مُسـن يجلـس أمـام دكانه في هدوء، والشارع الطويل المزدحـم بالرواد يطالعه بصخبـه. الصعوبة في تجربـة عمـاد رزق انه يأتـي بلقطـات مألوفة، فيصبح عنصر الإدهاش لا يأتي مـن حالة بصرية جديدة على عين الرائي، ولكن من خلال التداعيات حول هذه الشـخصيات، والسير والوقوف بينهم، ومطالعـة ملامحهـم القريبـة جـداً من ملامح المُتلقي وعالمه.

حريات

كفى KAFA ENOUGH VIOLENCE AND EXPLOITATION كفى عنف و استغلال

الائتلاف لمناهضة السرقة في العالم العربي

مشاركون في ندوة حقوق الإنسان اعتبروا مسودة مشروع القانون الجنائي المغربية تراجعا خطيرا للحقوق والحريات

الرباط - «القدس العربي»: محمود معروف

تبذل وزارة العدل والحريات المغربية جهودا لايصال مسودة مشروع القانون الجنائي إلى البرلمان بأقل ما يمكن من التعديلات التي تسعى لادخالها والملاحظات والانتقادات التي أبدتها جهات متعددة منذ نشرها على موقع الوزارة لإبداء الرأي فيها من قبل الرأي العام، قبل الأخذ بعين الإعتبار ملاحظات كل المتدخلين والمهتمين.

ونظمت الوزارة ندوة وطنية حول مستجدات المسودة فيما نظمت الجمعية المغربية للدفاع عن حقوق النساء والجمعية الديمقراطية للنساء ندوة مماثلة في «سياق متابعتهما للإصلاحات التشريعية بالمغرب من منطلق رصد ملاءمتها للمقتضيات الدستورية وللإلتزامات الدولية للمغرب بشأن إقرار الحقوق الإنسانية للنساء بهدف تعميق النقاش حول مدى استجابة هذه المسودة لمسار الحركة الحقوقية وخاصة النسائية منها وانسجامها مع دستور 2011 والتزامات المغرب الدولية، خاصة فيما يتعلق بإحترام الحقوق الإنسانية والحريات الشخصية للأفراد دون تمييز بين النساء والرجال.

إلا ان الندوة التي لقيت إهتماما أكبر كانت تلك التي نظمتها الجمعية المغربية لحقوق الإنسان التي قرأت البعد السياسي والقانوني والإجتماعي لمسودة مشروع القانون الجنائي، أهم وثيقة قانونية بعد الدستور قدمتها وزارة العدل في إطار إصلاح العدالة في المغرب وارتباط هذا الاصلاح بالحريات السياسية والفردية وتعاليم الدين الإسلامي وأمن الدولة.

وشدد المشروع العقوبات في قضايا الإرهاب ومحاولة الالتحاق بالمنظمات ذات العلاقة به، أو الترويج لها، وتلقي تدريب أو تكوين خارج المغرب أو فقط محاولة ذلك، بقصد ارتكاب أحد الأفعال الإرهابية داخل المملكة أو خارجها، وسواء وقع أو لم يقع، بالإضافة إلى التجنيد بأي وسيلة من أجل الالتحاق بهكذا كيانات وفيما يتعلق بالتعذيب، وضع عقوبة حبس وغرامة مالية لكل موظف عمومي مارس التعذيب أو حرض أو وافق أو سكت عن ممارسته على شخص، لتخويفه أو إرغامه أو إرغام شخص آخر على الإدلاء بمعلومات أو بيانات أو اعتراف أو لمعاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه هو أو شخص آخر.

عقوبة الإعدام باقية

واعتبر القانون أن الإختفاء القسري، هو كل إعتقال أو احتجاز أو اختطاف أو أي شكل من الأشكال السالبة للحرية، يرتكبه موظفون عموميون أو أشخاص يتصرفون بموافقة الدولة أو بإذنها أو بدعم منها، ويتبعه رفض الاعتراف بحرمان الشخص المختفي أو مكان وجوده، مما يحرمه من الحماية التي يكفلها القانون له ويعاقب المتورطون في الجرائم التي لها علاقة بالاختفاء القسري، بالسجن والغرامة المالية.

وأبقى المشروع على عقوبة الإعدام بالرغم من الأصوات المنادية بالتراجع عن هذه العقوبة رغم تقليصه لعدد الجرائم الموجبة لعقوبة الإعدام من 36 إلى 10 جرائم، تم حصرها أساسا في الاعتداء على شخص الملك وأفراد أسرته، وبعض حالات الإرهاب ونصت مسودة مشروع القانون على أن الإعتداء على حياة الملك أو شخصه يعاقب بالإعدام، ولا تطبق أبدا الأعذار القانونية، وأن هذه العقوبة تطال كل اعتداء على حياة ولي العهد أو أحد أفراد الأسرة الملكية وكل مرتكب لجناية الخيانة، في وقت الحرب أو السلم، وكل من حمل السلاح ضد المغرب، أو باشر اتصالات مع سلطة أجنبية بقصد حملها على القيام بعدوان ضد المغرب.

وتنص مسودة المشروع على إدانة ازدراء الأديان ومعاقبة مستعملي الإغراءات لـ«زعزعة» عقيدة مسلم أو تحويله لديانة أخرى والمجاهرين بالإفطار في رمضان بدون عذر، من المعروف إسلامهم والتحرش الجنسي.

مسودة وزارة العدل أثارت ولا تزال تثير نقاشات واسعة حيث أعلن حزب التقدم والاشتراكية المشارك في الحكومة رفضه للعديد مما جاءت به مسودة المشروع لما تضمنته من مقتضيات ذات الحمولة الدينية التي تمس المكتسبات الحقوقية التي وصل إليها المغرب، ويمكن أن تفرق المجتمع عبر اللعب على وتر الدين.

في حين ان المغرب بالنسبة لهذا الحزب المشارك بالحكومة بـ5 حقائب حكومية يحتاج إلى قانون جنائي حداثي يضمن الحريات ويحصن المكتسبات الحقوقية ويستلهم روحه من المحطة التاريخية الحالية التي نبني في إطارها حكامة قوامها توسيع مجال الحريات الديمقراطية في كنف الاستقرار المؤسساتي والسياسي.

وقال نبيل بن عبد الله الأمين العام للحزب ووزير السكنى أن النقاش المتعلق بمسألة حرية المعتقد وإلغاء الإعدام يجب أن يكون مُرتبطا بالنقاش الدستوري وليس في إطار نقاش القانون الجنائي واتهم مُتدخلون في ندوة نظمتها الجمعية المغربية لحقوق الإنسان المسودة بـ«تراجعات خطيرة» على مُستوى الحُقوق

والحريات وجاءت بمجموعة من الفصول الفضفاضة التي يُمكن تأويلها وتمطيطها، حتى تخدم أجندات إنتقامية ضد المعارضين والحقوقيين.

وعاب محمد الهيني على المُسودة تضمين جريمة «زعزعة» ولاء المواطنين للدولة ووقائع هذه «الجريمة» فضفاضة جدا لدرجة أنه يُمكن إدراج مسألة إنتقاد الإدارة في هذه الخانة وأن الأوجب كان هو مُعاقبة المسؤولين الذين يُزعزعون ولاء المواطنين وثقتهم في مؤسساتهم عبر خرقهم للقانون.

واعتبر الحُقوقي سعيد بنحماني، أن مسودة المشروع تتضمن تراجعات خطيرة وتضييقا على الحريات والحُقوق وأعفت الدولة من المسؤولية الجنائية، وقال أن المادة المتعلقة بالأمر جاءت فضفاضة ولم تحدد بشكل واضح ما المقصود بـ«الدولة» هل الحكومة أم القصر أم الحاكمين أم المؤسسات، وإعفاء الدولة للمسؤولين من المتابعة الجنائية من شأنه تُشجيع انتهاك حُقوق الإنسان.

وقال عبد الرحيم الجامعي، رئيس المرصد المغربي للسجون «إذا كانَ هناك قانون يقتضي أن يحتجّ ضدّه الحقوقيون فهو مسوّدة مشروع القانون الجنائي ويجبُ أن ندعوَ إلى وقْف مسوّدة المشروع، وفتْح حوار ونقاش بشأنه في أفق أنْ نخْلُص إلى قانون متوافقٍ علىً مبادئه».

الخلط بين الدين والقانون

وأكد الجامعي أن هذه المسودة غلب عليها الطابع المحافظ، الذي يعتمد على الخلط بين الدين والقانون ولا ينظر لما يجري في العالم «لا يمكن تغييب هذا البعد الإيديولوجي المبني على المدارس الفقهية التي عاشت منذ مئات السنين، بالرغم من أنها اختلفت في العديد من القضايا كقضية الإجهاض».

واوضح أن المغرب لا يحدد الشريعة كمصدر للقانون، على عكس دول عربية أخرى كمصر وموريتانيا، لكن ورغم ذلك فان المجلس العلمي الأعلى يتدخل في كل شيء: في السياسة والاقتصاد وغيرها وقال ان مسودة القانون الجنائي كشفت عن قدرة الدولة على خلط الدين بالسياسة في مجال تبرير الموت بواسطة حكم القضاء. ووجه الجامعي نداءً إلى البرلمانين لعدم تمرير مشروع القانون بالتوافق «لأنّ التوافق يعني الاستبداد ومحو الديمقراطية»، وإجراء استفتاء بشأنه، على غرار الدستور، «باعتبار أنّ القانون الجنائي هو الثاني في التراتبية بعد الدستور».

وقال القاضي محمد الهيني إنَّ الإبقاء على عقوبة الإعدام مخالفة للدستور، وتحديدا للفصل الـ20 منه، والذي ينصّ على أنّ الحقّ في الحياة هو أوّل الحقوق لكلّ إنسان، وعلى الرغم من تخفيض عدد الحالات التي يُطبّق فيها الإعدام إلّا أنّ الهيني اعتبر أنّ ذلك لا يلبّي الحاجات المجتمعية والدولية لإلغاء عقوبة الإعدام، وأضاف «التشبّث بهذه العقوبة يعكس نفاقا تشريعيا، لأنّ العقوبة أصلا توقّف تنفيذها».

وقال سعيد بن حماني «لا يعقل أنْ يُحتفظ بعقوبة الإعدام في مشروع القانون الجنائي، في حين أنّ المنظمات الحقوقية تطالُب بإلغاء هذه العقوبة نهائيا» محذرا من أنّ الإبقاء على عقوبة الإعدام «قدْ يُستغلّ من طرف الدولة لتصفية معارضي النظام أو تصفية حسابات ضدّ جهات معيّنة».

وأفاد تقرير منظّمة العفو الدولية، أن المغرب لم يطبق عقوبة الاعدام خلال منذ 1993 إلا أن المحاكم المغربية أصدرت تسعة أحكام بالإعدام خلال العام الماضي دون تنفيذها.

وانتقدَ النقيب عبد الرحيم الجامعي بشدّة واضعي مسوّدة القانون الجنائي، في ما يتعلّق بعقوبة الإعدام، وتساءل عن السبب الذي جعلَ الجهةَ المشرفة على إعداد المشروع تُضمّن العقوبَة في مشروع القانون الجنائي، في حين ارتأتْ تأجيل تضمينه النصوص المتعلقة بالإجهاضَ إلى حين إنتهاء المشاورات بشأنه، رغم أنّ الإعدام بدوره يُجري بشأنه نقاش عمومي.

وقال «لا نعرف لماذا لم يؤجّلوا وضع عقوبة الإعدام كما فعلوا بشأن الإجهاض، وكأنّ الحقّ في الحياة ليْس حسّاسا وخطيرا» حول ما يتعلّق بالمسّ بالملك أو وليّ العهد أو أفراد الأسرة الملكيّة قال «لا نفهم لماذا لجأ واضعو المشروع إلى التمييز بين جهة وأخرى، نحن نقول إنّ حقوق أيّ مواطن لا يجبُ أن تُمسّ، وإذا حدث شيء من ذلك فهناك عقوبات بديلة لعقوبة الإعدام، التي يجبُ أنْ تُلغى كليا».

واوضح الجامعي «هذا الاختيار لهُ أسباب سياسية، هدفها وضْعُ كلّ شخص في المكانة اللائقة به، وهذا لا يجوز، لأنّ عقوبة الإعدام يجبُ أنْ تُلغى، أيّا كان الضحيّة، ولا يجبُ الإبقاء عليها بمبرّر سياسي» وذهبَ أبْعد من ذلك وقالَ إنّ الإرهابَ أيضا يجبُ مواجهته بوسائل غير الإعدام، على غرار ما هو معمول به في عدد من الدول المتقدمة التي يتهدّدها خطر الإرهاب.

عقوبات الآداب العامّة والأخلاق

النقطة الثانية التي انتقدها الحقوقيون والقانونيون المشاركون في الندوة تتعلّق بعقوبات الآداب العامّة والأخلاق، ففيما يتعلّق بتجريم الإفطار العلني في رمضان وزعزعة عقيدة مسلم، دعا محمد الهيني إلى رفْع التجريم عنهما، بداعي أنّ التجريم يخالف الحقّ في حرية الاعتقاد كحقّ دستوري وطني ودولي، ولكونها تتضمن تمييزا نحو دين معين بذاته دون باقي الأديان.

وقال بنحماني إنّ الجمعية المغربية لحقوق الإنسان تدعو إلى إلغاء العقوبات المتعلقة بزعزعة عقيدة مسلم، والإفطار العلني في رمضان، وعقوبة السّكر العلني، قائلا «المغربُ يمنح رُخصا لمصنّعي الخمور، ويرخّص باستيرادها من الخارج، ومن غير المنطقي أن يستمرّ القانون الجنائي في الإبقاء على عقوبة السكر العلني»، وأضاف «هناك تناقض صارخ يَسمُ موقف الحاكمين».

وانتقد عبد الرحيم الجامعي بشدّة ما تضمّنه الفصل 219 من مشروع القانون الجنائي، المتعلق بالإساءة إلى الله والأنبياء والرسل، وقال «ما معنى أنْ ينصّ القانون الجنائيّ على ذلك؟ وما معنى هذه الإساءة في حدّ ذاتها؟» وتابع «يُمْكن أن يتمّ تأويل أيّ رأي على أنّه إساءة إلى الله والرسل، وهذا معناه أنّ هذه المسوّدة غريبة الأطوار».

وعلاقة بحماية أمْن الدولة اعتبر سعيد بنحماني أنّ تنصيص مشروع القانون الجنائي على عقوبة زعزعة ولاء المواطنين بالدولة منافٍ لصوْن حماية الحقوق والحريات، وأضاف بنحمانيٍ بسخرية جعلتْ قاعة الندوات بمقرّ الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، والتي كانت غاصّة بالحضور عن آخرها «ماذا يمكن أنْ يُزعزع المواطن في هذه الدولة»، داعيا إلى إسقاط الفصل م مشروع القانون لجنائي.

وطالب القاضي محمد الهيني بإلغاء جريمة زعزعة ولاء المواطنين بالدولة أو بمؤسسات الشعب المغربي المنصوص عليها في المادة 206، «لأنها جريمة عامة وفضفاضة لا حدود لوقائعها ولا لمضمونها وقد تقيد الحق في حرية التعبير والحق في نقد المؤسسات لضمان حكامة جيدة لها تضمن شفافيتها وجودة أدائها وانسجام عملها مع قواعد القانون و المساواة والاستحقاق».

نقاش صاخب لن يتوقف حتى بعد تمرير مسودة المشروع في المؤسسات الدستورية (مجلس حكومي ومجلس زاري وبرلمان) لانه يمس الحياة اليومية للمواطن قد ترتفع وتشتد وتيرته لكنه يشكل ورشا اصلاحيا للعدالة والقضاء وحقوق الإنسان ونشره للنقاش يؤكد على ذهاب المغرب نحو إصلاح حقيقي.

واصلت السلطات تقييد حرية التعبير وحرية تكوين الجمعيات وحرية التجمع، حيث ضيَّقت على الآراء المخالفة، وحاكمت عدداً من الصحافيين، وسجنت بعض النشطاء، وفرضت قيوداً على جماعات حقوق الإنسان وغيرها، كما فرَّقت بالقوة احتجاجات سلمية واحتجاجات أخرى. واستمر التعذيب وغيره من ضروب المعاملة السيئة أثناء الاحتجاز بسبب الافتقار إلى ما يكفي من الضمانات والمحاسبة، فضلاً عن قبول المحاكم للاعترافات المنتزعة تحت وطأة التعذيب. وصدر قانون جديد يسد ثغرةً كانت تتيح لمرتكبي جرائم الاغتصاب أن يفلتوا من قبضة العدالة، إلا إن المرأة ظلت تفتقر إلى الحماية الكافية من العنف الجنسي. واستمر سريان عقوبة الإعدام، ولكن الحكومة واصلت وقف تنفيذ أحكام الإعدام، وهو نهج سارت عليه منذ أمد طويل. (منظمة العفو الدولية)

ميديا

حسب تقرير «اللجنة الدولية لحماية الصحافيين»

السعودية.. الثالثة عالمياً في «الرقابة الصارمة» على الإعلام والكلام

لندن ـ «القدس العربي»:

احتلت المملكة العربية السعودية المرتبة الثالثة ضمن قائمة الدول العشر الأكثر رقابة على وسائل الإعلام وحرية الكلام، لتكون بذلك الدولة العربية الوحيدة ضمن قائمة أسوأ عشر دول في العالم من حيث الرقابة على الإعلام وتكميم الأفواه، وذلك بحسب أحدث التقارير الصادرة عن «اللجنة الدولة لحماية الصحافيين» والتي تتخذ من نيويورك مقراً لها.

وقال التقرير إن البلدان العشرة الواردة في القائمة هي الأكثر فرضاً للرقابة، وأنظمتها تهدد بأحكام السجن وتقيد الدخول إلى الإنترنت من أجل إسكات الصحافة وتكميم الأفواه.

واحتلت إريتريا وكوريا الشمالية المركزين الأول والثاني على قائمة البلدان الأكثر فرضاً للرقابة على الصحافة في العالم، تليهما السعودية ثم إثيوبيا ثم أذربيجان ثم فيتنام فإيران فالصين ثم ميانمار وأخيراً كوبا في المركز العاشر عالمياً.

والقائمة التي وضعتها لجنة حماية الصحافيين ترتكز على بحث تناول الأساليب المستخدمة والتي تتراوح بين الحبس وعقوبات أخرى والقوانين القمعية التي تسبب مضايقة الصحافيين إضافة إلى فرض القيود على دخول الإنترنت.

وقال تقرير اللجنة الدولية في إريتريا نجح الرئيس أسياس أفورقي في الحملة التي شنها لتحطيم الصحافة المستقلة، حيث خلق مناخاً إعلامياً شديد القمع بلغ درجة جعلت حتى الصحافيين العاملين في المؤسسات الإخبارية التي تسيرها الدولة يعيشون في رعب دائم من الإعتقال. وقد قاد التهديد بالسجن الكثير من الصحافيين إلى أن يلجأوا إلى المنفى بدلاً من المخاطرة بالتعرض للإعتقال. وتعد إريتريا البلد الذي يسجن أكبر عدد من الصحافيين في العالم حالياً حيث تحتجز ما لا يقل عن 23 صحافياً، لم يُحاكم أي منهم أمام محكمة ولم تُوجه ضد أي منهم إتهامات محددة.

وألغت إريتريا خططاً كانت تعتزم بموجبها تزويد مواطنيها بخدمة الإنترنت عبر الهواتف المحمولة عام 2011 حيث قيدت بذلك إمكانية الحصول على معلومات مستقلة، وذلك خشية من امتداد ثورات الربيع العربي إليها.

وعلى الرغم من توفر شبكة الإنترنت، إلا أنها كانت متاحة عبر وصلات بطيئة تعمل بطريقة الشبك من خط الهاتف (dial-up) حيث يدخل على الشبكة أقل من 1 في المئة من السكان، حسب أرقام الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة. وتسجل إريتريا أيضاً أقل عدد لمستخدمي الهاتف المحمول في العالم، حيث لا يمتلكه سوى 5.6 في المئة فقط من السكان.

وفي كوريا الشمالية، يمتلك 9.7 في المئة من السكان هاتفاً محمولا – وهو رقم يستثني إمكانية الحصول على هواتف مهربة من الصين. وبدلاً من شبكة الإنترنت العالمية التي لا تدخلها سوى قلة منتخبة من الأشخاص ذوي النفوذ، يمكن لبعض المدارس والمؤسسات الأخرى الدخول إلى شبكة الإنترنت داخلية (أو إنترنت) مسيطر عليه بإحكام.

وعلى الرغم من وصول مكتب لوكالة «أسيوشيتد برس» إلى بيونغ يانغ عام 2012 فإن الدولة تتمسك بإحكام بجدول أعمال الأخبار إلى حد تعديل محتوى شريط الأنباء لشطب عم كيم جونغ أون المطرود من الأرشيف بعد إعدامه.

وأكد التقرير الدولي أن الأساليب التي تستخدمها حكومتا إريتريا وكوريا الشمالية مستنسخة بدرجات متفاوتة في بلدان أخرى تمارس فيها رقابة صارمة. ففي سبيل إحكام قبضتها على السلطة، تستخدم الأنظمة القمعية أسلوباً يجمع بين احتكار الإعلام والمضايقة والتجسس وتهديد الصحافيين بالسجن وفرض قيود على دخول الصحافيين إلى البلاد أو على حركة تنقلهم فيها.

ويشير التقرير إلى أن الحبس يعتبر أحد أكثر أشكال ترهيب الصحافيين والتضييق عليهم فعالية، مشيراً إلى أن سبعة من أكثر 10 دول فرضاً للرقابة على الصحافة – وهي إريتريا وإثيوبيا وأذربيجان وفيتنام وإيران والصين وبورما – هي أيضاً من بين أكثر 10 دول سجناً للصحافيين في العالم، حسب إحصاء «لجنة حماية الصحافيين» السنوي.

وتقول اللجنة الدولية إن أكثر من نصف الصحافيين السجناء على مستوى العالم يواجه جرائم مناهضة الدولة، بمن فيهم الصحافيون السجناء في الصين، وهي البلد التي تسجن أكبر عدد من الصحافيين في العالم، وثامن أكثر بلد فرضاً للرقابة على الإعلام في العالم.

ومن بين 44 صحافياً سجيناً – وهو أعلى رقم للصين منذ أن بدأت «لجنة حماية الصحافيين» إحصاءها السنوي عام –1990 كان 29 من بينهم موقوفون على ذمة تهم مناهضة الدولة.

وتقول اللجنة الدولية إن «من الدول التي تستخدم هذه التهمة لسحق الأصوات المنتقدة السعودية (ثالث أكثر البلدان فرضاً للرقابة) حيث شكلت الأسرة الحاكمة هناك، والتي لم يرضها إسكات صوت المعارضة الداخلية، فريقاً واحداً مع حكومات أخرى في مجلس التعاون الخليجي كي تضمن التعامل بشدة مع أي انتقاد للقيادة في أي دولة عضو في المجلس».

وبحسب التقرير الدولي فإن «الدخول إلى الانترنت يكون أكثر تقييداً في البلاد التي تقع تحت حكم الحزب الشيوعي فى كوريا الشمالية وفيتنام والصين وكوبا».

ويقول التقرير إن أسلوب المضايقة الحكومية مستخدم في ما لا يقل عن خمسة من أكثر البلدان فرضاً للرقابة، ومن ضمنها أذربيجان، حيث تم اقتحام المكاتب وتهديد الجهات المعلنة وتوجيه تهم انتقامية للصحافيين، من قبيل حيازة المخدرات. أما في فيتنام فيوضع الكثير من المدونين تحت المراقبة في محاولة لمنعهم من حضور الأحداث الإخبارية وتغطيتها.

وفي إيران استدعت السلطات ـ بحسب التقرير – أقرباء الصحافيين وأبلغتهم أنهم قد يفقدون وظائفهم ورواتبهم التقاعدية بسبب ما يكتبه الصحافيون. أما في كوبا التي أحرزت بعض التقدم الذي اشتمل على استئناف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وتصريح كاسترو بأنه لن يترشح للرئاسة بعد انتهاء فترة رئاسته الحالية عام 2018 فلا تزال القلة القليلة من الصحافيين الذين يحاولون تغطية الأخبار هناك عرضة للمضايقة والتوقيف لمدد قصيرة.

وتستند قائمة البلدان العشرة الأكثر فرضاً للرقابة على الأبحاث التي تقوم بها لجنة حماية الصحافيين بالإضافية إلى خبرة موظفي اللجنة. وتقاس أوضاع البلدان باستخدام مجموعة من المعايير، من ضمنها غياب وسائل الإعلام الخاصة والمستقلة، وحجب المواقع على الإنترنت، والقيود على التسجيل الالكتروني للمواد الصحافية وتوزيعها، واشتراط الترخيص لمزاولة الصحافة، وفرض قيود على تحركات الصحافيين، ومراقبتهم من قبل السلطات، والتشويش على القنوات الأجنبية، وحظر المراسلين الأجانب.

القدس الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

إعلاميو السيسي يهاجمونه.. والقضاء يلاحق «المصري اليوم»

لندن – «القدس العربي»:

دخل الإعلام في مصر منعطفاً جديداً بعد أن ظهرت إنتقادات غير مسبوقة للرئيس عبد الفتاح السيسي على شاشات الفضائيات الخاصة دون سابق إنذار ودون معرفة السبب وراء هذه الإنتقادات، خاصة وأنها جاءت عبر مذيعين وإعلاميين معروفين بأنهم من المقربين لمكتب السيسي.

وبينما تتصاعد وتيرة الإنتقادات بحق السيسي على شاشات مصرية، فإن القضاء العسكري في مصر بدأ مؤخراً بملاحقة صحافيين من جريدة «المصري اليوم» بسبب تقارير ومقالات وملفات نشرتها الصحيفة مؤخراً، وذلك على الرغم من أن الصحيفة أيضاً ليست معارضة للنظام ولا لحكم الرئيس السيسي.

مفاجأة الحسيني وعكاشة

وجاءت المفاجأة لمتابعي الإعلام المصري وجمهور المصريين أن الإعلامي يوسف الحسيني الذي لطالما دافع عن السيسي على شاشة «أون تي في» تحول بصورة مفاجئة نحو إنتقاد الرئيس متهماً إياه بارتكاب الأخطاء التي كانت سبباً في معارضة الرئيس السابق محمد مرسي.

وكال الحسيني الإنتقادات للسيسي على شاشة الفضائية وعبر حسابه على «تويتر» الذي يتابعه أكثر من 1.8 مليون شخص، حيث قال إن الجميع كان يحمل مرسي مسؤولية أي إخفاق أو فشل، مضيفاً: «لماذا لا نعامل السيسي بالمثل؟».

وأكد الحسيني أن إختيار رئيس الحكومة وباقي أجهزة الدولة تابع للرئيس، لذا فهو يتحمل نتيجة إختياره، مضيفاً: «ما دام النظام رئاسياً وليس برلمانياً، فالسيسي يتحمل كل إخفاق وفشل نراه، سواء كان أمنيا أو اقتصاديا أو سياسيا». وجاء تعليق الإعلامي الحسيني في سياق إنتقاده لمقال كتبه الصحافي أكرم القصاص مدير تحرير جريدة «اليوم السابع» محاولاً فيه تبرئة السيسي من فشل الحكومة في مواجهة الإخفاقات، وهو الأمر الذي اعتبره الحسيني غير مقبول، داعياً إلى تحميل السيسي مسؤولية الإخفاقات والمشاكل التي تمر بها مصر.

واللافت أن الحسيني ورد اسمه في واحد من التسجيلات المسربة عن مكتب عبد الفتاح السيسي، حيث وصفه مدير مكتب السيسي عباس كامل بأنه «الواد الحسيني» وهو ما كشف عن حجم وطبيعة العلاقة التي تربط الحسيني باللواء كامل والسيسي، فضلاً عن أن التسريب كشف كيف أن الحسيني كان في فترة ما قبل الانتخابات الرئاسية في مصر يتلقى التوجيهات من مكتب السيسي.

أما الهجوم الآخر اللافت في الاعلام المصري على السيسي فكان على لسان الإعلامي الذي يمتلك قناة «الفراعين» توفيق عكاشة إذ قال على الملأ إن «الدولة فاشلة من رأسها لأسفلها بكل ما فيها» وأضاف: «إن من دمر الدولة وأجهزتها، يعيد تدميرها من جديد، وهذه الدولة لا تعرف حدوداً أخلاقية، ولا فرق فيها بين خسيس وأصيل، أو فدائي وعميل».

وانتهى عكاشة إلى القول: «فشلت الدولة وكل عام وأنتم بخير».

ومن المعروف أن عكاشة من أكثر المؤيدين المتحمسين للرئيس السيسي، كما أنه كان من أكبر مؤيدي عزل الرئيس مرسي بالقوة، وواحد من ألد خصوم جماعة الإخوان المسلمين التي فازت في الانتخابات البرلمانية والرئاسية التي أعقبت ثورة الخامس والعشرين من كانون الثاني/يناير 2011.

ملاحقة «المصري اليوم»

وبينما يدور الحديث في مصر عن أزمة بين الرئيس السيسي ونظامه من جهة، وبين وسائل الإعلام والصحافيين الذين كانوا محسوبين عليه سابقاً، فان نيابة أمن الدولة المصرية بدأت ملاحقة عدد من صحافيي جريدة «المصري اليوم» المعروفة أصلاً بتأييدها للسيسي ونظامه. وذلك بسبب نشر الملف المثير للجدل الذي عنونت له الصحيفة مؤخراً «ثقوب في البدلة الميري» وكشفت فيه الكثير من التجاوزات التي يرتكبها رجال الشرطة ووزارة الداخلية.

وكانت وزارة الداخلية أصدرت بياناً أشارت فيه إلى أن الملف، الذي أشرف عليه رئيس قسم التحقيقات في صحيفة «المصري اليوم» يسري البدري صدر بدافع شخصي لتقدمها ببلاغ ضده، فيما رد البدري بتصريحات قال فيها إن «الملف جرس إنذار للداخلية كي لا تعود إلى ممارسات قبل ثورة 25 كانون الثاني/يناير».

وقال إن الداخلية تعلق فشلها على شماعة الإعلام بدلاً من مواجهة سلبياتها وأخطائها، واختارت الطريق الأسهل بمهاجمة الإعلام وتحديدا جريدة «المصري اليوم» ولم يبق أمامها سوى مهاجمة الشعب نفسه.

وأوضح أن الداخلية ترى ما ننشره غير مهني وكأنها تحولت إلى كلية للإعلام تقيم العمل الصحافي بدلاً من معالجة فشلها الأمني ومحاصرة تجاوزات بعض أفرادها.

وأدانت «التنسيقية المصرية للحقوق والحريات» ممارسات السلطات الأمنية ضد الصحافة المصرية في الفترة الأخيرة.

وأعربت في بيان لها عن قلقها البالغ إزاء الممارسات الشرطية المتكررة التي تمثل إنتهاكاً للحقوق والحريات، وقالت: «أصبح التعرض للشرطي بالنقد مخالفة تستحق العقوبات وتكال من أجلها الإتهامات».

وانتقدت التنسيقية الحقوقية المستقلة إحالة رئيس تحرير جريدة «المصري اليوم» وعدد من صحافييها للتحقيق بسبب ملف «ثقوب في البدلة الميري».

وحذرت التنسيقية من تصاعد الإعتداءات التي تمارسها وزارة الداخلية في حق الصحافيين والصحافة، مؤكدة أن حرية الرأي والتعبير مصونة، وحق مقرر في كافة الدساتير والأعراف القانونية الدولية والمحلية.

إلى ذلك قالت «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان» إن وزارة الداخلية «لم تتبع الخطوات الواجبة عليها والتي حددها القانون من حق الرد والتصحيح أو اللجوء إلى المجلس الأعلى للصحافة، ولم تكتف الوزارة بدور الرقيب، ولكنها لجأت إلى محاولة تخويف الصحافيين عبر إجراءات التقاضي».

وطالبت الشبكة بوقف التحقيق مع صحافيي جريدة «المصري اليوم» كما طالبت وزارة الداخلية بالتوقف الفوري عن التضييق على وسائل الإعلام وملاحقة الصحافيين.

انتهاء «عاصفة الحزم» يشعل الجدل على الانترنت... وخلاف حول الانتصار أو الهزيمة

لندن – «القدس العربي»:

اشتعلت مواقع الانترنت وشبكات التواصل الإجتماعي بالجدل فور إعلان السعودية إنتهاء عملية «عاصفة الحزم» ضد الحوثيين في اليمن، حيث تباينت الآراء بين من اعتبر أن قوات التحالف انتصرت وحققت أهدافها من الحرب، وبين آخرين قالوا إن انتهاء العملية دون تقهقر الحوثيين يمثل انتكاسة لها وخسارة للسعودية أمام إيران.

ونشر العديد من النشطاء على «تويتر» تغريدات اعتبرت أن وقف الحرب بشكل مفاجئ دون تراجع الحوثيين على الأرض يمثل انتكاسة للعملية وفشلاً لها، فيما اعتبر آخرون أن «عاصفة الحزم» حققت أهدافها وردعت توسع الحوثيين، أما الفريق الثالث فانشغل بنشر صور الضحايا من المدنيين والأطفال ممن لم يتم الإلتفات لهم طوال الأسابيع الثلاثة للعملية.

وكتب الناشط السعودي عمر بن عبد العزيز على «تويتر» تغريدة يقول فيها معلقاً على انتهاء الحرب: «بين عشية وضحاها سيصبح الحوثي عربي شقيق بدلا من صفوي مجوسي».

وأضاف ساخراً من المؤيدين للعملية العسكرية والمؤيدين لانتهائها: «المطبل سيطبل حتى لو: أعلنوا الحرب، أوقفوها، قاتلوا الحوثي، صالحوه، طاردوا علي صالح، سامحوه» في إشارة إلى المواطنين الخليجيين المؤيدين لحكوماتهم على كل الأحوال. ورأى الناشط الكويتي فهد عامر الأحمد أن «انتهاء عاصفة الحزم حدث بعد تلقين الحوثيين وأسيادهم في إيران درساً في الحزم وعدم تهاون السعوديين إزاء أمنهم وحدود بلادهم».

أما السعودية بشاير فكتبت: «لأصحاب العقول «المتخلفة» انتهاء #عاصفة_الحزم لا يعني عدم التصدي لميليشيات الحوثي! العمل مستمر حتى يرضخوا».

ودعت الناشطة موزة طهراوة إلى التريث في الدخول في عملية عسكرية ثانية في اليمن، وكتبت على «تويتر»: علينا أن لا نذهب بعيداً في حروبنا وأن نتريث وننتبه لما يخطط لنا وأن لا ننجر لفتح جبهات قتالية جديدة بعد انتهاء عاصفة الحزم مهما كانت الأسباب».

كما التفت الناشط الكويتي سعد بن طفلة العجمي إلى الملف الإنساني البائس الذي خلفته الحرب في اليمن، حيث كتب على «تويتر»: «أتمنى أن نعمل جميعاً بتقديم المساعدات الواجبة لفقراء اليمن وتعليم الأطفال ومشروع إعادة الأمل لليمن بعد انتهاء عاصفة الحزم».

موقع بريطاني: غموض وضبابية

وبينما انشغل المغردون والنشطاء على شبكات التواصل الإجتماعي بانتهاء «عاصفة الحزم» قال موقع اخباري بريطاني إن قرار إنهاء العملية العسكرية في اليمن يكتنفه شيء من الغموض والضبابية، ولا أحد يمكن أن يفهم ما يجري أو يتكهن بما سيحصل.

ونقل موقع «ميدل ايست آي» عن الباحثة اليمنية في قسم الإجتماع في صنعاء سارة جمال قولها: «ما زال القلق يساورني، ولا أستطيع القول بأني متفائلة بهذه الأنباء، فالعدوان الداخلي ما زال مستمراً في الجنوب وفي مدن أخرى. بالنسبة لي، فإن الحرب لم تتوقف حتى الآن، والخوف الأكبر هو من الصراع الداخلي الذي يمكن أن يستمر لسنوات، وأرى أن الاحتمال العسكري لا يزال مطروحاً».

وقال الموقع إنه رغم تصريحات قيادة تحالف «عاصفة الحزم» بأن الهجمات تمكنت من القضاء على الكثير من مقار الحوثيين وتجمعاتهم، وقطع طرق الإمداد، إلا أن جماعة الحوثي تمكنت من قصف مناطق عدة، راح ضحيتها عدد من المدنيين، كما أن الحوثيين يشكلون تهديداً لمدن الجنوب، بما فيها عدن.

ونقل «ميدل إيست آي» عن سيمون هندرسون، مدير برنامج الخليج في معهد واشنطن، قوله: «على الرغم من أن النتيجة أعلنت نجاح العملية العسكرية، فمن غير الواضح مدى تناسبها مع استراتيجية السعودية لإعادة حكومة الرئيس عبد ربه منصور هادي، الموجود حالياً في الرياض، مع الأخذ في الإعتبار أن البيان تحدث عن حل سياسي». وأشار تقرير الموقع البريطاني إلى أن «العاصفة» بدأت فجأة وانتهت فجأة، مما دفع بالمحللين والمراقبين إلى القول بأن هناك عدم وضوح في الإعلان، فمن المحتمل أن تكون هناك بعض المفاوضات بين المملكة العربية السعودية وإيران، رغم أن هادي رفض عروض الوساطة مع إيران يوماً واحداً فقط، قبل إعلان نهاية عملية «عاصفة الحزم» ومع ذلك، وقبل ساعات من المؤتمر الصحافي للتحالف، كان الإيرانيون يلمحون بأن هناك صفقة تلوح في الأفق.

اقتصاد

اقتصاد يعاني ضيق الأفق وينقصه التنافس والتنوع وتعوزه الحركية

موريتانيا: ثروات طبيعية هائلة وتطور في مؤشرات النمو وضعف في التسيير والتخطيط

نواكشوط – «القدس العربي»: عبدالله مولود

تتوقع السلطات الاقتصادية والنقدية أن تحتفظ موريتانيا خلال السنة الجارية بتوازناتها ومستوى نموها رغم الظروف الضاغطة وانهيار أسعار خامات الحديد، أبرز مادة يصدرها البلد على مستوى الأسواق العالمية.

وقد أكدت هذا التفاؤل، تقارير تمخضت عنها مهمات دورية خاصة أنهتها أخيرا بعثات تابعة للبنك الدولي وصندوق النقد لدولي ضمن متابعة مسارات الاقتصاد الموريتاني.

وفي هذا الصدد يشير آخر تقرير للبنك الدولي أن المقارنة ما بين التقدم المتوسط في مستوى معدل النمو البالغ 4.9 في المئة والمسجل ما بين 2003 و2013 مع مستوى النمو الحالي لموريتانيا الذي بلغ 6.8 في المئة عام 2014، يؤكد وجود تسارع في الوتيرة.

ثروات متنوعة

لقد عوض النمو المسجل على مستوى قطاعات الزراعة والبناء وعلى مستوى القطاع المعدني وقطاع الخدمات، ضعف النشاط المسجل عل مستوى قطاع الصيد.

وتتواصل حاليا مفاوضات بين الحكومة والاتحاد الأوروبي لتحسين ظروف اصطياد الأسطول البحري الأوروبي في المياه الموريتانية وهو ما سيمكن من زيادة ريع هذا القطاع والمساهمة بالتالي في التنمية.

وسيؤدي التوسع الجاري للقطاع المعدني وبخاصة عمليات استغلال الحديد الخام، إلى حفز التنمية الاقتصادية للبلد عبر هذا القطاع الهام؛ وتعتبر موريتانيا ثاني مصدر أفريقي للحديد الخام، وسيرتفع إنتاجها من خامات الحديد خلال السنة الجارية 2015 إلى 18 مليون طن أي بزيادة تقارب 40 في المئة.

ويتوقع أن تنطلق خلال السنة الجارية، حسب معلومات مستقاة من وزارة الشؤون الاقتصادية، عمليات استغلال حقل الغاز في الجرف القاري الموريتاني بتمويل من البنك الدولي.

معوقات معترضة

وتعاني موريتانيا من برودة في التنافس الاقتصادي، ومن وجود اقتصاد ضيق الأفق وغير متنوع. ويساهم القطاع التصنيعي بنسبة ضئيلة جدا في الناتج الداخلي الخام حيث لا تتجاوز مساهمته 4 في المئة. ويعاني القطاع الزراعي كذلك من انعكاسات ارتفاع الحرارة، ومن انعكاسات الجفاف. ويشهد التضخم انخفاضا منذ 2010 ويتوقع أن يستقر خلال عام 2015 في معدل أقل من 4 في المئة بسبب انخفاض أسعار الغذاء.

اعتماد كلي على التصدير

يعتمد الاقتصاد اعتمادا كليا على التصدير وبخاصة الصادرات المعدنية التي تمثل أربعة أخماس الصادرات وهذا ما يجعله معرضا للصدمات الخارجية.

وتعتبر الصين أول شريك لموريتانيا حيث أنها تستورد نصف ما تصدره للخارج مع أن سنة 2014 شهدت تباطؤا في عمليات التوريد الصينية.

وتستورد موريتانيا ثلاثة أرباع حاجاتها الغذائية ويتوقع أن تكون هذه الكمية قد انخفضت قليلا خلال عام 2014.

وفيما يخص الحساب الجاري فإن العجز سيزداد خلال سنة 2015، حسب المؤشرات القائمة بفعل انخفاض أسعار الحديد الخام في الأسواق العالمية.

ومن المتوقع أن تساهم استثمارات خارجية في قطاع الصناعات الاستخراجية مضافة لقروض ميسرة في سد هذا العجز.

وقد عانى توازن الميزانية خلال سنة 2013 من إيقاف المساعدات المالية الموجهة للجفاف. ومع ذلك فقد شهدت العائدات المالية تحسنا مهما خلال الفترة ما بين 2009 و2013 بفضل تحسن كبير في التسيير والتجميع الجبائي. ويتوقع أن تستعيد المالية العامة توازنها خلال عامي 2014 و2015 بفعل العائدات الجبائية على مستوى القطاع المعدني والبترول.

وفيما يتعلق باحتياطات العملة الصعبة فقد بقيت مرتفعة خلال عام 2013 بواقع سبعة أشهر توريدات. ومع أن الدين العمومي ما زال مرتفعا إلا أنه سيشهد انخفاضا ملموسا بفعل حالات إلغاء للديون وعمليات التسديد المتواصلة.

وبالرغم من الجهود التي بذلتها الحكومة لتثبيت سعر العملة المحلية (الأوقية) مقابل الدولار فمن المتوقع أن يشهد سعرها انخفاضا ما خلال العام. وقد أطلق البنك المركزي خلال 2014 مشروعا لإقامة بورصة للقيم العقارية في نواكشوط.

حكامة ضعيفة في وسط أمني مضطرب

تؤكد معدلات الفقر الكبيرة (40 في المئة) المستقرة منذ 2008 مضافة لمعدل البطالة (قدرته السلطات بـ10 في المئة عام 2012)، وجود مخاطر باندلاع اضطرابات إجتماعية قد يزيد من تعقيدها التوزيع غير المتكافئ للثروة. وتتميز موريتانيا بوجود حكامة ضعيفة عاجزة عن تحقيق معدل نمو شامل. وستوقع الحكومة على ثالث برنامج إصلاحي لها مع صندوق النقد الدولي مما سيمنحها فرصة الحصول على مساعدات مالية إضافية من الصندوق ومن البنك الدولي.

ومن الرهانات الصعبة التي تهدد استقرار البلد مشكلة الرق؛ فبالرغم من تتالي إصدار القوانين المجرمة لهذه الممارسة، فإن ما بين 400 و600 ألف شخص ما يزالون، حسب مصادر حقوقية دولية، مستعبدين من أصل سكان يبلغ عددهم 3.8 مليون نسمة.

وتوجد موريتانيا مع ذلك في بيئة مضطربة، فالقضية الأمنية مقلقة ومعرضة للانفلات بسبب حضور المجموعات الإرهابية وبخاصة تنظيم القاعدة بالمغرب الإسلامي، في منطقة الساحل.

وتعتبر هذه المجموعات الحاضرة في التخوم الشرقية والشمالية لموريتانيا، عامل اضطراب كبير يهدد استقرار البلد.

ولكي تبعد مخاطر هذه المجموعات عن ترابها، أطلقت موريتانيا عام 2014 مشروعا للتعاون الأمني بمنطقة الساحل يسمى «مجموعة 5» تشارك فيه بوركينافاسو ومالي والتشاد والنيجر، ويتولى مواجهة التهديد الإرهابي.

وتضم موريتانيا البلد الصحراوي 3.8 مليون نسمة، ويبلغ دخل الفرد فيها 1060 دولارا حسب أرقام 2013.

وقد شهدت السنتين الماضيتين ارتفاعا كبيرا لمعدل النمو بفعل ارتفاع أسعار المواد الأولية في الأسواق العالمية. وتعتبر غنية بالموارد الطبيعية حيث أنها ثاني مصدر أفريقي لخامات الحديد وأحد المصدرين الأساسيين للذهب والنحاس.

وتتوفر على منتوج نفطي متواضع وعلى احتياطات ضخمة من الغاز الطبيعي في حقول «بندا» بالجرف الساحلي وهو ما يفتح أمامها آفاقا اقتصادية هامة. وسواحلها من أغنى شواطئ العالم بالأسماك.

السياق السياسي

فتحت موريتانيا بعد المرحلة الانتقالية الديمقراطية التي استمرت من 2005 إلى 2006، حوارا هاما مع شركائها في التنمية. وفي هذا الصدد استفادت من إلغاء واسع النطاق لديونها ضمن مبادرة دعم الدول الأكثر ديونا، كما استفادت من مبادرة تسهيل الديون المتعددة الأطراف.

وبعد انقلاب 2008 أوقفت المجموعة الدولية غالبية نشاطاتها في موريتانيا قبل أن يستأنف البنك الدولي نشاطاته في 2009 إثر الانتخابات التي أسفرت عن تشكيل حكومة وحدة وطنية والتي تلاها رفع العقوبات الدولية. ولوحظ أنها أصبحت مستقرة وقد جرت عام2014 انتخابات رئاسية ضمن جو هادئ وسلمي.

السياق الإجتماعي

بالرغم من الزيادة الكبيرة في معدل النمو الاقتصادي لا يزال معدل الفقر مرتفعا وبخاصة في المناطق الريفية.

وتعترض عوامل كثيرة خفض معدل الفقر بينها ضعف أداء الاقتصاد الريفي وغياب قطاعات ذات رأسمال بشري مكثف ومنها ضعف الحكامة وضعف الخدمات وهشاشة الوسط الريفي الشديدة أمام الصدمات الخارجية.

وحسب تقديرات معدل الفقر المنجزة رسميا عام 2008 فإن المعدل انخفض من 46.7 إلى 42 في المئة ما بين 2004 و2008.

ومن المتوقع أن تتجدد المعطيات الخاصة بالفقر بعد اكتمال التحقيق الخاص بالأسر مستهل عام 2015. وارتفع مؤشر التنمية البشرية من 0.424 إلى 0.487 ما بين 2004 و2014 مقابل معدل 0.502 المسجل على مستوى منطقة أفريقيا ما وراء الصحراء.

الوضع الاقتصادي

بلغ معدل النمو الاقتصادي 6.7 في المئة عام 2013 فيما بلغ دخل الفرد 1060 دولارا وهذا ما يضع موريتانيا في خانة الدول ذات الدخل المتوسط.

وعرفت المؤشرات الاقتصادية تحسنا كبيرا كما شهد احتياطاتها الخارجية زيادة مهمة وتحسنت هوامش حيزها المالي بفعل زيادة أسعار المواد الأولية في الأسواق العالمية وبفعل انتهاج سياسة تسيير اقتصاد صارمة وحذرة.

وقد تجاوزت الاستثمارات الخارجية مليار دولار ما بين 2012 و2013 مما يوازن العجز في الحساب الجاري.

ويظل الحديد الخام المحرك الأساسي للاقتصاد ومن المتوقع أن يشهد زيادة وتحسنا كبيرا.

وسينطلق في السنة الجارية 2015 ،إنتاج الغاز الطبيعي ضمن برنامج «بندا غاز تو بوور» المدعوم من البنك الدولي. وقد وقعت اتفاقية الصيد مع الاتحاد الأوروبي عام 2013 وتتواصل حاليا المفاوضات لتجديدها.

وشهد توازن الميزانية انخفاضا بنسبة 1.1 في المئة عام 2013 إلا أنه سيستعيد مستواه العادي في عام 2014؛ كما تحسن الوعاء الضريبي كثيرا بفعل عائدات القطاع المنجمي وتحسن الجباية وهو ما مكن من بروز رؤية جبائية أفضل. وتضاعفت العائدات الجبائية بين عامي 2009 و2013 بينما ظل التضخم عاديا في حدود 4.2 في المئة.

وفي عام 2013 تم الحفاظ على احتياط العملات الصعبة في مستوى مرتفع أي في حدود سبعة أشهر من حجم الصادرات.

وكانت آفاق 2014 في المدى المتوسط إيجابية حيث يتوقع أن يرتفع معدل النمو للناتج الداخلي الخام إلى 6 في المئة ليصل في المدى المتوسط إلى 6.5 في المئة، كما يتوقع أن يكون توازن الميزانية إيجابيا خلال الفترة ذاتها.

تحديات التنمية

تواجه موريتانيا في مجهود نموها تحديات كبيرة جدا بينها الاحتفاظ بالاستخدام الفعال لعائدات الموارد الطبيعية والتنافس وتنوع الاقتصاد وضعف الحكامة.

فبخصوص ترشيد الموارد الطبيعية فإن الصناعات الاستخراجية التي هي محرك تنمية البلد لا توفر فرص العمل مما يجعل الحكومة ملزمة بالمصادقة على نظام جبائي يناسب هذا الواقع ويمكن في آن واحد، من الحصول على مقابل منصف من المواد المستخصلة ومن تشجيع سياسات الاستفادة المتجددة من أرباح الاستثمارات للحصول على عائدات دائمة وموزعة بصورة أفضل.

ومن ناحية أخرى فإن قطاعي الزراعة والصيد اللذان يشغلان غالبية اليد العاملة ويتوفران على إمكانيات هامة، يتميزان بمستويات إنتاج ضعيفة للغاية وهما مع ذلك معرضان للتأثر بالتغييرات المناخية.

التنوع والتنافس

يعتبر التنافس محدودا بالنسبة للاقتصاد الذي هو في الواقع ضيق ويعاني من ضعف التنوع ومن هشاشة الإطار القانوني.

فمنذ سنوات 1990 والصادرات محصورة في القطاع المعدني والصيد اللذين يمثلان في المتوسط أكثر من أربعة أخماس مجموعة الصادرات خلال العقد ما بين 1990 و2000.

وفي السنوات الأخيرة فإن تنوع الاقتصاد، خارج حالة النفط الخام، لم يشهد أي جديد. وعلى العكس من ذلك فإن تجمع الصادرات قد شهد مؤخرا (زيادة ما بين 2012 و2013)، مثل الحديد الخام الذي يمثل 50 في المئة من مجموع الصادرات.

ويعتبر ضعف الحكامة وهشاشة التحكم في التفاوت ومواجهة إعادة توزيع الثروة أهم التحديات التي يمكن أن تجتازها موريتانيا بشرط مواصلة الحكامة الراشدة وبخاصة في القطاع المنجمي وفي إشراف الدولة على المؤسسات.

وتلعب الحكامة الراشدة أيضا دورا هاما في دعم المقاومة الإجتماعية من أجل تحسين الخدمات الأساسية كالصحة ومكافحة الفاقة. وتؤكد دراسة أخيرة للبنك الدولي «أن الحكومة سجلت تقدما كبيرا في مجال تحسين الحكامة والشفافية في قطاع الاستخلاص المعدني، كما أنها تساير بشكل تام ضوابط مبادرة الشفافية في الصناعات الاستخراجية».

إنها معلومات مفرحة بالنسبة لموريتانيا، تضيف الدراسة، فإذا ما حظيت هذه الموارد، بتدبير وتسيير رشيدين فإنها ستؤدي لتدفق ثابت للدخل من شأنه إذا رافقته سياسيات مناسبة أن يوصل المجتمع الموريتاني لمستويات من الرفاه، كما سيوصل الأجيال المقبلة إلى مستويات مهمة من العيش الهانئ.

القدس الاسبوعي

Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

رحلة الشركة في 70 عاماً نجاحات ونكبات... ثم توسّع ونهوض «للعلا... للعالم»

الحوت: لم تجد الـ«ميدل ايست» من يشتريها بدولار سنة 2001 فيما باتت اليوم مضرب مثل

بيروت - «القدس العربي»: سعد الياس

في وقت يواجه لبنان أزمات سياسية واقتصادية وأمنية ويشهد فراغاً على مستوى رئاسة الجمهورية وشللاً على مستوى المجلس النيابي وجموداً في مختلف القطاعات السياحية والتجارية والفندقية، إلا أنه لا تزال هناك قطاعات مضيئة تتخطى الحواجز والتعقيدات وتعطي أملاً في إمكان النهوض من جديد ومن بين هذه القطاعات ما تمثّله شركة طيران الشرق الاوسط MEA التي تعيّد حالياً عيد تأسيسها الـ70 تحت شعار «سبعون الـ «ميدل إيست» للعلا... للعالم».

وما إنفكت الشركة تخوض غمارها من دون تردّد ولا يأس ، فخورة بما حققته وتحققه، وبفضل إرادة الحياة وروح التحدي تغلّبت الشركة على العقبات وواصلت التطوير والتحديث رغم النكبات. وبحسب المعلومات فإن الشركة حققت ارباحاً في السنوات الفائتة وبعدما كانت حقوق المساهمين في شركة الميدل إيست سلبية بنحو 45 مليون دولار باتت حالياً وبعد 17 عاماً على مجلس الإدارة الجديد ايجابية بنحو 625 مليون دولار، وتمّ توزيع أنصبة أرباح على المساهمين بقيمة 330 مليون دولار وبالتالي تكون الشركة قد حققت لها وللمساهمين فيها رقم المليار دولار.

وللمناسبة شرح رئيس مجلس إدارة شركة الميدل إيست المدير العام محمد الحوت أمام وفد من الإعلاميين ورجال الصحافة بينهم «القدس العربي» دعتهم الشركة إلى الاحتفال بعيدها السبعين في شرم الشيخ مسار تطور الشركة وكيفية تخطيها المشاكل فقال «عندما تسلمت مهامي في الشركة كانت الدراسات تملأ هنغاراً، تنتظر من يضعها في التنفيذ، ونحن حوّلنا الخطة انجازاً . أنا عيّنني حاكم مصرف لبنان رياض سلامة ولم أكن أعرف الرئيس رفيق الحريري ولم يكن يعرفني ولا كنت محسوباً على تياره السياسي. طلبت موعداً واجتمعت به بحضور الدكتور حسني المجذوب الذي كان على علاقة ودية مع الرئيس الشهيد. خلال اللقاء حدّثت الرئيس الحريري عن مشاكل الشركة، فإستمع إلي نحو عشر دقائق ثم قال «محمد، حبيبي، رياض سلامة عيّنك وأنا أحاسبك على النتائج. لا تعرض لي مشاكل الشركة بل قل لي ماذا ستفعل لاصلاحها وأنا أدعمك. وهذا ما حصل فعلاً حيث دعم الرئيس الحريري الشركة إلى أقصى الحدود ودعمني ومجلس الإدارة بمهامنا. وبفضله حصلنا على التوافق السياسي للمضي بالخطة الإصلاحية مع الرئيس نبيه بري والاستاذ وليد جنبلاط. ومنذ ذلك الحين لا نقدم الوعود بل نحقق الإنجازات، ورغم الحملات التي تعرضنا لها والإفتراءات كان الإنجاز هو الرد والأرقام هي الحكَم».

وشدّد الحوت على مفهوم السلامة العامة عند الشركة وقال «إن الميدل إيست تبنت منذ إنشائها ثقافة السلامة العامة والأمان، حتى في أصعب ظروف الحرب التي عصفت بلبنان بقيت السلامة العامة والأمان أولوية في الميدل إيست. والحمد الله لم نسجّل أي حادث منذ الحادث الإرهابي مطلع 1976 ونحن نقوم بواجباتنا المهنية على مستوى التجهيز والصيانة والتدريب والطيارين والجهاز البشري وندعو الله أن يحفظ الشركة بأطقمها وركابها وكافة موظفيها».

ويتذكّر الحوت «كيف تمكّنا من تهريب الطائرات تحت القصف الإسرائيلي خلال حرب تموز/يوليو 2006 بفضل رئيس الحكومة الأسبق فؤاد السنيورة وهذا ما أنقذ الشركة». ونوّه رئيس مجلس الإدارة «بإحتضان قيادات رئيسية في البلد للميدل إيست، فرئيس مجلس النواب نبيه بري قام بتسهيل عمليات الشركة وتنفيذ الخطة الاصلاحية وما من قانون يتعلق بالشركة إلا وتبناه الرئيس بري وتابعه إلى حين اقراره في مجلس النواب. وعندما حمل وزير الأشغال والنقل غازي العريضي مشروع تجديد حصرية المديل إيست بمتابعة كاملة من الاستاذ وليد جنبلاط كان الرئيس بري من اول الداعمين له». ويضيف «إن رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان قدم التسهيلات اللازمة لبناء مركز التدريب، واسجّل للرئيس نجيب ميقاتي فضله حين كان وزيراً للنقل سنة 2001 بأنه كان شديد الحماسة لتجديد الأسطول».

ولفت الحوت إلى «أن من أسباب نجاح الشركة أنه تولى مسؤوليتها بمواكبة مجلس إدارة متجانس يهمّه نجاح الشركة ويمتلك كلمة موحدة، وولاؤه السياسي هو مصلحة الشركة». وقال «في الشركة رئيس وفريق، ولا يستطيع الرئيس أن ينجح بمفرده، والفريق الذي يعمل معي مخلص وأعتمد عليه كثيراً، وللعاملين في الشركة فضل كبير من إداريين وطيارين ومضيفين ومهندسين وتقنيين وعمال وموظفين. كلنا فريق واحد ومعا نجحنا من أجل الشركة، وهذا ما جعلها تستمر سبعين عاماً بعدما لم تجد سنة 2001 من يشتريها بدولار، فيما هي أصبحت اليوم مضرب مثل».

وأكد الحوت «أن سبعين سنة... في عمر الأرزة صبا، وقد استمر هذا الصبا والجمال بفضل وحدة ورؤية وكلمة مجلس الإدارة والدعم المعنوي والمالي لحاكم مصرف لبنان رياض سلامة الذي أعطى الشركة من قلبه وعقله، فإستحق منا الولاء والشكر».

وكانت شركة طيران الشرق الأوسط تأسست على يد الرئيس الراحل صائب سلام عام 1945 وفي طموحه أن تكون شركة مستقلة تليق بإستقلال الوطن. وبعد 70 عاماً اعتبر نجل صائب سلام رئيس مجلس الوزراء الحالي تمام سلام في كلمة له للشركة «أن الميدل إيست أمضت 70 سنة من النجاح والإنجازات و70 سنة من رفع راية لبنان وعلم لبنان تحليقاً في كل العالم وتواصلاً لأن مكاتب شركة طيران الشرق الأوسط في الخارج كانت ولا تزال بمثابة سفارات بالنسبة إلى المسافرين والمقيمين».

17 طائرة

تشغّل شركة الميدل إيست حالياً أسطولاً تمتلكه يتألف من 17 طائرة إيرباص وهو من أحدث الطائرات في العالم نظراً لتمتعه بخصائص مميزة من حيث التصميم المعاصر، سعة المقصورة والفعالية التشغيلية، ويتسم الأسطول بحداثته وحجمه واحترامه للبيئة إضافة إلى التنوع التكنولوجي المبتكر.

رحلة في الزمن الماضي عبر العقود السبعة

1945– 1955 عقد التأسيس والإنطلاق : تسجلت شركة طيران بإسم «شركة الطيران اللبناني– طيران الشرق الأوسط» برأسمال مليون ليرة وتم توقيع اتفاقية تعاون مع شركة الطيران البريطاني وانطلقت أول طائرة من بيروت إلى نيقوسيا ثم إلى أنقرة واسطنبول فالكويت ودول خليجية أخرى وإلغي الإتفاق مع الشركة البريطانية وعقد اتفاق شراكة مع شركة بان أمريكان.

بين 1955 و1965 عقد التطور واللبننة: حيث انضمت الشركة إلى الأياتا «الاتحاد الدولي للنقل الجوي» وتحولت من شركة طيران إقليمية إلى شركة طيران عالمية وإرتفع عدد المسافرين من 450777 إلى 910130 مسافراً.

بين 1965 و1975 عقد النجاحات والنكبات: فقد شهد لبنان ازدهاراً سياحياً كان للميدل إيست دور رئيسي فيه من خلال نشر نقاط الجذب السياحي اللبناني عبر مكاتبها ومندوبيها في الخارج ولكن في 28 كانون الاول/ ديسمبر 1968 زرعت فرقة كوماندوس إسرائيلية عبوات متفجرة في الطائرات الفارغة الجاثمة على أرض مطار بيروت ودمّرت 13 طائرة من بينها 8 طائرات للميدل إيست. وفي آب/اغسطس 1973 أجبر العدو الإسرائيلي طائرة الميدل إيست Caravelle على أن تحط في مطار إسرائيل حيث قام بتفتيشها ما أدى إلى إدانة دولية وبعد ذلك بأيام تكرر الأمر نفسه.

بين 1975 و1985 عقد الإزدهار والدمار: فقد وصل عدد الركاب في سنة 1975 إلى مليون راكب ثم ا نطلقت الحرب الأهلية في لبنان وطال القصف معظم المناطق اللبنانية، وتعرّض أكثر من 100 موظف من الميدل إيست إلى الخطف خلال توجههم إلى العمل، وتكبدت الشركة خسائر بنحو 14 مليون ليرة ودارت معارك دموية حول المطار ودُمّرت طائرة بوينغ 707 في 4 حزيران/يونيو 1976 كما دمّر القصف على المطار في 27 حزيران/يونيو 1976 طائرة بوينغ 720 كانت متوجهة إلى عمان. وفي العام 1982 دمّر الاجتياح الإسرائيلي منشآت هيئة الطيران المدني ودمّر للميدل إيست 5 طائرات بوينغ وأصاب 6 طائرات أخرى بأضرار بالغة واضطرت الشركة إلى نقل أعمالها إلى مطار لارنكا في قبرص. وفي العام 1984 شهد المطار أطول إقفال لمدة 154 يوماً بسبب الحرب.

بين 1985 و1995 عقد الإنكفاء والإنطلاق : انهارت الليرة اللبنانية سنة 1986 بشكل إضافي ما أدى إلى انهيار في الاقتصاد اللبناني ودخلت الشركة في نفق مظلم وصعوبات مالية حرجة. وفي سنة 1991 عادت الحياة الطبيعية إلى لبنان واستعادت الشركة نشاطها السابق إلى محطاتها وحققت نجاحاً ملحوظاً بتحسين شبكة خطوطها في اتجاه اوروبا والشرق الأوسط والخليج.

بين 1995 و2005 عقد التوسع والنهوض: امتلك مصرف لبنان 99.23 في المئة من اسهم الميدل إيست وبدأت الشركة بتسلم أول طائرة ايرباص وتم تعيين مجلس إدارة جديد برئاسة محمد الحوت حيث أقر خطة إصلاحية هدفها نقل الشركة من خاسرة إلى رابحة ووسّع الآفاق مع «إير فرانس».

بين 2005 و2015 عقد العالمية: رغم فاجعة اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري وتأثيرها المباشر على المسافرين حققت الشركة أرباحاً صافية بقيمة 46 مليون دولار. وفي حرب تموز/يوليو 2006 تمّ إخراج الطائرات ولم تتوقف خدمة الركاب بل سيّرت الشركة خطوطها من سوريا وأجّرت طائرات من قبرص. وفي نهاية 2006 قررت الشركة شراء 10 طائرات جديدة من طراز ايرباص وفتحت خطوطاً جوية جديدة. وقبيل نهاية 2011 حققت الميدل إيست رقم المليوني راكب على أسطولها. وافتتحت مركز الطيران التشبيهي لتدريب الطيارين.

رياضة

صراعات دوري أبطال أوروبا بلغت ذروتها

أخيراً... تشيشاريتو يحظى بليلة مجد استثنائية مع ريال مدريد

مدريد – «القدس العربي»

رغم تتوقه لأن يحظى بلحظة مماثلة، لم يتخيل المكسيكي خافيير هيرنانديز (تشيتشاريتو) نجم هجوم ريال مدريد قبل أسابيع قليلة أن اسمه سيتردد بقوة بين أرجاء مدرجات ملعب «سانتياغو بيرنابيو» خلال إحدى مباريات دور الثمانية لدوري أبطال أوروبا.

«تشيتشاريتو تشيشاريتو» كان هذا هو النداء الذي رددته جماهير نادي ريال مدريد أثناء خروج اللاعب المكسيكي من الملعب مرهقا ويكاد لا يستطيع المشي، إلا أن علامات الرضا والسعادة قد ارتسمت على قسمات وجهه، بعد أن قاد الفريق الملكي إلى الدور قبل النهائي لبطولة دوري الأبطال بالهدف القاتل الذي أحرزه في شباك أتلتيكو مدريد مساء الأربعاء.

وانتظر الفريق حامل لقب البطولة الأوروبية، حتى الدقيقة 88 لتسجيل الهدف الوحيد في المباراة بأقدام لاعب ظل مصنفا حتى الأسابيع الأخيرة بأنه أحد أصحاب الأدوار الثانوية وبديلا محضا للفرنسي كريم بنزيمه. وكانت دموع هيرنانديز على مقاعد البدلاء عقب نهاية المباراة تحمل خليطا من مشاعر الغضب والفرحة، والتي تفجرت قبل نهاية المباراة بدقائق عندما سجل هدف الفوز لفريقه بتمريرة حاسمة من نجم الفريق كريستيانو رونالدو. وركض اللاعب المكسيكي بعد إحراز الهدف صوب المدرجات فاتحا ذراعيه ليستقبل الفرحة الغامرة لجماهير الريال قبل أن يستلقي على الأرض غارقا في نشوة الانتصار.

وبدا تشيتشاريتو غير مصدق لما قام به عندما وضع يده على وجه بعد أن استلقى على الأرض ويحرك رأسه كما لو كان غير مصدق حقيقة ما يحدث له. وقال أنشيلوتي مدرب ريال مدريد: «الليلة لعبنا مباراة جيدة وسيطرنا على مجريات اللعب بشكل رائع... لم نعط لاعبي أتلتيكو الفرصة لشن هجمات مرتدة».

وأضاف: «أحرزنا هدف الفوز في الوقت المناسب... بالطبع حالة الطرد سهلت من مهمتنا... ولا أعرف إذا كانت حالة الطرد صحيحة أم لا... كانت مباراة قوية للغاية ولكن اللاعبين كانوا على قدر كبير من المسؤولية».

وعن هدف تشيتشاريتو قال: «كان تشيتشاريتو مذهلا... فقد لعب بصورة جيدة للغاية واستحق أن يحرز هدفا... لم يشارك اللاعب مع الفريق كثيرا هذا الموسم ولكنني عندما أحتاجه أجده جاهزا... فهو لاعب محترف». من جانبه، قال تشيتشاريتو عن الهدف الذي أحرزه: «إنه أهم هدف في مسيرتي الكروية.... وأنا أهدي هذا الهدف لكل شخص كان واثقا بقدراتي».

القدس الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

بايرن ميونيخ أنهى أسبوعا من القلق في ليلة ساحرة

برلين – «القدس العربي»

وضع بايرن ميونيخ الألماني نهاية استثنائية لأسبوع عانت فيه جماهيره من قلق كبير بشأن أمل الفريق في التتويج بثلاثية الدوري والكأس ودوري الأبطال للمرة الثانية خلال ثلاثة أعوام، لتنهال عبارات الإشادة والثناء على المدرب جوسيب غواردیولا ولاعبي الفريق.

ونشرت صحيفة «دير شبيغل» في موقعها عنوانا حمل كلمتي «انتصار غواردیولا»، حيث أكدت التقارير الإعلامية في ألمانيا أن فوز البايرن على بورتو البرتغالي مساء الثلاثاء في إياب دور الثمانية بدوري أبطال أوروبا، يعد إنجازا تدريبيا جديدا للأسباني غواردیولا.

وكان بايرن ميونيخ بطل أوروبا خمس مرات خسر ذهابا على ملعب بورتو 1–3 الأسبوع الماضي لكن الفريق البافاري قدم ليلة ساحرة لجماهيره مساء الثلاثاء وتقدم بخمسة أهداف خلال الشوط الأول قبل أن ينهي المباراة فائزا 6–1 ليتأهل عن جدارة إلى الدور قبل النهائي بالبطولة الأوروبية بنتيجة 7–4 في مجموع المباراتين.

وذكرت صحيفة «فرانكفورتر ألجماينه تسايتونغ» أن خطة غواردیولا «سارت بشكل مثالي»، مشيرة إلى أن غواردیولا ركز على نقاط الضعف في دفاع بورتو في ظل إيقاف لاعبيه الأساسيين دانيلو وأليكس ساندرو.

وجاء إشراك خوان بيرنات وماريو غوتزه في الجانب الأيسر ورافينيا وفيليب لام على الجانب الأيمن ليضع بورتو تحت ضغط دائم، وجاءت جميع الأهداف الثلاثة الأولى من ضربات رأسية من تياغو ألكانترا وروبرت ليفاندوفسكي وجيروم بواتينغ. وذكرت صحيفة «فرانكفورت» أنه في غياب اللاعبين الكبيرين آريين روبن وفرانك ريبيري، ظهرت إمكانيات أخرى في بايرن ميونيخ.

وجاءت المباراة مختلفة تماما عن سابقتها في البرتغال، حيث بدا بايرن ميونيخ المنكوب بالإصابات، مجهدا للغاية على ملعب بورتو وغاب تماما عن مستواه. وكانت الهزيمة في البرتغال أسفرت في اليوم التالي عن استقالة مفاجئة لطبيب بايرن ميونيخ هانز– فيلهيلم مولر– فولفارت وأعضاء فريقه الطبي، مرجعا السبب في ذلك إلى إلقاء اللوم عليهم في هزيمة الفريق. وكان خروج بايرن ميونيخ من دور الثمانية على يد بورتو سيشكل إخفاقا في سجل غواردیولا، رغم أن الفريق اقترب بشكل كبير من ثنائية الدوري والكأس لكن يظل لقب دوري أبطال أوروبا المطلب الرئيسي.

وقال ماتياس سامر مدير الكرة بالنادي: «كلنا هنا نثق بهذا الفريق طوال الوقت... نعرف أنه يمكننا الاعتماد عليه... خططنا كانت جيدة وإشراك فيليب لام في الجهة اليمنى فاجأهم (بورتو)... غواردیولا مهم للغاية للكرة الألمانية وبايرن ميونيخ».

كذلك وصف توماس مولر، الذي سجل الهدف الرابع ليتصدر قائمة هدافي بايرن ميونيخ في دوري الأبطال برصيد 27 هدفا، الليلة الماضية بـ«الرائعة». ووصف غواردیولا ما قدمه فريقه بأنه «جنون»، والآن يمكنه التفكير بشأن المواجهة المحتملة في الدور قبل النهائي أمام فريقه السابق برشلونة الأسباني. واعترف غواردیولا بأن بايرن ميونيخ لا يتحمل الإخفاق، وأضاف: «بالطبع تنطوى الخطط والتشكيلة على أهمية، لكن في النهاية تصنع القوة الذهنية الفارق في هذه المستويات.

16 رقما بارزا في دور الثمانية

لندن – «القدس العربي»

شهدت مباريات دور الثمانية في دوري أبطال أوروبا بعد نهايتها، مساء الأربعاء، العديد من الأرقام والإحصاءات التي وصلت إلى 16 رقما.

وتأهل الى المربع الذهبي برشلونة وريال مدريد من إسبانيا، ويوفنتوس من إيطاليا، وبايرن ميونيخ من ألمانيا. وفيما يأتي رصد للأرقام التي شهدتها مباريات دور الثمانية:

مباراة بايرن ميونيخ وبورتو:

المدرب الإسباني جوسيب غواردیولا قاد بايرن ميونيخ في المباراة رقم 100، حيث فاز في 79 وتعادل في 10 وخسر 11.

– بايرن ميونخ تأهل لنصف نهائي دوري أبطال أوروبا للمرة الرابعة على التوالي لأول مرة في تاريخه.

– تعد هزيمة بورتو بستة أهداف لهدف الأكبر له أوروبيا منذ 1978، في منافسات إياب دور ربع النهائي من دوري أبطال أوروبا. وكان بورتو خسر في البطولة بمسماها القديم (كأس أبطال أوروبا) في موسم 1978–1979 من أيك آثينا اليوناني في اياب الجولة الأولى من البطولة بستة أهداف لواحد.

– بورتو تعرض للخسارة الأولى في دوري الأبطال في الموسم الحالي وودع البطولة.

– هدف الكولومبي جاكسون مارتينيز مهاجم بورتو في بايرن ميونخ هو الأول الذي يهز شباك العملاق البافاري في الموسم الحالي بدوري الأبطال الأوروبي على ملعب أليانز أرينا، حيث لم يسكن مرمى البايرن أي هدف على ملعبه منذ بداية مرحلة المجموعات.

مباراة برشلونة الإسباني وباريس سان جيرمان:

– البرازيلي نيمار لاعب برشلونة بات أكثر لاعب تسجيلا للأهداف في شباك باريس سان جيرمان عبر تاريخ دوري الأبطال بتسجيله خمسة أهداف.

– الهدف الأول لنيمار كان رقم 1000 في تاريخ مشاركات برشلونة في البطولات الأوروبية.

– لويس إنريكي مدرب برشلونة وصل إلى 42 انتصارا في أول 50 مباراة في القيادة الفنية لبرشلونة.

مباراة يوفينتوس الإيطالي مع موناكو الفرنسي:

– سجل المدافع الإيطالي جورجيو كيليني رقما جديدا في دوري الأبطال حيث حصل على بطاقة صفراء بعد مرور 48 ثانية من عمر اللقاء. وتعتبر الأسرع في دوري أبطال أوروبا منذ البطاقة التي حصل عليها لاعب أرسنال ومنتخب فرنسا أبو ديابي أمام مونبلييه في نسخة عام 2012 بعد 21 ثانية.

– تأهل يوفينتوس إلى المربع الذهبي بعد غياب 12 عاما.

– أصبح للكرة الايطالية ممثل في قبل النهائي للمرة الأولى منذ 2010 عندما تأهل إنتر ميلان وشق طريقه بعد ذلك نحو اللقب.

مباراة ريال مدريد مع أتلتيكو مدريد:

– فوز الريال على أتلتيكو هو الأول لحامل اللقب من إجمالي ثماني مواجهات جمعتهما هذا الموسم، فمنذ فوز الريال بدوري الأبطال العام الماضي بتغلبه على أتلتيكو في المباراة النهائية 1/4، لم ينجح في تحقيق أي فوز عليه خلال لقاءاتهما التي شهدها الموسم الحالي، ففاز أتليتكو في 4 مباريات وتعادلا في 3 مباريات.

– عادل الإيطالي كارلو أنشيلوتي مدرب الريال رقم الاسكتلندي أليكس فيرغسون في الوصول إلى نصف نهائي دوري الأبطال (7 مرات)، حيث يتصدر البرتغالي جوزيه مورينيو مدرب تشلسي عدد مرات الوصول لنصف النهائي بإجمالي 8 مرات.

– الريال أصبح أكثر الفريق الأوروبية وصولا لنصف نهائي البطولة للمرة 26 في تاريخه.

– الريال يتأهل للمرة الخامسة على التوالي لنصف نهائي دوري الأبطال.

– يعد هدف المكسيكي خافيير هيرنانديز الأول له في البطولة الأوروبية مع الريال منذ انتقاله إليه، كما أنه أول أهدافه في المسابقة بشكل عام منذ السابع من نوفمبر/ تشرين الثاني 2012.

القدس العربي الأسبوعي
السنة السادسة والعشرون - العدد 8086 الأحد 26 نيسان (ابريل) 2015 - 7 رجب 1436هـ

أصغر فارسة غزاوية تسعى إلى رقم قياسي في موسوعة «غينيس»

موهبة الطفولة البريئة

غزة – «القدس العربي»

في ساحة ناد لتدريب الفروسية غربي مدينة غزة، تقفز الطفلةُ هَلا البطراوي، التي لا يتجاوز عمرها ست سنوات، بخفة ومهارة فوق حاجز يزيد ارتفاعه على المتر، وسط تشجيع حار من والديها.

واستطاعت البطراوي، بفضل موهبتها، والتدريبات المكثفة، أن تتخطى عمرها الزمني، كما يروي مدربها أحمد عبد العال.

وترتدي البطراوي التي التحقت العام الماضي بنادي «الجواد الفلسطيني»، لتدريب الفروسية للناشئين غربي مدينة غزة، «خوذتها» و«زي الخيول»، وتركب ظهر «فرسها» الذي يحمل اسم «زينة»، دون أن يصيبها «التوتر» أو «الذعر».

ورباطة الجأش، هذه اكتسبتها من حبها للخيل كما يقول مدربها عبد العال، مضيفا أن «هَلا هي أصغر فارسة في فلسطين، وبحكم سنها الصغير، وحجمها والخوف على سلامتها الشخصية بدأنا معها من حاجز ارتفاعه 50 سم فقط، ولكن رشاقتها وقدراتها على القفز، جعلتنا نتجاوز الحدود، ونتجه نحو ارتفاعات أكبر».

وفي الوقت الحالي تستطيع، البطراوي القفز بحصانها فوق حواجز ارتفاعها أكثر من متر ونصف (150 سم)، وتحلم كما تقول، أن تسجل اسمها بموسوعة «غينيس» للأرقام القياسية العالمية كأصغر فارسة قفز حواجز في العالم.

وبالرغم من أنها الأصغر سنا بين المتسابقين، حصلت البطراوي على المرتبة الثانية على مستوى قطاع غزة في بطولة الفروسية على مستوى الناشئين.

وفي وقت يبدو حجمها «ضئيلا» أمام ضخامة «فرسها»، تتحدث الطفلة البطراوي بطلاقة، وتكشف عن أمنياتها المتمثلة بالحصول على البطولات العالمية، وأن ترفع اسمها بلدها فلسطين عاليا في المحافل الدولية. وتشعر الطفلة الفارسة بالمتعة الكبيرة لدى ركوبها الخيل، وتصنفه بهوايتها المُفضّلة، كما تقول. وتضيف بثقة: «مدربي قال إنني أفضل بكثير من أطفال أكبر مني، ومع التحفيز من أهلي، أتمنى أن أحصل على بطولات دولية، وأسجل اسمي في موسوعة غينيس كأصغر فارسة في العالم».

ويقول كمال البطراوي، والد الطفلة، إنّ «هَلا بدأت ركوب الخيل وعمرها لم يتجاوز خمسة أعوام، وأن سبب تعلقها بالخيل واهتمامها به يعود لامتلاك العائلة للخيول». غير أنه يستدرك بالقول: «شغف هلا بالفروسية، جاء بالوراثة، أنا أركب الخيل وابني، وأغلب الأسرة، لكن لم يحدث أن اهتم أحد بالخيل وهو في سن هَلا، فهي تركب ظهر الفرس بكل سهولة، ودون أي خوف أو توتر، وهذا ما شجعني إلى تسجيلها في ناد للفروسية».

وكابنته يحلم الأب، أن تتمكن هَلا من تسجيل اسمها في موسوعة غينيس، وأن تحصل على جوائز وبطولات دولية وعالمية. ويضيف البطراوي أنه يتمنى أن تتمكن طفلته من القفز في أسرع وقت، لمسافات عالية وأن تتخطى حواجز الحصار، وإغلاق المعابر وفق وصفه.

وتأثرت الكثير من الرياضات في غزة بفعل الحصار الإسرائيلي، المفروض على القطاع حيث (يعيش نحو 1.9 مليون نسمة)، منذ عام 2007، والذي تسبب في عدم توافر الإمكانات والمعدات اللازمة لها. ومؤخرا كان لافتا انتشار عدد من الأندية الخاصة برياضة الفروسية، في قطاع غزة، وهي التي تعتبر من الرياضات «الأرستقراطية»، ولا يحترفها سوى الطبقات الثرية والنافذة.

القدس الاسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

ملاعب اليمن «الخاسر الأكبر» في مواجهة التحالف والحوثيين

اليمن – «القدس العربي»

باتت الملاعب الرياضية في اليمن «الخاسر الأكبر» في المواجهة بين قوات تحالف «عاصفة الحزم»، والحوثيين وأنصارهم، والتي دخلت أسبوعها الرابع.

واستهدفت غارات التحالف، الذي تقوده السعودية، ملاعب ومنشآت الرياضية، بعدما اتهمت الحوثيين باستغلالها كقواعد عسكرية لهم.

وكان النصيب الأكبر لتلك الغارات على الملاعب بالمدن الجنوبية، وخاصة في العاصمة التجارية والاقتصادية عدن التي تشهد منذ أكثر من 20 يوما، حربا ضروسا بين القوات الموالية للرئيس الأسبق، علي عبدالله صالح ومسلحي جماعة الحوثي من جهة والمقاومة الشعبية الجنوبية من جهة أخرى.

وبحسب المتحدث باسم عملية «عاصفة الحزم» العميد ركن أحمد عسيري، فقد اتخذ الحوثيون من ملاعب كرة القدم، مقرا لهم، وتحويلها إلى مخازن للسلاح. وبذلك، أصبحت الملاعب اليمنية هدفا لعمليات «عاصفة الحزم» العسكرية للتخلص من مخازن السلاح الموجودة فيها، وإنهاء العمليات المسلحة التي تقوم بها جماعة «الحوثي».

وقضت «عاصفة الحزم» على آخر بذور الأمل في قيام الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) برفع الحظر المفروض على الملاعب اليمنية لأكثر من أربعة أعوام بسبب الاضطرابات الأمنية التي تمر بها، وذلك بعد آثار الدمار التي تعرضت لها الملاعب اليمنية خاصة في صنعاء وعدن واب، وذلك بعد أن دخل المنتخب اليمني التاريخ من خلال مشاركته في بطولة كأس الخليج في نسختها الماضية التي أقيمت العام الماضي بالأراضي السعودية، عندما حصل على نقطتين للمرة الأولى له في تاريخ مشاركاته بكأس الخليج لكرة القدم، بعد تعادله مع البحرين وقطر سلبا، ثم هزيمة من السعودية بهدف دون رد.

لكن اليمن لا يزال بلا أي فوز في كأس الخليج منذ أن شارك بالبطولة الخليجية للمرة الأولى في 2002، كما لم يسبق له أن تأهل للدور التالي من البطولة الخليجية، وودّع منافسات كأس الخليج من الدور الأول.

وتعرض ملعب «22 مايو» في عدن (جنوب)، للدمار جراء القصف الجوي، وهو يتسع لـ30 ألف متفرج، وتم افتتاحه عام 2010، واستضاف منافسات بطولة كأس الخليج في العام ذاته، والتي توج المنتخب الكويتي بطلا لها، كما يستضيف الملعب مباريات فريق التلال اليمني.

ولم يكن ملعب «22 مايو»، الوحيد الذى تم استهدافه، حيث تعرض ملعب «اليرموك»، بالعاصمة «صنعاء» للقصف، بالإضافة إلى ملاعب أخرى على غرار ملعب «حقات» بعدن (جنوب)، و الوحدة في أبين (جنوب شرق).

ولم يتبق في اليمن ملعبا دوليا غير ملعب مدينة الثورة الرياضية بالعاصمة صنعاء والمهدد هو الآخر بالقصف منذ سيطرة الحوثيين عليه أثناء احتلالهم لصنعاء وجعله مقرا لهم، وهي الملاعب التي كانت اليمن تقيم عليها بعض مباريات المنتخبات الوطنية المختلفة قبل قرار الحظر الصادر من الفيفا مطلع عام 2011.

وبحسب مصادر رياضية، فإن حجم الخسائر قد وصل مبدئيا إلى 15 مليار ريال يمني أي بما يعادل (70 مليون دولار) كتقدير أولي قد يكون قابلا للزيادة والنقصان.

ويرى مدير مكتب الشباب والرياضة بعدن، عزام خليفة، أن 70 % من ملعب «22 مايو» بالمحافظة قد دمر بالكامل، ولم يتبق منه إلا بعض المدرجات والكتل الخرسانية، حيث أنه يعد الملعب الدولي الوحيد بالمحافظة فبعد أن كلف خزينة البلاد 2 مليار ريال يمني (10 ملايين دولار) أصبح الآن خارج الخدمة، وبحاجة إلى مجهود كبير لإعادة إصلاحه. وأضاف: «لقد دمرت تماما كافة المرافق الرياضية الأخرى بالمحافظة والصالات التدريبية للألعاب الأخرى غير كرة القدم ومراكز تدريب وتأهيل الشباب، وقسم الكمبيوتر، والصالات الخاصة بغرف اللاعبين».

وأكد مدير عام ملعب «22 مايو»، عبد الله غازي، أن «الملعب دمر تماما جراء القصف الذي تعرض له خلال الفترة الماضية، إضافة إلى حديقة الألعاب الخاصة بالأطفال والموجودة في محيط الملعب تم تدميرها أيضا». وأضاف: «الملعب الذي استغرق بناؤه وقتا طويلا امتد لأكثر من 20 عاما وكلف الدولة 2 مليار ريال (10 ملايين دولار)، فتدميره بهذا الشكل قد أصاب قلوب جميع الرياضيين في المحافظة بحسرة كبيرة».

من جانبه، يرى أمين عام نادي اليرموك، عماد القدسي، أن ملعب النادي الذي لم تكتمل بعد عملية إنشائه، وتم رصد مبلغ 300 مليون ريال (مليون ونصف دولار) لإنشاء الملعب، تم تدميره أيضا.

وتابع القدسي تصريحاته قائلا: «تم احتلال الملعب وجعله ثكنة عسكرية من قبل مليشيات الحوثي في نفس يوم احتلال العاصمة صنعاء بداعي حمايته والمحافظة عليه، ولم تشفع كل المناشدات والمخاطبات التي قامت بها إدارة النادي في إخراج الحوثيين منه إلى أن جاءت ضربة قوات التحالف لتقضي على كل ما تم بناؤه خاصة المرافق الإدارية والصالات الرياضية بما فيها المكتبة الثقافية التي كانت موجودة فيه».

وفيما يتعلق بموقف وزارة الشباب والرياضة، واللجنة الأولمبية اليمنية، فقد نددا في بيان مشترك استهداف المنشآت الرياضية، حيث جاء نص البيان «نطالب الاتحاد الدولي لكرة القدم واللجنة الأولمبية الدولية وكافة الأطر القانونية في العالم للتدخل الفوري لإيقاف القصف الهمجي لدول العدوان الذي تعاظم باستهداف الملاعب والأندية الرياضية وآخرها استاد 22 مايو الدولي بعدن ومقر نادي اليرموك».

أين سيكون قلب غواردیولا؟

ربما يكون المدرب الاسباني بيب غواردیولا سعيداً بمجرد وجود فريقه بايرن ميونيخ ضمن المربع الذهبي لدوري أبطال أوروبا من دون التفكير بمنافسه المقبل، كون الليلة التي سبقت الثلاثاء الماضي وضعته تحت ضغوطات عنيفة، شككت في قدراته، بل اعتبر كثيرون أن الخروج «المتوقع» أمام بورتو بعد الهزيمة 3/1 في الذهاب، ستسجل النقطة السوداء الوحيدة في سجله ناصع البياض، فكان الفوز الساحق في الاياب بمثابة نفس عميق أخذه المدرب الاسباني، وكأنه أنقذ سمعته من الانهيار. وكان هذا كافياً بألا يجعله يفكر في ما سيأتي من منافسات.

لكن اليوم وبعد وقوع فريقه البافاري مع فريقه السابق برشلونة، فان البعض سيرمي سهم العاطفة في اتجاهه، وسيتساءل عن شعوره الحقيقي في ليلة اللقاء الاول في «كامب نو»، رغم ان الغالبية تشهد لغواردیولا باحترافيته وهوسه في تحقيق نجاحات لأي فريق يدربه وضد أي فريق يقابله، لكن هذا الفريق الذي سيقابله هو كل ما كان يعرفه المدرب الموهوب في عالم كرة القدم، فبعدما أمضى سبع سنوات منذ نعمة أظافره في أكاديمية البارسا عندما كان في الثانية عشرة من عمره في 1983، وبعدها أمضى 11 عاماً لاعباً في الفريق الاول، وعاماً آخر مدرباً للفريق الرديف، و4 سنوات مدرباً للفريق الأول، الذي جعل منه أحد أروع الفرق التي شهدها العالم في تاريخ كرة القدم، رغم الجدل على ذلك.

غواردیولا يدرك أن برشلونة سيبقى دائماً في قلبه، حتى عندما يهجر اللعبة، فأنه سيكون مشجعاً عادياً للنادي الكتالوني، وسيفخر بما حققه، ويحققه من انجازات، والتي هو نفسه ساهم في الكثير منها، بينها وهو لاعب حقق 6 بطولات دوري محلي وكأس أبطال اوروبا مرة واحدة وكأس ملك اسبانيا مرتين، وكأس أبطال الكؤوس الاوروبية مرة واحدة، ونصب قائداً للفريق خلال الـ11 عاماً التي أمضاها معه، وخاض خلالها 350 مباراة. وبعدما خاض تجربتين في ايطاليا وقطر عاد مدرباً للفريق الرديف في البارسا وأحرز معه لقب الدوري، وفي 2008 حل مكان الهولندي فرانك رايكارد مدرباً للفريق الاول، في خطوة اعتبرت مغامرة من ادارة النادي الكتالوني، لكم ما حققه خلال السنوات الأربع التالية كان خيالياً، فصنع فريقاً شيقاً، اعتبر من أمتع ما شاهدته كرة القدم الحديثة، بأسلوب «تيكي تاكا»، ففاز بطولة الدوري المحلي ثلاث مرات من المواسم الاربعة التي قضاها مع الفريق، بالاضافة الى كأسي دوري أبطال أوروبا، بينها ثلاثية العام 2009، في الواقع فان غواردیولا احرز 14 لقباً في سنواته الاربع، في انجاز غير مسبوق، حيث أضاف أيضاً بطولتي كأس الملك وكأسي بطولة العالم للأندية.

ومن لمساته التي ترك لها أثرا كبيرا في النادي الكتالوني، رفع شأن نجمه الأول ليونيل ميسي ليجعل منه الأفضل في العالم، حيث أحرز الكرة الذهبية 4 مرات متتالية، منها ثلاثة تحت ادارة غواردیولا، وسجل النجم الارجنتيني 211 هدفاً في 219 مباراة تحت اشراف المدرب الاسباني، وهو الأمر الذي قد يصب في مصلحة فريقه الجديد البايرن، كونه سيستغل كل معرفته بنجومه السابقين، خصوصاً أنه حقق أرقاماً مخيفة مع النادي البافاري منذ تعيينه مدرباً الموسم الماضي، اذ كان الفوز على بورتو يوم الثلاثاء الماضي هو الـ77 في 100 مباراة خاضها معه، وخسر فقط 11 مباراة في كل المسابقات، حتى أنها نسبة نجاح فاقت ما حققه مع برشلونة، والتي بلغت 72 % خلال 247 خاصها معه مدرباً.

الآن لا يتعين فقط على برشلونة التعامل مع مدرب يعرف كل شيء عنه وعن نجومه ونقاط قوته وضعفه، بل يقف في وجهه سجله السيئ والسلبي في تاريخ مواجهاته مع العملاق البافاري، حيث التقى الفريقان فقط ثماني مرات، وهو عدد قليل مقارنة بتاريخ مشاركاتهما الأوروبية، لكن الأغرب أن برشلونة لم يحقق الفوز سوى في مباراة واحدة من الثماني، وهو يتذكر «المجزرة» الاخيرة في 2013 عندما خسر ما مجموعه 7/0، وهو العام الذي أحرز فيه البايرن ثلاثيته الرائعة، وكان وقتها غواردیولا يأخذ راحة، ربما يفكر خلالها ماذا لو دربت البايرن وواجهت برشلونة؟ الآن سيعرف الاجابة.

@khaldounElcheik

مدن وآثار

مدينة السلام ومفتاح الجنة

صفورية الفلسطينية مرآة الحضارة البيزنطية

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

منذ فجر التاريخ توالت وتراكمت في فلسطين حضارات كثيرة لثراء ما فيها واعتدال مناخها وخصوبة سهولها وتبقى آثارها شاهدة على عراقتها. في بلدة صفورية داخل أراضي 48 موقع أثري مميز وفريد تختزل رواية شعوب وحضارات من الشرق والغرب. على تلة مباركة بينابيع غزيرة تتوسط منطقة سهلية بين الناصرة وحيفا قامت صفورية وتوالت الحياة فيها على امتداد التاريخ حتى دمرتها إسرائيل عام 1948 وأقامت على أنقاضها مستوطنة تحمل اسمها مشابها «تسيبوري».

منذ الحفريات الأولى، على يد بعثة أثرية أمريكية عام 1931 تتواصل التنقيبات الأثرية في صفورية ومنطقتها ومؤخرا تم استكمال اكتشاف البلدة في العصرين البرونزي والكنعاني. ويؤكد الباحث الأثري ابن مدينة سخنين د. محمد خلايلة، نائب المدير العام في سلطة الآثار والمسؤول العلمي عن التنقيبات الأثرية الجديدة لـ«القدس العربي» أن التنقيبات اكتشفت موجودات عمرها سبعة آلاف سنة.

موجودات كنعانية

ويشير خلايلة للعثور على ملامح مدينة عمرها أربعة آلاف سنة من بداية العهد الكنعاني، تمتد على مساحة 80 دونما. ويوضح أن الموجودات الأثرية التي يتم اكتشافها اليوم في تنقيبات بجوار العين التاريخية تظهر انتقال الإنسان من الأدوات الحجرية (الصوانية) للأواني الفخارية التي ساهمت بتطوره وبدء ازدهار الناحية العمرانية.

ويضيف «وجدنا تماثيل صغيرة، صحونا، أدوات وجرارا فخارية وأدوات زينة وأدوات دينية خاصة بتقديم القرابين وغيرها من الآثار التي تدلل على ازدهار الحياة في المكان».

سر الحياة

واحتل الرومان صفورية عام 63 قبل الميلاد وما لبثت أن تحولت لمركز إداري للحكم الروماني في الجليل.

وردا عل سؤال يشير خلايلة أن سر ازدهار صفورية عبر العصور المبكرة يكمن في وفرة ينابيعها وآبارها هذا إلى جانب الظهير الزراعي والمراعي ومساحات الصيد كالغابات الكثيفة المحيطة بها. ويتابع «الماء سر الحياة فالقدس التاريخية مثلا نواتها سلوان المتميزة بعيون مائها».

كما يشير إلى أن تحف الفسيفساء التي يتواصل اكتشافها في صفورية من العصرين الروماني– البيزنطي (بعدما اكتشفتها للمرة الأولى بعثة أمريكية قبل عقدين) تعتبر من أجمل الأعمال الفسيفسائية في البلاد والعالم، ويقول إن أجزاء كبيرة منها نجت وبقيت صامدة طيلة 1500 عام.

القدس الأسبوعي
Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

لوحات فسيفسائية

ومن ضمن المكتشفات الفسيفسائية أرضية بيت كبير(معروف بـ»البيت الروماني») مرصوفة بالفسيفساء المزركش من الحقبة الرومانية تزدان برسومات في غاية الدقة والجمال.

البيت الذي هدم جراء هزة أرضية عام 363 تتخلله ساحة داخلية تحيط بها أعمدة وغرف سكن ومخازن. وداخل صالة طعام تحتوي الأرضية الفسيفسائية رسومات جميلة تصف الاحتفالات الخاصة بإله الخمر، ديونيسيوس وصورة نادرة لإمرأة ابتسامتها غامضة.

موناليزا الجليل

ولقبت المرأة هذه على يد الباحثين والأثريين بـ «موناليزا الجليل» فهي كالموناليزا الإيطالية ترمقك بنظرتها أينما نظرت لها. وفي موقع مجاور اكتشفت أعمال فنية من الفسيفساء داخل بيت «عيد النيل» تصف احتفالات وأعياد الناس بارتفاع منسوب نهر النيل وفيها تظهر مدينة الإسكندرية ومنارتها الأسطورية، أحدى عجائب العالم السبع القديمة. كما تشمل أرضية فسيفسائية أخرى مجاورة رسمت فيها بحرفية وجمالية عاليتين أشكالا آدمية، حيوانات عادية وأسطورية ونباتات وزوجا من الصيادين.

فلسطين ومصر

وتعكس هذه اللوحات الفنية، في رأي الباحثين، علاقات التعاون بين فلسطين ومصر في الفترة البيزنطية ويرجحون أنها بنيت على يد فنانين من مصر. وتمتاز البلدة القائمة على موقع أثري بوفرة عيونها وخصوبة أراضيها وشبكة طرقاتها المعبدة بالحجارة الجيرية الصلبة. في محاذاة الشارع المركزي تبدو آثار حوانيت كانت جزءا من السوق ويمكن ملاحظة آثار عجلات العربات في ألواح حجارة الشارع نتيجة تكرار مرورها مدة طويلة.

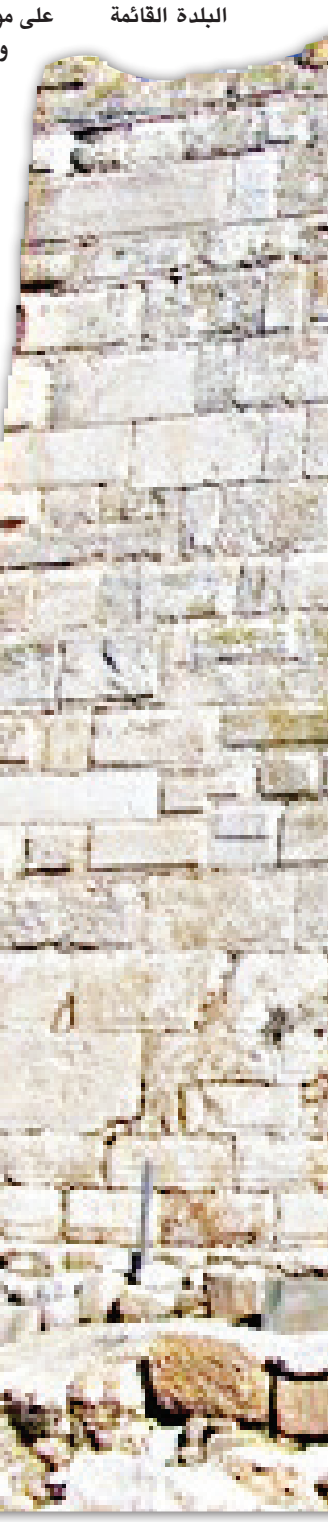

واكتشفت في المكان أنفاق لتزويد المدينة البيزنطية بالمياه تنبع من جبل الناصرة وهي بطول 260 مترا وبارتفاع عشرة أمتار حفرت في الصخر تحت الأرض وتم طلائها بغلاف من الطين.

و تشمل المدينة الأثرية مسرحا رومانيا يتسع لـ4500 مقعد حجري يشرف على سهل البطوف و يعتبر ه ا لبا حثو ن دليلا على مدى ازدهار المدينة و على مقربة منها آثار كنيسة وحمامات وبقايا بيوت وبرك للطهارة. وعلى مقربة منها قلعة إسلامية مكونة من طابقين تقوم على أسس قلعة صليبية، بناها حاكم الجليل ظاهر العمر الزيداني في القرن الثامن عشر. واستخدمت في بنائها حجارة منحوتة بعضها يحوي نقوشا فنية ومدافن صخرية من الفترة الرومانية ومدخل القلعة واسع يزينه بناء قوسي.

شرحبيل بن حسناء

ويشير الباحث الأثري الدكتور ابن قرية دبورية في مرج بن عامر وليد أطرش أن صفورية وقعت بيد المسلمين بعدما فتحها شرحبيل بن حسناء عام 13 هجري. ويوضح أن صفورية لم تحتل مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي مقارنة بمواقع فلسطينية أخرى، عدا في فترة المماليك حيث شهدت ازدهارا كمركز إستراتيجي على منتصف الطريق بين عكا وطبريا. في الفترة الصليبية استخدمت صفورية كمدينة وقلعة حصينة انطلق الصليبيون منها نحو معركة حطين المجاورة عام 1187 حيث هزمهم صلاح الدين الأيوبي وحرّر القدس من احتلالهم. ويوضح أطرش أن الحفريات الحالية كشفت عن عدد كبير من حدوات الخيل والأسهم الخارقة للجلد في منطقة عين صفورية التي انطلق منها الصليبيون نحو حطين البعيدة نحو 20 كيلومترا شرقا.

النكبة

وصفورية هي كبرى قرى قضاء الناصرة حتى تدميرها عام 48 وكانت تمتاز بكثرة مدارسها واستضافتها لعدد كبير من شيوخ الأزهر كل عام ويقيم الكثير من أهلها المتبقين في الوطن داخل حي الصفافرة في الناصرة بينما تشتت كثيرون آخرون بعد النكبة.

ولذا اختارت لجنة الدفاع عن المهجرين في البلاد إطلاق مسيرة العودة التقليدية إليها قبل سنوات والتقى الآلاف من فلسطينيي الداخل في مهرجان واسع بجوار عين صفورية تحت شعار «يوم استقلالهم يوم نكبتنا».

وفي كل عام يزور صفورية أهاليها وغيرهم بذكرى نكبتها تأكيدا على رفض كل البدائل من التوطين والتعويض، فلا بديل عن العودة ولا عودة عن حق العودة.

ومن هؤلاء رئيس الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة محمد بركة وهو ابن لعائلة مهجّرة من صفورية مقيمة في مدينة شفاعمرو.

ولا ينتظر بركة ذكرى النكبة لزيارة مسقط رأس والديه صفورية برفقة والده والعائلة، فهو يزورها مرات عدة في السنة. وعن ذلك يقول بلهجة حميمية «صفورية ما تزال حيّة في نفوسنا، وهي حيّة بشهودها، بشرا وحجرا وفيها نجدد سرد روايتنا التاريخية، الرواية الواضحة كالشمس، رواية نكبتهم – نكبة شعبهم بكل تفاصيلها، لنضمن نقل الرسالة من جيل إلى جيل».

يشار إلى أن ربع مليون نسمة من بين فلسطينيي48 هم من المهجرين في وطنهم الذين تعتبرهم إسرائيل «حاضرين غائبين» وتحرمهم من العودة لقراهم المدمرة ويضطرون للإقامة في بلدان مجاورة نجت من التهجير.

طه محمد علي

ومن أبرز أبناء صفورية الكاتب الراحل طه محمد علي الذي عبّر عن عشقه لها بالكثير من القصائد والقصص. إنّ قصة طه وعلاقته بصفورية واللجوء تختزل قصة فلسطين ونكبتها، عبر تفاصيل خاصة تزيد من حضور العام وطغيانه.

و عن علاقة الشاعر بصفو ر ية يوضح أبو عرب شقيق الراحل أن أخيه لم يكن قادرا على زيارة قريته المهجرة ذلك لأن ألما كبيرا ينتابه كلما تذكرها وعندما كان يقصده أحد ليرافقه إلى صفورية كان يمتنع عن ذلك ويوجههم لآخرين. ويشير أبو عرب أن إسرائيل احتلت صفورية وهدمتها لكن حبها يجري في عروقه، مثلما أن مياه نبعها الغزير ما زالت تجري بين كروم الرمان والحمضيات في أراضيها.

ويضيف والحنين لشقيقه يعذّبه «تحدث الراحل عن صفورية بأرقى وأصدق الكلمات وعرّف العالم عليها دون أن يتقوقع بها فكانت مدخلا للقضية العامة، قضية شعبه ومأساته المستمرة».

العاشق

وتم توثيق عشق طه لصفورية في مسرحية «طه» المستندة لسيرة حياة وأعمال الراحل وعودته من رحلة العذاب والشتات في لبنان عام 1949. كما في أرض الواقع يعود طه بالمسرحية للبلاد فيكتشف أن صفورية تغيرت وانقلبت رأسا على عقب فيقول بالعامية «وصلنا، البلد صار شكلها غير، حتى الهوا صارت ريحته غير وقالولنا إنه رجعة على صفورية ما في وإنه البلاد بطّل اسمها فلسطين صارت إسرائيل».

ويعبّر طه عن قسوة مشاعر العائدين الذين تحولوا بيوم وليلة من لاجئين في لبنان إلى مهجّرين في وطنهم، بقصيدة عتاب إنسانية غاضبة يلقيها الفنان الممثل عامر حليحل في دور الراحل في المسرحية بنبرة متجانسة مع روحها «الأرض خائنة/ الأرض لا تحفظ الوّد/ والأرض لا تؤتمن/ الأرض مومس/ تدير مرقصا/ على رصيف ميناء/ تضحك بكل اللغات/ وتلقم خصرها لكل وافد/ الأرض تتنكر لنا/ تخوننا وتخدعنا/ والثرى يضيق بنا/ يتذمّر منّا ويكرهنا/ والوافدون/ بحارة ومغتصبون/ يزيلون الحواكير/ ويدفنون الأشجار/ يمنعوننا من إدامة النظر/ إلى زهور البرقوق وعصا الراعي/ ويحرمون علينا لمس البقول/ والعلت والعكوب/ جديلتك/ هي السبب الوحيد/ الذي يشنقني إلى هذه العاهرة».

مدينة السلام

أما سيرة صفورية التاريخية فهي طويلة كما يؤكد مؤرخها وابنها محمد أمين بشير موضحا أنها كانت مدينة كنعانية مركزية، بلغت أوجها في العهد البيزنطي. ويستذكر أن الأمير البيزنطي انتيباس ابن القيصر هيراد اتخذها عاصمة لولايته فوسعها وزينها وما زالت أطلال قصره الكبير فيها حتى اليوم. وبلغ عدد سكانها في زمنه 18 ألف نسمة وأطلق عليها «عروس الجليل» واستبدل اسمها اليوناني سفورس إلى أوتوقراطوريس أي الدولة المستقلة. ويروي بشير أنه ما لبث أن نشب خلاف بين الأمير انتيباس وزوجته الأميرة العربية ابنة الحارث الرابع ملك الأنباط فتركت قصرها في صفورية وذهبت لقصر والدها وأعلمته بأن زوجها يرغب بطلاقها والزواج من مطلقة أخيه هيروديا فقاتل الحارث صهره وهزمه، ولاحقا ضمت صفورية للحاكم الروماني العام ونفي انتيباس من البلاد وعادت صفورية تحت السيادة الرومانية المباشرة وكانت تعرف لدى الرومان واليونان من قبلهم بمدينة السلام أو مفتاح الجنة أو المدينة المقدسة وقد اختلف المؤرخون في أصل تسميتها لكن الآثار الغنية والمتراكمة في صفورية تعكس عراقتها وخصوصيتها.

ويوضح أن صفورية ازدهرت في العهد العثماني وأن حاكم فلسطين الأول ظاهر العمر الزيداني أسسها على أنقاض قلعة قديمة وهي ما زالت قائمة حتى اليوم. منوها إلى أن صفورية موطن الجهاد أيضا حيث شاركت بكافة النضالات الفلسطينية منذ بدء الاستعمار البريطاني عام 1918 وقدمت عشرات الشهداء.

ووثق بشير بلدته المدللة صفورية بكتاب واسع لم ينس فيه شاردة ولا واردة عن حياتها وتراثها وجغرافيتها وأفرد فصلا عن عادات سكانها وأمثلتهم الشعبية المتداولة وبعضها أمثال عامة منها بروح الفترة الحالية «بآذار ساعة شمس وساعة أمطار، بدفا الراعي من غير نار» و»الشتوة بنيسان بتحيي السكة والفدان» و «ما بموت حق ووراه مطالب».

علوم وتكنولوجيا

سيارة بدون سائق تتلقى الأوامر بحركة العين

لندن – «القدس العربي»:

كشفت شركة «شيفروليه» الأمريكية عن سيارة بدون سائق تتلقى الأوامر من صاحبها بمجرد إيماءة العين، حيث أنها تستطيع التعرف على السائق من خلال عينه لتبدأ العمل سريعاً وتلقائياً، فضلاً عن أن الشكل المفترض للسيارة يعتبر فريداً وأشبه بالسيارات المستخدمة في ألعاب الأطفال.

وأطلقت الشركة الأمريكية على السيارة الجديدة اسم (Chevrolet-FNR) وقالت إنها تمثل رؤيتها للسيارات بدون سائق التي ستغزو العالم في المستقبل.

وتقول الشركة إن السيارة التي تم الكشف عن تصميمها ليست سوى لمحة عن سيارة المستقبل لكنها يمكن أن تشهد لاحقاً مزيداً من التطوير والتحديث.

وتم تطوير السيارة بدون سائق التي ابتكرتها «شيفروليه» من قبل باحثي شركة «جنرال موتورز» في شنغهاي في الصين.

وأضافت الشركة: «كان الهدف هو ابتكار مركبة ذكية وفريدة لشباب الغد من خلال استخدام تكنولوجيا مبتكرة» مشيرة إلى أن السيارة تتضمن أضواء كريستالية من الليزر في الأمام والخلف، كما أن أبوابها ملتوية وتفتح إلى الأعلى، أما العجلات فهي مغناطيسية وتقوم بتوليد الطاقة من خلال الحرارة والحركة، ومن ثم ترسلها إلى البطاريات لاسلكياً.

وعلى السيارة من الأعلى أجهزة للإستشعار ورادار من أجل استقراء الخرائط وإعطاء الأوامر للمركبة لأغراض القيادة الذاتية، وتقوم السيارة بالتشغيل فور التعرف على عيون سائقها وهو في طريقه إليها.

أما مقاعد السيارة الداخلية فيمكنها الاستدارة بواقع 180 درجة، حيث يستطيع الراكب أو السائق الإفتراضي الإلتفات للتحدث مع الركاب أثناء القيادة الذاتية للسيارة، كما أن بمقدور السائق والركاب النوم والاسترخاء خلال سير المركبة على الطريق ذاتياً.

وتتسابق شركات صناعة السيارات العالمية حالياً من أجل إنتاج سيارات بدون سائق، حيث يسود الإعتقاد أن الجيل المقبل من السيارات لن يكون بحاجة لسائق، كما أن السائق ستكون مهمته مجرد المتابعة والمراقبة على الطريق، وبمقدوره استخدام الهاتف المحمول أو مشاهدة التلفزيون أو الاستمتاع بالأغاني والسمعيات التي تتوفر داخل سيارته.

وبدأت العديد من شركات صناعة السيارات تجريب السيارات بدون سائق بالفعل، فيما بدأت بعض الدول ومن بينها بريطانيا إصدار القوانين والتشريعات اللازمة لتسيير المركبات بدون سائق في شوارعها.

وأعلنت الحكومة البريطانية أنه سيسمح للسيارات الذاتية القيادة بالسير على الطرق العامة قريباً، ودعت مجالس المدن البريطانية لمراجعة اللوائح الخاصة بسلامة الطرق لتقديم الإرشادات المناسبة.

وكان مهندسون بريطانيون – من بينهم مجموعة من جامعة أكسفورد – يجرون اختبارات على السيارات الذاتية القيادة، لكن المخاوف المتعلقة بأمور قانونية وأخرى خاصة بالتأمين حصرت سيرها فقط على الطرق الخاصة، لكن دولاً أخرى كانت أسرع في تمكين السيارات الذاتية القيادة من السير في الطرق العامة.

وأقرت ولايات كاليفورنيا، ونيفادا، وفلوريدا، الأمريكية اختبارات السيارات، وفي كاليفورنيا وحدها قطعت سيارات غوغل الذاتية القيادة أكثر من 300 ألف ميل على الطريق المفتوح.

وفي عام 2013 أجرت شركة نيسان اليابانية أول اختبار لسيارة ذاتية القيادة على الطرق العامة على أحد الطرق السريعة.

وفي أوروبا، منحت مدينة «غوتنبرغ» السويدية شركة فولفو الموافقة على اختبار 1000 سيارة ذاتية القيادة، لكنه من غير المقرر إجراء هذه الاختبارات قبل عام 2017.

وأقرت دول عديدة تكنولوجيا تصنيع السيارات الذاتية القيادة مؤخراً، وصدرت تعليمات للمسؤولين بضرورة مراجعة لوائح السير على الطرق قبل نهاية العام الحالي. وستشمل هذه اللوائح ضرورة إلتزام السيارات الذاتية القيادة بقوانين السلامة والمرور، وتشمل تغييرات في التعليمات الخاصة بالسير على الطرق السريعة التي تطبق في انكلترا واسكتلندا وويلز.

وكانت شركة «غوغل» الأمريكية كشفت في أيار/مايو عن خطط لتصنيع 100 سيارة ذاتية القيادة.

وعرضت نموذجا لهذه السيارات لا يحتوي على قرص قيادة أو دواسات، إنما فقط زرا للحركة والتوقف.

واستحدثت «غوغل» تكنولوجيا القيادة الذاتية الخاصة بها في سيارات من تصنيع شركات أخرى من بينها تويوتا، وأودي، ولكزس.

وبدأت شركات تصنيع كبرى أخرى، من بينها بي إم دبليو، ومرسيدس بنز، ونيسان، وجنرال موتورز، في تطوير طرز خاصة بها من هذه السيارات.

«غوغل» سيحتفظ بتاريخ حياتك ويقدمه لك حينما تريد

لندن – «القدس العربي»: أصبح محرك البحث العالمي «غوغل» يحمل التاريخ الشخصي لكل مستخدم، ولديه أرشيف غني عن كل شخص، وذلك بفضل احتفاظه بكل عمليات البحث التي يقوم بها المستخدمون، وتوفيرها أخيراً لهم كأرشيف، بما يمثل ما يشبه كتاباً لتاريخ حياتهم.

وقالت شركة «غوغل» الأمريكية إنه بينما أصبح من السهل جداً على الشخص أن ينسى عمليات البحث التي قام بها على الانترنت، فانه بات من السهل جداً أيضاً أن يستعيدها في أي وقت يشاء بمجرد دخوله على حسابه الشخصي على «غوغل» كما بات بمقدوره تحميل الأرشيف الكامل لعمليات البحث التي قام بها على المحرك.

ووفرت «غوغل» خدمة يستطيع المستخدم بموجبها أيضاً حذف أرشيف البحث الخاص به.

وبحسب المواصفات التي تتميز بها هذه الخدمة الجديدة، فانه يتم تخزين عمليات البحث على «غوغل درايف» بصيغة ملفات مضغوطة، ومن ثم يستطيع الشخص تحميلها على جهاز كمبيوتره الشخصي في أي وقت يشاء، على أنها تكون موزعة وفقاً للسنوات، وأرباع السنة، أي أن كل ثلاثة شهور تكون لوحدها في ملف منفصل.

وتقول الشركة إنه بات بمقدور المستخدم تحميل كل عمليات البحث السابقة التي قام بها على «غوغل» ومن ثم مراجعتها على شكل قائمة، مشيرة إلى أن الخدمة من شأنها «توفير البيانات لكل شخص أينما كان وفي أي وقت أراد ذلك».

ويتيح محرك «غوغل» للمستخدم جدولاً زمنياً، أو تقويماً يظهر فيه التاريخ، ويتيح للشخص أن يختار اليوم أو الأيام التي يريد أن يراجع عمليات البحث التي قام بها خلالها.

وتعتبر هذه الخدمة الأولى من نوعها في عالم محركات البحث على الانترنت، كما إنها تساعد الباحثين والمستخدمين على استعادة المعلومات والبيانات التي توصلوا إليها سابقاً على الانترنت، بما يمكنهم من الاستكمال لاحقاً أو استخدامها في أي وقت مقبل.

وتمثل «غوغل» أكبر شركات التكنولوجيا في العالم، كما أنها صاحبة أكبر محرك بحث في العالم، وتقدم نطاقاً واسعاً من الخدمات على الانترنت بما فيها خدمات البريد الالكتروني، فضلاً عن شبكة تواصل اجتماعي تشهد نمواً كبيراً وتعتبر حالياً واحدة من أكبر هذه الشبكات.

«واتس آب» يتجه للهيمنة على اتصالات البشر... ومكالمات الفيديو قريباً

لندن – «القدس العربي»:

يواصل تطبيق الدردشة العالمي «واتس آب» التوسع بصورة قياسية يومياً، خاصة مع ازدياد رقعة الخدمات التي يقدمها، ودخوله عالم الاتصالات الصوتية، في الوقت الذي كشفت فيه الشركة مؤخراً عن اتصالات فيديو قريباً عبر تطبيق «واتس آب» لتصبح كافة أنواع المحادثات متوفرة من خلاله.

وكان «واتس آب» قد وسع نشاطه بتوفير التطبيق على أجهزة الكمبيوتر، بما جعل من الممكن استخدامه للتواصل من خلال أجهزة الكمبيوتر، إضافة إلى التوسع نحو المكالمات الصوتية التي أتاحت هي الأخرى خدمة جديدة نافست عدداً من التطبيقات الأخرى.

وكشف مؤسس «واتس آب» جان كوم عن أن عدد المستخدمين النشيطين للتطبيق وصل إلى 800 مليون.

وقال إن التطبيق تمكن من جذب حوالي 100 مليون مستخدم جديد منذ كانون ثاني/ يناير الماضي، حين كان عدد المستخدمين النشيطين حوالي 700 مليون فقط. ومن المتوقع أن يصل عدد المستخدمين النشيطين مع نهاية العام الجاري إلى مليار مستخدم، كما نقلت مصادر مقربة من الشركة بدء اختبار ميزة دردشة الفيديو بين موظفي الشركة المطورة للتطبيق، والتي من المتوقع أن تتوفر للجميع خلال الفترة المقبلة وربما الشهر المقبل.

وفي حال توفرت خدمة الاتصال بالفيديو على «واتس آب» فمن المتوقع أن تسجل أعداد المستخدمين قفزة إضافية خلال الفترة المقبلة، حيث في حال تجاوز المليار فسوف يصبح الشبكة الأكبر والأقوى في العالم، ويبدأ في الهيمنة على عالم الاتصالات عبر الانترنت.

وأطلقت الشركة المالكة لـ«واتس آب» تحديثاً جديداً مؤخراً يضم ميزة المكالمات الصوتية على أجهزة «آي أو إس» حيث أصبح بمقدور مستخدمي هواتف «آيفون» إجراء المكالمات عبر التطبيق بالمجان، وستعتمد الخاصية الجديدة على شبكة الإنترنت اللاسلكي المتوفرة للمستخدم.

ويحتوي التحديث الأخير للتطبيق على خاصية لتسهيل مشاركة الصور والمقاطع والروابط بين التطبيق والتطبيقات الأخرى بواسطة زر المشاركة على التطبيقات الأخرى، بالإضافة للوصول السريع لتطبيق الكاميرا لمشاركة عدد كبير من المقاطع في الوقت نفسه.

وكانت شركة «فيسبوك» مالكة أكبر شبكة تواصل إجتماعي قد استحوذت العام الماضي على شركة «واتس آب» مقابل 16 مليار دولار منها 4 مليارات دولار نقداً وحوالي 12 مليار دولار في صورة أسهم، وذلك في إطار سعي أكبر شبكة للتواصل الاجتماعي في العالم إلى تعزيز شعبيتها خصوصا بين الشباب.

وانضم جان كوم الشريك المؤسس والرئيس التنفيذي لـ«واتس آب» إلى مجلس إدارة «فيسبوك» ومنحت الشبكة الاجتماعية وحدات أسهم مقيدة بقيمة 3 مليارات دولار لمؤسسي «واتس آب» بمن فيهم كوم.

القدس الأسبوعي

Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

«غوغل» ترسل الانترنت بالمنطاد إلى المناطق النائية

لندن – «القدس العربي»:

بثت شركة «غوغل» العالمية تسجيل فيديو تشرح فيه آخر التطورات المتعلقة بمشروعها العملاق والطموح الذي يرمي لإيصال خدمات الانترنت إلى المناطق النائية في العالم والتي لا تزال تفتقد لخدمات الانترنت، سواء التقليدي أو اللاسلكي، حيث لا يزال الملايين من البشر لا يتنعمون بخدمات الانترنت في العالم.

وكشفت الشركة الأمريكية أنها ستستخدم المنطاد في عمليات تزويد المناطق النائية بالانترنت، ليكون بذلك قد حل بدلاً من الطائرات بدون طيار التي تعمل بالطاقة الشمسية والتي كانت الشركة تدرس استخدامها لإيصال الانترنت إلى المناطق النائية من العالم.

وقال مدير مشروع (Project Loon) مايك كاسيدي في تسجيل الفيديو إنه تم عقد شراكات مع مقدمي خدمات اتصال بمعيار LTE، بالإضافة إلى تطوير المناطيد الخاصة بإيصال شبكة الإنترنت، بحيث يمكنها البقاء في طور العمل لمدّة تصل إلى 100 يوم.

وأوضح أيضاً أنه أصبح بالإمكان صناعة المناطيد خلال ساعات بدلاً من الأيام التي كانت تتطلبها هذه المهمة، كما أنه أصبح بالإمكان إطلاق العشرات من المناطيد كل يوم بدلاً من منطاد واحد فقط.

وأشارت الشركة إلى أنها عندما أطلقت المشروع كانت تبحث عن إجابة لسؤال مهم وهو هل يمكن للمناطيد إيصال شبكة الإنترنت للأشخاص على سطح الأرض؟ وقد أثبتت إمكانية عمل ذلك في تجاربها التي أُجريت في نيوزيلندا، ولهذا أصبح السؤال الجديد للفريق القائم على المشروع هو هل يمكن تعميم هذا العمل ليشمل الجميع بغض النظر عن مكان وجودهم في العالم؟

وتعتمد فكرة المشروع على وجود محطّة إرسال أرضية متصلة بمزود خدمة الإنترنت، تقوم بإرسال الخدمة عبر أمواج راديوية، ليتم استقبالها بواسطة الهوائيات الخاصة بالمناطيد، لتقوم هذه المناطيد بإرسال الخدمة إلى هوائيات الاستقبال الخاصة بمشتركي الخدمة على سطح الأرض.

وكانت شركة «غوغل» قد أطلقت مشروع (Project Loon) قبل نحو عامين بهدف تأمين خدمة الاتصال بالانترنت بتكلفة منخفضة للأشخاص الذين لا تتوفر لديهم هذه الخدمة بعد.

ولاحقاً لمشروع «غوغل» أعلنت شركة «فيسبوك» أيضاً أنها تدرس إيصال خدمات الانترنت إلى المناطق النائية في العالم عبر طرق ووسائل غير تقليدية، وذلك بهدف ضم أعداد أكبر من البشر إلى شبكة التواصل الاجتماعي التي يزيد عدد مستخدميها حالياً عن المليار شخص.

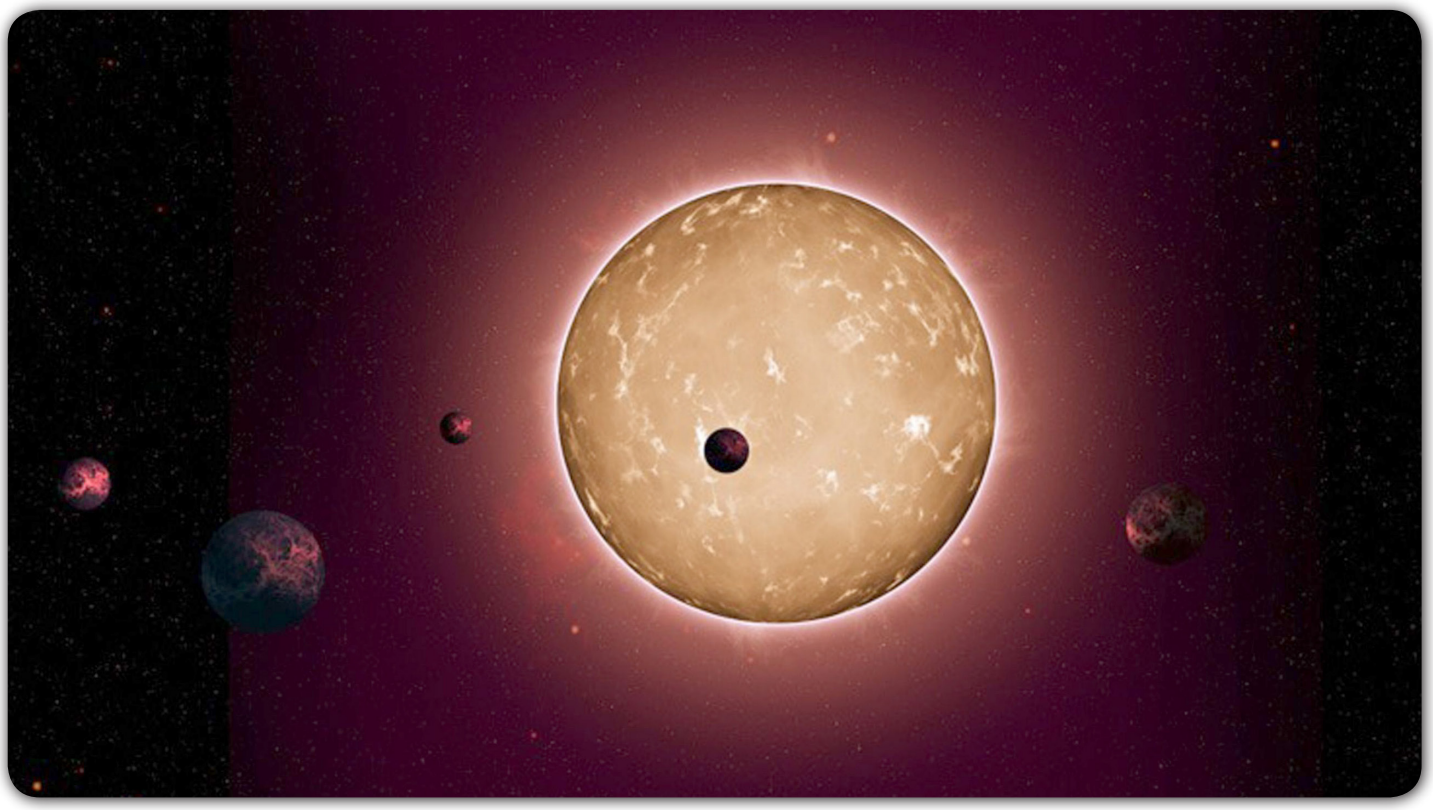

اكتشاف أكبر منطقة فراغ في الكون

لندن – «القدس العربي»:

اكتشف الفلكيون هيكلا فراغياً في الفضاء قياسه 1.8 مليار سنة ضوئية، وهم يعتقدون أن هذا الفراغ هائل الحجم يلقي نظرة جديدة على أسرار انفجار «بيغ بانغ» الكبير.

ومن المعروف أن الفراغ في علم الفلك يكون خاليا من المادة، أي يندر أن توجد به نجوم أو مجرات، والفراغات تحيط بالمجرات ومجموعات المجرات، وهو الهيكل العام لبنية الكون، حيث تتركز فيه المجرات وتجمعاتها في نسيج عنكبوتي، موزعة حول فراغات هائلة، تصل بينها خيوط من المجرات.

واكتشف الفلكيون مؤخراً هذا الفراغ الهائل الذي قد يكون «أكبر هيكل فضائي تم تحديده في التاريخ بواسطة البشر» وفقا للباحث الرئيسي في المشروع «استفان زابودي» من معهد علم الفلك في جامعة هاواي في مانوا في الولايات المتحدة.

ويقول: «لقد تم العثور على هذا الفراغ من خلال الجمع بين ملاحظات التليسكوب PS1 بالموجات الضوئية مع ملاحظات القمر الصناعي «وايز» التابع لوكالة ناسا بموجات الأشعة تحت الحمراء، لتقدير أبعاد هذا الجزء من السماء، ووجدنا أنه يتسع بمقدار 1.8 مليار سنة ضوئية».

علاوة على ذلك، كان الفلكيون قد اكتشفوا أيضا «البقعة الباردة» في عام 2004، التي يعتقدون إنها من آثار انفجار «بيغ بانغ» الكبير، وأصبحت هذه البقعة ركيزة أساسية في نماذج شرح تأثير الإنفجار الكبير في الكون.

وبالرغم من ذلك فقد كان حجم البقعة الباردة ودرجة حرارتها أمرين غير مفهومين بالنسبة للعلماء، إلى ان اكتشفوا وجود هذه المنطقة الفارغة الواسعة في وسط البقعة الباردة، الأمر الذي يفسر السبب وراء حجمها الهائل ودرجة حرارتها الباردة. ويقول العلماء أن الفراغ المكتشف ليس فراغا بالمعنى المفهوم ، وإنما هو عبارة عن منطقة تقل كثافتها 20 % عن الجوانب الأخرى في الكون.

اليابان تجري تجارب فلكية لحل لغز نشوء الكون

لندن – «القدس العربي»:

تنوي جمعية العلماء الدولية أن تطلق عام 2017 تجربة تدعى «COMET» يمكن أن تساعد في حال نجاحها في حل لغز نشوء الكون. ويمكن أن تقارن التجربة من حيث أهميتها باكتشاف «بوزون هيغز».

وجاء الكشف عن التجربة على لسان مديرها البروفسور في معهد أوساكا الياباني يوشيتاكا كونو الذي شارك مع غيره من العلماء المساهمين في التجربة في الاجتماع السادس عشر لجمعية العلماء الخاصة بإجراء تجربة «COMET» في مدينة نوفوسيبيرسك الروسية.

وقال العلماء إن التجربة المذكورة ستجري في اليابان في أحد أقوى معجلات الجسيمات الابتدائية في العالم « J–PARK » الذي بوسعه تشكيل أقوى حزمة للبروتونات في العالم.

ويعمل 170 خبيراً من 13 بلداً على إعداد التجربة التي تهدف إلى البحث عن جسيمات إبتدائية جديدة تساعد العلماء في حل لغز نشوء الكون. وحسب قول مدير التجربة فإن العلماء سيبحثون عن عملية تشهد تحول جسيمة تدعى الميون إلى الكترون.

وأشار كونو إلى أن الباحثين الروس يعتبرون من الخبراء الأكفاء ضمن المشاركين في التجربة، وكلهم علماء في معهد الفيزياء النووية لدى أكاديمية العلوم الروسية.

وقال نائب مدير المعهد الروسي يوري تيخونوف بدوره إن اكتشاف مرحلة انتقال الميون إلى الكترون سيعني ظهور فيزياء جديدة غير معروفة للبشرية.

وقد تكون التجربة الجديدة مكملة للبحوث الجارية في مصادم الهدرونات الكبير الذي يسعى القائمون عليه إلى اكتشاف خفايا المادة المظلمة والثقوب السوداء، إضافة إلى محاولة اكتشاف جسيمات جديدة.

يذكر أن المصادم بقي خامداً لمدة تقارب السنتين لإدخال التعديلات والإصلاحات عليه، وتمت إعادة تشغيله بداية شهر نيسان/ أبريل الجاري.

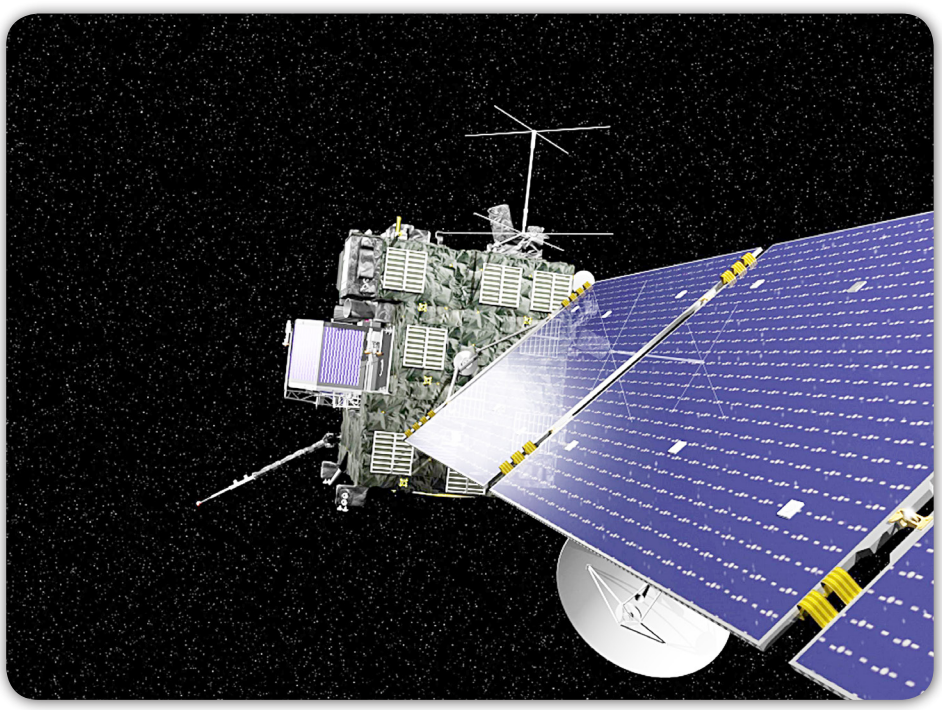

أسرة

الإكتئاب والتحرش الجنسي والإهمال بين أسبابها

إنتحار الأطفال ظاهرة جديدة في المجتمعات العربية

لندن - «القدس العربي»: وجدان الربيعي:

لا يكاد يمر يوم إلا ونسمع عن حالات إنتحار بين الأطفال، في ظاهرة جديدة على مجتمعاتنا العربية. وتشير الأبحاث والدراسات الحديثة إلى أن ظاهرة إنتحار الصغار على مستوى العالم قليلة لكنها تشهد تزايدا في الآونة الأخيرة.

انها حقيقة صادمة ومشكلة حساسة ومعقدة، والسؤال: متى ستأخذ حقها في البحث والدراسة خاصة في دول مازال يعاني نظامها التعليمي والتربوي عجزا كبيرا بالإضافة إلى الفوضى وعدم استقرار الأمن والفقر الذي يشهده جزء كبير من عالمنا العربي؟

الدكتور فتحي المسعودي الاختصاصي النفساني التونسي وخبير شؤون الأسرة والتدريب على التعامل مع الحياة تحدث لـ«القدس العربي» عن خطورة وحساسية الموضوع بالنسبة لمجتمعاتنا فقال: الانتحار عند الأطفال أو حتى الكبار موضوع قديم قدم وجود الإنسان، وهو مسألة ليست خاصة بزماننا هذا لكنها تطورت بشكل كبير وأخذت أبعادا أخرى بحكم تطور الحياة وتسارعها ونوعيتها التي يغلب عليها الطابع المادي على حساب الجوانب الإنسانية والروحية والدينية والعاطفية. الإنسان افتقد هذه الأمور منذ أن بدأت الثورة الصناعية وبدأ يهتم بالجانب المادي.

وأضاف: مسألة الانتحار متعلقة بالقدرة الذهنية والعقلية والنفسية على مواجهة المشاكل، فعندما يشعر الإنسان بالعجز التام قد يؤدي ذلك إلى مرض عقلي، ويفقد القدرة على التعامل مع الحياة والسيطرة على عقله ومداركه وقد يبدأ الأمر بالإدمان على المخدرات أو الجنس أو العزلة أو السرقة أو التسرب من المدرسة أو الإحساس بالفشل.

وأكد أن ظاهرة إنتحار الأطفال خطيرة جدا ومقلقة لكل المجتمعات البشرية سواء العربية والإسلامية وحتى الغربية، وهي في المجتمعات الغربية أكثر حدة منها في العربية. هذه الظاهرة لم تكن موجودة أصلا بين الأطفال، بل انه في بعض الدول العربية مازال من المحرمات الحديث عن إنتحار الأطفال أو الكبار فهي مسألة تمس المجتمع وحتى لو انتحر طفل فلن يتم الإعلان عن انتحاره لحساسية الموضوع، يقال أنه مات لسبب ما كالمرض الشديد.

أما عن الفرق بين طريقة تعامل الغرب والعرب مع الظاهرة فيقول د.المسعودي: أن الفرق هو أن الغرب يهتم بهذه الظاهرة ويدرسها ويجمع الاحصائيات ويبحث في الأسباب والمسببات ويبرزها للإعلام، بينما في دولنا الأرقام شحيحة والبحوث قليلة وبالتالي وضع الحلول لهذه الظاهرة وتلافيها يعتبر أمرا صعبا لأنها ظاهرة تتفاقم وتزداد بشكل كبير.

كيف نحدس نية الطفل في الانتحار؟

عن التفكير في الانتحار أو الشروع فيه بين الأطفال يقول: أن أصحاب التخصص في الدول المتقدمة يبحثون عن الدلائل التي من الممكن أن تشير إلى أن الطفل عنده استعداد للانتحار، أو إن كان يفكر في الانتحار حيث يتم الاهتمام بالموضوع من قبل المدرسة والمعلم لأنه هو الذي يتعامل بشكل مباشر مع التلميذ ويستطيع معرفة أي تغير في سلوكه وتعامله مع الدراسة والزملاء من خلال شروده الذهني أو تغير تصرفاته لتصبح عدوانية ضد الآخرين مثلا، لذلك يتم تدريب المعلمين على ذلك كما يتم الاهتمام بالبيت وتدريب الآباء والأمهات على بعض المهارات للتعرف أو اكتشاف ما إذا كانت لدى الطفل أي علامة أو إشارة تدل على وجود رغبة أو دافع للانتحار.

ويؤكد أن محاولة الانتحار لا تأتي، فجأة في الأغلب، لها مقدمات وأسباب، فأكثر من 90 في المئة من الأطفال والمراهقين الذين ينتحرون يعانون من مشاكل نفسية أو أمراض عقلية والإكتئاب الشديد أحد أهم وأبرز الأسباب التي تؤدي إلى الانتحار.

الإكتئاب والتحرش الجنسي واللفظي

وعن الأسباب المؤدية إلى الإكتئاب يؤكد د.المسعودي أنها سلسلة مترابطة فأسباب الإكتئاب كثيرة قد تكون عقلية أو وراثية كما تقول بعض الدراسات، ومن الأسباب الأخرى الإحساس بالخوف من الحياة ومن الفشل وعدم الإحساس بالأمان في البيت بسبب الطلاق وانفصال الأبوين، فالطفل في حاجة إلى الأب كما الأم، وبالتالي يعيش هذه الأجواء والضغوط النفسية.

وعن التحرش يقول: إن التحرش الجنسي هو أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الانتحار بين الأطفال، حيث يكون داخل الأسرة من الأب، الأخ، أو أقرب الأقرباء. وهنا يفقد الطفل الشعور بالأمان وسط أسرته التي من المفترض أن ترعاه وبالتالي لا يشعر بالأمان خارج العائلة خاصة أن قصص التحرش بالصغار لا تقتصر على البيوت بل أصبحت في كل مكان حتى في المدارس للأسف الشديد. ويضيف: هناك أسباب أخرى كالخوف من الفشل في الدراسة أو العقاب في المدرسة أو من النتائج الضعيفة فيعاقب من الأهل بسببها وأيضا التمييز ضده من قبل التلاميذ كأن يعاني من الوزن الزائد فيكون عرضة للسخرية.

الفقر والحاجة والإعلام

ويضيف: في بلادنا الفقر وعدم توفر الحاجات الأساسية من المأكل والملبس والسكن والمقارنة مع الأطفال الآخرين من أهم أسباب شروع الأطفال في الانتحار.

ويؤكد أن الإعلام هذه الأيام بدأ يتطرق إلى ظاهرة الإنتحار بشكل أكبر وبالتالي تصبح عدوى إجتماعية وتقليدا أعمى لدى فئات واسعة من الأطفال بسبب حب المغامرة والفضول فالكثير من البرامج التلفزيونية والأفلام وحتى برامج الكارتون تشجع على الإنتحار بالإضافة إلى ألعاب الفيديو التي تحتوي على العنف. إن الجلوس أمام هذه الألعاب لساعات طويلة مدمر للعقل حتى للإنسان الكبير فما بالك بالصغير، ناهيك عن ازدياد الوزن فالألعاب كلها قتل وعنف وهذه تؤثر على مدارك الطفل وبالتالي يصبح عنيفا في تصرفاته ويشعر بالإكتئاب نتيجة ما يشاهده والأخطر عندما يغلق باب غرفته ويستخدم الكمبيوتر في الحديث مع أشخاص إفتراضيين غرباء في غياب كامل للأهل.

المشكلة في المدرسة والبيت

ينصح المسعودي الأهل بضرورة الجلوس مع الطفل ومتابعة ما يشاهده وتوضيح خطورة ما يشاهده، المسؤولية مشتركة بين الأسرة والمدرسة والإعلام والتعليم. في البلاد العربية للأسف المعلم مجرد إنسان يعطي معلومات للتلميذ ولا يهتم بالأمور الأخرى كنفسية الطفل لأنه هو نفسه يعيش أزمة نفسية نتيجة الظروف الاقتصادية، المعلم يعيش ضغطا نفسيا وقهرا إجتماعيا وظلما وحيفا فكيف سيراعي التلميذ وكيف سيكون قريبا منه؟ علاقة التلميذ بالمعلم علاقة قوية فهو يتعلم منه العلم وكيفية مواجهة الحياة، وبالعكس عندما يرى المعلم أن الطالب لا يركز على الدرس يتجه إلى القسوة عليه أو إيذائه لفظيا وللأسف فما زال أسلوب الضرب قائما عند البعض وهذا في حد ذاته شيء خطير ويحول التلميذ إلى إنسان عدواني متمرد ويصبح عرضة للاستخفاف من زملائه مما يؤدي إلى الإنحراف أو الإكتئاب الذي يقود إلى الإنتحار، بدل أن يبحث عن الأسباب للأسف لا يوجد ذلك في بلادنا لحد الآن.

الإنتحار الجماعي بين الأطفال

في تونس منذ أسابيع فقط حاولت 7 طالبات تتراوح أعمارهن بين 12 إلى 14 الانتحار بطريقة جماعية من خلال تناول سم الفئران في المدرسة، لكن المحاولة لم تنجح. هذه مشكلة خطيرة يقول د.المسعودي وتنم عن وجود أزمة حقيقية في المجتمع ككل،لأن هؤلاء الأطفال عندما يقدمون على الإنتحار بهذا الشكل الجماعي بتناول دواء سم الفئران الذي يأتي في المرتبة الثالثة من حيث أدوات الانتحار إذ يأتي السلاح في المرتبة الأولى وفي الثانية الشنق بالحبل دون معرفة السبب فهذا أمر مقلق ويؤكد تأثر الأطفال بالفوضى التي بها البلاد. على الدولة والمجتمع الإنتباه لهذه المسائل فهي أمور ليس من السهل علاجها وتحتاج إلى ثورة حقيقية تعليمية إجتماعية عائلية، يجب على الآباء أن يفتحوا مجالا للحوار مع أطفالهم. فالأزمات التي تعيشها تونس البلد والثورة والإضطرابات الإجتماعية سوف تزيد من حالات الانتحار.

الاستماع والحضن الدافئ

عاشت مجتمعاتنا عقودا من الظلم والقهر والحيف الإجتماعي حتى أصبح الأب يدكتاتورا مثل الرئيس. كل شخص عنده مملكة ينصب نفسه ديكتاتورا عليها بالتالي هناك الكثير من الأسر غير مسموح فيها بالحوار والنقاش وغير مسموح للأطفال بالتعبير عن مشاعرهم حتى لو كانت سلبية مثل الغضب والكره والإحساس بالفشل. الإقتراب من الطفل والاستماع إليه مهم جدا والشعور بالأمان شيء يحتاجه الطفل حيث الاحساس بان في هذه الحياة من هو على استعداد لأن يقف معه ويساعده فيحل المشاكل التي قد يتعرض لها وأن يفتح معه حوارا دون توبيخ أو عقاب. علينا أن نتقبل كل شيء من الطفل فليست لديه القدرة مثل الكبير، على أن يحلل ويفكر يجب أن يسمح له بالتعبير عن الأفكار والمشاعر السلبية.

الإهتمام بالمعلمين

المعلم في بلادنا غير مدرب على التعامل مع التلاميذ أما في أوروبا فهو يتعلم قليلا من علم النفس وكيفية التعامل مع التلاميذ. الفريق التعليمي يتلقى دورات تدريبية بشكل مستمر من أجل ذلك، من الحارس إلى السكرتيرة حتى المديرة الكل يجب أن يتدرب على كيفية التعامل الأفضل مع الطالب ومعرفة احتياجاته، أما عندنا وللأسف يأتون بأستاذ يمسك «عصاية» كيف يمكن التعامل مع أربعين طالبا داخل قسم واحد في مدارس بعضها آيل للسقوط وزجاج الشبابيك مكسر والمدارس بعيدة؟

«حابب أقتل نفسي»

أحيانا يتحدث الأطفال في أمور قد لا يعير الأهل أي أهمية لها كأن يقول الطفل مثلا «أنا حابب أقتل نفسي» أو «أنا أحسن أنتحر» فالأم تقول دون قصد روح إنتحر. لو حدث هذا في الغرب تؤخذ الأمور بجدية وتتم متابعة الطفل ومراقبة تصرفاته وفي المدارس يجب الإنتباه إلى ما يكتبه الطفل عن رغبته في التخلص من الحياة والشعور بالحزن الشديد ورفض المجتمع له وحتى يخلص العالم من تبعات مشاكله ينتحر أو يفكر في الإنتحار. الكل مسؤول، البيت والمدرسة والنظام التعليمي والإعلام في تكوين سلوك الطفل وفي انحرافه وإيجاد طرق للتخلص من حياته، وفي ظل منظومة تعليمية فاسدة وفوضى إجتماعية وأخلاقية عارمة يجب على الأهل أن ينتبهوا ويعوا خطورة هذه الظاهرة التي قد تطال أي طفل اذا لم تتوفر له فرص النجاة. الإستماع والإحتضان والحب والإستقرار الأسري والعاطفي كلها عوامل تحمي الطفل وليس من العيب عرض الأمر على المختصين في حال شعر الأهل بوجود علامات سلبية أو إضطرابات نفسية فهذا سوف يعالج المشكلة قبل أن تتفاقم وتؤدي إلى الانتحار.

طبق الأسبوع

من المطبخ العربي

قوزي الشام

المقادير:

2 كوب أرز بسمتي
½ كغم لحم مفروم خشناً
½ كوب لوز مقشر
½ كوب(كشمش) زبيب
1 كوب بازلاء مسلوقة
ملح وفلفل
5 حبات هيل
3 أعواد كبش قرنفل
¼ ملعقة صغيرة(دارسين) قرفة
زيت نباتي
1 بصل مبروش
1 عجينة باف باستري
2 ملعقة كبيرة دقيق
2 كوب مرق لحم أو ماء

الطريقة:

نغسل الأرز جيداً ونضعه في وعاء ونضيف مرق اللحم والملح والفلفل والهيل والقرنفل والقرفة ونتركه على نار متوسطة حتى يغلي ثم نخفف النار ونستمر بالطهي حتى ينضج الأرز.

نضع القليل من الزيت في مقلاة ونضيف اللحم والبصل والملح والفلفل ونطهو حتى ينضج اللحم.

نضع اللوز في مقلاة (تيفال) دون إضافة أي زيوت ليتحمص ثم نضيفه إلى خليط الأرز ونضيف الزبيب واللحم والبازلاء ونخلط جيداً.

ندهن صينية (تيفال) بملعقة زيت ونرش الدقيق ثم نضع عجينة الباف باستري لتغطي قاع وجوانب الصينية جيداً.

نسكب خليط الأرز ثم نغطي الصينية بورق حراري ونضعها بالفرن حتى تصبح العجينة ذهبية اللون ثم نقلب الأرز في صحن التقديم.

جاهز:

(1) المهارة والابداع - ثري يوناني متوفى (2) ممثل افلام كاوبوي امريكي - غير مطبوخ (3) يحصل - جزء من ستة أجزاء (4) حرف عطف - اصبح رقيقا - جزء من الثوب يحيط الرقبة (5) فصيلة حيوانية من القواضم (6) خلق حسن - ضرب بالسكين - ضمير متصل (7) التعرض لحوادث (8) ينقل خبر الموت - يأتي بعد (9) عكس حلو (معكوسة) - البحر - مدينة ليبية (10) رئيس سوداني سابق.

كلمات متقاطعة

عمودي:

(1) سياسي مصري وصاحب قناة فضائية (2) جزر بريطانية (3) في الفم (معكوسة) - أعجب (متفرقة) (4) من أنواع الغناء - مسرحية لشكسبير (5) حرف عطف (معكوسة) منتمى لأحد الديانات السماوية - والدة (معكوسة) (6) مدينة فرنسية - استخرج ما في الشيء من سوائل (7) ولاية أمريكية - دافع عن (معكوسة) (8) وكالة انباء روسية (معكوسة) - يهرب (متفرقة) (9) عملة يابانية - صحراء في فلسطين (متفرقة) (10) صحيفة معلوماتك.

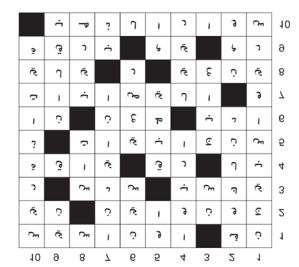

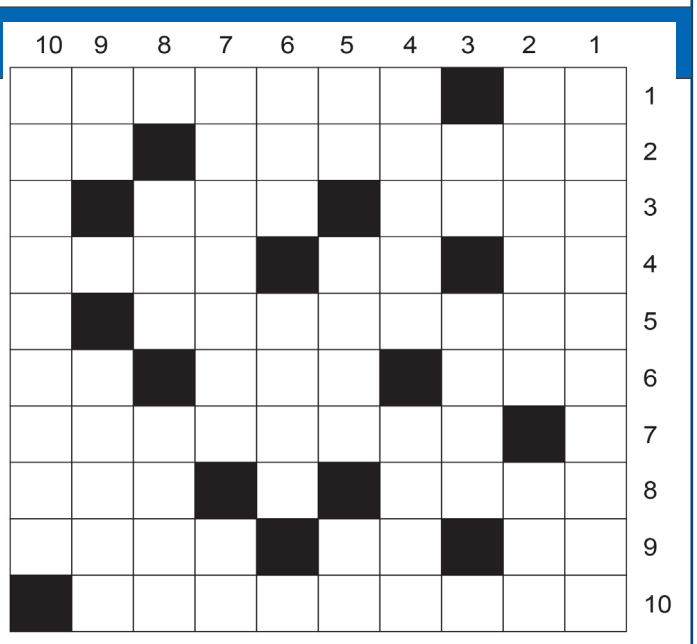

سودوكو

سودوكو لعبة يابانية يقوم اللاعب فيها بملء المربعات الفارغة بحيث ان كل عمود او سطر يجب ان يكتمل بأرقام من 1 الى 9 شرط استخدام كل رقم مرة واحدة في كل خط افقي وعمودي وكل مربع من المربعات التسعة.

	4		6	8		2		
1					7	4	9	
				9	4			7
		9	5				4	
	7						6	
	5				9	7		
5			9	2				
	1	4	7					5
		3		4	5		2	

الحمل

لا تنكب على شؤونك الشخصية واهتماماتك وعلاقاتك، لا تهمل وظيفتك حتى ولو بعض الشيء، حافظ على علاقتك مع الحبيب ولكن في حدود.

الثور

فرصة جديدة لإيجاد الحلول وفتح ابواباً جديدة، لن ينقصك الاهتمام ولا الرعاية، تعاني حالات الغيرة والتملّك بسبب الاهتمام الشديد بأمر الحبيب.

الجوزاء

حاول أن تنظم شؤونك بهدوء، وناقش قضاياك مع أصحاب الشأن، حافظ على حسن سير العلاقة لتفادي المواقف المزعجة، أوضاعك في تحسن.

السرطان

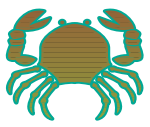

فترة جيدة تملأها الثقة والآمال والحيويّة والنشاط، لا تعامل الحبيب باستخفاف بعض الأحيان وبعدائية أحياناً، إشارات سلبية حول شعورك تجاهه.

الاسد

يسعى أحدهم لتوريطك في صفقات مشبوهة أو فاسدة، لا تقلق! تنقشع بعض الغيوم الداكنة التي دفعت إلى الخلاف بينك وبين الشريك.

العذراء

هذا اليوم مميزا، ويحمل تغييرات على الصعيد المهنيا، حبّ من النظرة الأولى، سعيداً باللقاءات الناجحة التي قد تنتهي نهاية سعيدة.

الميزان

على الرغم من حماستك تُفاجأ بفتور الأجواء حولك نتيجة تصرفاتك الأخيرة، تجنّب بدء علاقة بخطوات سريعة إذا أردت لها أن تنجح.

العقرب

دعوة للمراجعة في كل عرض يتقدّم به أحدهم، وإذا أردت النصيحة أجّل كل قرار ولا تتسرع. تحمّل التقلّبات وتحلّي بالروح المرحة حتى لا تخسر الحبيب.

القوس

نوع من الضغط عليك يجعلك تستعد للدفاع عن نفسك بشأن مشروع، اطمئن فالحبيب يحبك، لكن خصّص له وقتاً فهو يستحّق هذا الوقت.

الجدي

استمع إلى نصائح الآخرين، فهم أكثر خبرة منك في كيفية إدارة الأمور، أنت سيد الموقف في العلاقة بالشريك، وهذا جيّد قياساً بما كانت تمر به علاقتكما.

الدلو

تتراجع الخطوات وتعيش بعض الانفعالات، وقد تترك عملك فتمهل قبل اتخاذ أي قرار، مصالحة مع الحبيب، وهدنة تسمح للطرفين بتقريب المسافة والتوّدد.

الحوت

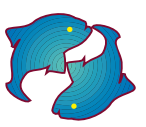

تكون أكثر ايجابية من السابق وتكون الظروف مناسبة جدا، تحقق زواجا ثريا او تعرف ربحاً عبر بعض الارتباطات المفيدة جدا.

منوعات

في الذكرى الأربعين للحرب الأهلية اللبنانية حبل «صرّة» لن ينقطع معها

طارق ضحية دار الرعاية والآلاف يبحثون عن جذورهم

بيروت ـ «القدس العربي»:

زهرة مرعي

تعددت الفعاليات الإستعادية لندوب الحرب الأهلية اللبنانية بمناسبة 40 عاماً على بدئها. الندوب الإنسانية لا تُحصى. فالحروب تُدمر البشر قبل أن يتمكن مشعلوها من تحقيق هذا الهدف أو ذاك من النيران التي ينفخون بها. ثمة لبنانيون جعلتهم الحرب في مهب الريح. حولتهم إلى كائنات أقل ما يقال فيها أنها تعيش انعدام الوزن. هم لا صلة لهم بجذور عاطفية أو بيولوجية. هؤلاء هم الأطفال الذين بيعوا خلال الحرب لعائلات تبنتهم خارج لبنان. وكذلك الأطفال الذين تخلى عنهم ذووهم وأودعوهم دور الرعاية. هؤلاء الأطفال الذين صاروا بالغين اليوم عددهم أكبر من أن يحصى، فهم بالآلاف. بعضهم عبّر عن معاناته من خلال عرض مسرحي في مسرح دوار الشمس أطلق عليه عنوان حبل «صرّة». عرض تمّ برعاية جمعية «بدائل» التي تأسست بهدف مساعدة من يعودون إلى وطنهم، بحثاً عن سؤال يؤرقهم «من أنا»؟ وكذلك مساعدة الآلاف المتروكين لقدرهم في دور الأيتام.

في حبل «صرّة» ـ إصرار على الصاد لكونه لفظ شعبي ولرمزية الصّرة في حالات الرحيل ـ تلقى المتفرجون حكايات مرّة من أفواه أهلها. لم يتقمص أحدهم دور طارق الملاّح، بلحمه وشحمه ومشاعره كافة عبّر عن سنوات عمره القاتمة في دار الرعاية. تخلت عنه والدته مقنعة إياه وهو في عمر الثانية «بتبقى هونيك بتاكل وما بتجوع»! دهراً أمضاه طارق وهو يحلم بوجه أمه وبيديها مفتوحان له لحمله بعيداً عن دار الرعاية. راح يبني لها صورة، ورنين صوت وعبارات حب. ينام ويستيقظ مع أمله بلقائها. ولم تأت. في عمر التاسعة نُقل طارق إلى ما يسمى قسم السعادة في دار الرعاية. وفيه بدأت سعادته الحقيقية، والتي سيحمل جروحها على مدى عمره. يصف طارق سريره في عنبر السعادة بـ«كان قصياً». «ذات ليل استيقظت على يد تقفل فمي، آخر يمسكني، وثالث يقف عند الباب. حدث ما حدث منهم معاً. لُملمت الشراشف المبللة بدمي ولذت بصمتي. وما حدث في ذلك الليل تواصل على مدار خمس سنوات وفي كل ليل. أخيراً هربت.. أيه هربت.

حكاية طارق تختصر مئات الحكايات لأطفال يشبهونه ويعرفهم، تركوا برعاية «دور الأيتام» التي تحمل صفة دينية. وإذا بها رعاية مفرطة بالإساءة لإنسانيتهم، ليس التحرش أو الاغتصاب الجنسي سوى صورة مختصرة وبسيطة عنها. بدورها جسدت ساندرا ما تواجهه المرأة التي تحمل من دون رابط الزواج. إذ ليس صدفة أن يكتفي ديكور المسرح بكرسي مرحاض، وبشراشف بيضاء. إن كانت الأخيرة تُمثل «الأيادي البيضاء» الموجودة في المستشفيات لتخليص تلك المرأة من عبء طفلها.

وكذلك تمثل «الأيادي البيضاء» التي تتلقف الأطفال في دور الرعاية، فتنتهك كراماتهم ومشاعرهم. فالمرحاض ليس سوى المكان الذي تتقيأ فيه النساء المتروكات لقدرهن. تسرد ساندرا كيفية استقبالها في المستشفى. ذاك المسؤول «الحنون» الذي يجد في الإجهاض جريمة وقتلاً للروح، يبحث لمولودتها عن Une bonne famille لتعيش معها برغد الحياة، وببدل مالي كبير له، إذ ليس في ذلك جريمة؟ ويقنع الأم «أن تبقى بنتك معك مش صيت منيح إلها»!.

إذاً هي شهادات حقيقية عن عالم الفصل عن الجذور، تواصلت مع عزف موسيقى حية على البيانو، وبالتزامن مع عرض أرشيف كبير من صور مؤثرة التقطت خلال الحرب لأطفال بكاميرا سامر معضاد. ولمزيد من تسليط الضوء على هذه القضية كان هذا الحوار مع المديرة التنفيذية لجمعية «بدائل» زينة علّوش:

■ هل عدد الأطفال الذين سلخوا عن جذورهم في لبنان كبير لدرجة استدعت وجود جمعية تبحث عن حقهم في المعرفة؟

□ عدد الأشخاص الذين تمّ بيعهم عبر التبني غير الشرعي خلال الحرب في تقديرنا بلغ نسبة خيالية وهو بحدود 10 آلاف طفل. هذا من جهة. ومن جهة أخرى ثمة احصاءات رسمية للأطفال المودعين في دور الأيتام بدون مبرر لهذا السلوك، والرقم هو 24 ألفا من أصل 28 ألفا تضمهم تلك الدور. إذ تقول دراسات للأمم المتحدة أن أربعة آلاف فقط من هؤلاء الأطفال يجب أن يكونوا في تلك الدور، في حين أن الآخرين يوجدون فيها بسبب الفقر. في المحصلة هناك 2 في المئة من أطفال لبنان يعيشون انسلاخاً عن جذورهم.

■ كجمعية تشاركون في الذكرى الأربعين لحرب نيسان ما هي خطواتكم في هذا الإتجاه؟

□ نلنا رخصة جمعية «بدائل» في أيار/مايو سنة 2014. وكانت فعاليتنا الأولى في ذكرى إقرار اتفاقية حقوق الطفل في تشرين الثاني/نوفمبر تحت عنوان «الحق بالجذور» وذلك بالشراكة مع المفكرة القانونية. وحينها أيضاً لجأنا للعرض المسرحي الذي يساعدنا في رواية تفاصيل الحكاية، وطرح القضية التي نحن بصددها. سمي ذاك العرض «وهي طارت». وقد شاركنا في تلك الفعالية حوالي 15 شابا وصبية أتوا من هولندا، سويسرا وفرنسا، للبحث عن جذورهم اللبنانية. أما نشاطنا الحالي فقد جاء من ضمنه إطلاق العمل لوضع قانون مدني يرعى عملية الفصل.

■ ما هي في رأيكم أسس التبني القانوني التي تطالبون بها؟

□ أولاً ندعو لقانون مدني يحكم هذه العملية. كما ولا نسميه تبنياً، بل هو إيداع للطفل مع أسرة أخرى. فعلى الدولة أن تواصل مسؤوليتها القانونية عن هؤلاء الأطفال. ولأن القانون غير موجود، فهو يتم عبر المحاكم الروحية، وعبر سبل ليس فيها احترام لاتفاقية «هاغ» التي تنص على عدم التبني عبر الحدود. هذا طبعاً في حال وجدت الحاجة للتبني. يفترض أن يحافظ هذا الطفل على أصوله وجذوره، وثقافته ليتم ابعاد معاناة الغربة عنه، وكذلك الاضطهاد والاختلاف. وفي الوقت عينه كي تبقى له في يوم ما امكانية التعرّف إلى أهله البيولوجيين. وتقول اتفاقية «هاغ» بحفظ واضح وسليم للملف الخاص بهذا الطفل بحيث يطلع عليه حين يبلغ عمر الـ18 سنة. وهذه الإجراءات يجب أن تبتعد عن أي شكل من أشكال دفع المال، فهو حينها سيكون واحداً من أشكال الاتجار. كما أنه يؤدي لنوع من التسابق للحصول على هؤلاء الأطفال من قبل العائلات التي ترغب بالتبني. ومن يرغب في التبني تكون هذه أولويته، وليس مساعدة طفل ليكون في واقع أفضل، وهنا يكمن الفرق. لهذا وفي القانون الذي ندعو لإقراره نرى أن التبني أو وضع الطفل في مؤسسات رعاية، يجب أن يتم عبر قرار قاض مدني. فهو سينظر أولا لمصلحة الطفل، ويتأكد من نوع الرعاية البديلة التي يجب أن تؤمن له. فليس جميع الأطفال تنطبق حالهم على التبني. وليس جميع الأطفال يفترض أن يكونوا في دور رعاية. كما أن لهذا القاضي أن يبحث في معايير الرعاية التي يجب توفرها في تلك المؤسسة. من أطر حماية، مراقبة ومساءلة. وهذا ما نفتقده جملة وتفصيلاً.

■ ما هو شكل التبني الحاصل عندنا والذي ترك الآلاف من الأطفال تائهين بدون جذور؟

□ هي في الغالب عملية إتجار. لسبب من الأسباب تجد امرأة نفسها مع حمل لا تعرف كيف تتصرف فيه. هؤلاء النساء ينتمين لفئات مهمشة، فيقعن ضحية الأطباء والمستشفيات، فيتم استدراجهن حتى الولادة والتخلي عن الطفل بالترغيب والترهيب.

■ تماماً كما في دور ساندرا في عرض «حبل صُرّة»؟

□ صحيح هي جسدت مشاعر تلك النساء والضغوط التي يتعرضن لها. لدينا وثائق مطابقة لما قالته المسرحية، كذلك لدينا الفواتير التي دفعها الأهل بالتبني، حيث وصل بعضها إلى 75 ألف دولار أمريكي.

■ كم هي الوثائق التي تملكونها والتي تدين المتاجرين بالبشر؟

□ حتى الآن بين أيدينا حوالي 300 وثيقة. لقد توقفنا عن طلب تلك الأوراق الثبوتية لأنها في الوقت عينه تدين الأهل بالتبني المتورطين بدورهم في مخالفات قانونية. أما المقاضاة فبيد صاحب العلاقة. ونحن أمام نوعين من المقاضاة. ففي وضع طارق ملاّح نقاضي دار الرعاية التي كانت مسؤولة عنه وفيها تعرّض للإعتداء المتمادي. إنه الآن في عمر الـ21 وهو من طلب مساعدته في المقاضاة. والغريب في دار الرعاية تلك أن طارق هرب في عمر الـ14 سنة إلى بيت جدته، لكن أحداً من الدار لم يسأل عن الطفل الذي اختفى! حتى قبل أن نتعرّف إلى طارق فهو كان حتى عمر الـ19 سنة ويطرق باب دار الأيتام مراراً وتكراراً سائلاً عن حقوقه ولماذا تعرض للإغتصاب؟ ولا يجد من يجيب. حين تعرفنا إليه كجمعية «بدائل» وكذلك المفكرة القانونية، تم التعاون في مراسلات إلى دار الأيتام ووزارة الشؤون الاجتماعية. فليست القضية محصورة في طارق كشخص، بل بنوعية الرعاية التي تضع الكثير من الأطفال في خطر التعرض لمثل تلك الممارسات. وهذا ما نعرف عنه الكثير. وطارق يعرف زملاء له تعرضوا لما تعرّض له.

■ هل خضع طارق للعلاج؟ وكم تماثل للشفاء؟

□ نتيجة الانتهاكات التي حصلت بحق طارق وجسده، ففي عمر الحادية عشرة توقف تحصيله العلمي وصار يعاني من الرسوب المدرسي الدائم. وعندما هرب لجأ إلى جدته الفقيرة. عمل طارق لفترة زمنية في مؤسسة مختصة بـ«دايت سنتر» حيث صاحبة تلك المؤسسة من مشاهير القوم وهي عضو مجلس أمناء في دار الأيتام، وبمجرد أن باح علنياً بما تعرض له، تمّ طرده من العمل. ولهذا نحن نتابع دعوى عمّالية خاصة به كونه تعرّض للطرد دون سبب مهني. طارق ومنذ تعرفنا إليه تمّ تأمين متابعة نفسية له، أولا بهدف تحديد مدى الضرر الذي لحق به، وثانياً لمساعدته على الشفاء. وحالياً نعمل على خطة مهنية بهدف تدريبه ليمتلك عملاً يساعده على بناء مستقبله.

■ لماذا تمّ اختيار هذه القصص للعرض المسرحي دون غيرها؟

□ هي حكايات معبرة. فمن المعروف بالنسبة لي كمختصة اجتماعية أن نادراً ما نجد طفلاً في دار الأيتام لا يعرف والدته لم يجرّب الهرب، بالقفز عن سور أو من نافذة. هي ملامح أساسية يمر بها معظم الأطفال، وليس بالضرورة أن تكون متطابقة مئة في المئة. لهذا كان اصرارنا على تسمية «عرض مسرحي» وليس «مسرحية». رغبنا في إظهار الأوجه الصغيرة المأساوية في حياة هؤلاء الأطفال.

■ وماذا عن مقهى «جذور» التي تمّ تأسيسه من قبل جمعيتكم؟

□ لسنا نمتلك مقهى. فنحن نعمل من دون تمويل. لم يرض أحد بمدنا بالمال. في فندق «ويست هاوس» في شارع المقدسي في الحمراء مكان لعرض الأفلام المختارة. سألنا المعنيين أن نعرض أفلاماً بدورنا، وأن نلتقي ونتحاور في قضايانا، فرحبوا بنا. وهكذا كان العرض الأول لفيلم المخرجة صوفي الديك التي وثقت سبع حالات للتبني غير الشرعي في هولندا وهو بعنوان «الذاكرة مجهولة». كنا بحدود الـ20 مهتماً، وجرى نقاش. هي فكرة مثمرة، وسنتواصل باللقاء في هذا المكان الذي يصبح اسمه حين تواجدنا فيه «مقهى جذور».

■ هل من أمل بخطوات عملية قريبة؟

□ هو طريق طويل لأنه يتناول اصلاح قطاع رعاية برمته. إذ ليس هدفنا الفضائح، ولا المحاكمات ولا إيصال المعنيين إلى العقاب، هدفنا حماية الأطفال. فحالات التبني غير الشرعي لا تزال قائمة. لنتمكن من الحماية حالياً من الضروري أن نظهر ما حصل في الماضي من انتهاكات لحقوق الأطفال.

القدس العربي الاسبوعي

Volume 26 - Issue 8086 Sunday 26 April 2015

نظمتها كتارا على مدى أيام في دورتها الرابعة بمشاركة 70 محملا تقليديا

إحياء تراث أهل الخليج وموروثه في ختام بطولة سنيار للصيد والغوص

الدوحة ـ «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

أهازيج شعبية ومعزوفات تراثية في التفاف جماهيري واسع شهده شاطئ الحي الثقافي كتارا في العاصمة القطرية الدوحة إيذانا بختام بطولة سنيار ووصول المحامل المشاركة المقبلة من جزيرة السافلية التي قضا فيها ليالي عدة حاكت فيها صور الأمس.

أطفال وشيوخ وكهول، نساء ورجال، مواطنون ومقيمون تجمعوا جميعا في الشاطئ وكلهم لهفة للحظة إعلان دخول المحامل المياه وانطلاق جوقة الموسيقى الشعبية ترحيبا بالرجال العتاة الذين قاوموا البحر وأمواجه وجابهوا المحن من أجل لقمة عيشهم. الماضي تتجلى صوره في هذه المحاكاة لتاريخ أهل المنطقة الموغل في القدم واستعادة لنمط عيش لم يعد له مجال في عهد النفط وبسبب تردي أسعار اللؤلؤ في بورصة الأسواق الدولية منذ شروع الدول الأسيوية في صناعته. وعلى امتداد مياه الخليج العربي تنافس المشاركون على ثلاث مسابقات: «الفاح، الحداق، والغوص على اللؤلؤ» وسط مشاركة واسعة تعدت 73 فريقا، يضمون أكثر من 800 متسابق، كما صرح أحمد الهتمي رئيس البطولة. الدكتور خالد بن إبراهيم السليطي مدير عام الحي الثقافي زار المتسابقين مطمئنا على ظروف عيشهم وسير المسابقة معبرا عن إعجابه بما لمسه من أخلاق عالية واصرار على الفوز والمنافسة الشريفة للمتسابقين. وإحياءً لتقاليد وعادات الأجداد المرتبطة بالتراث البحري، شجعت كتارا أسر البطولة في شاطئ يحدث عند عودة السنيار؛ التي تعني السفن الكثيرة المتلازمة، إذ كانت رحلات صيد الأسماك والغوص تتم على شكل جماعات أو قوافل بحرية بهدف مساعدة أي سفينة تتعرض لحادث. وأكدت اللجنة المنظمة على أن جزءا من الأسماك التي تم اصطيادها في البطولة ستوزع على الجمهور، في حين يذهب الجزء الآخر إلى الجمعيات الخيرية التي ستقوم بتوزيعه على الأسر المتعففة، بالإضافة إلى فعاليات أخرى تستعيد حياة الأجداد. وكانت مسابقات البطولة اختتمت قبل الوقت المقرر لها بمسابقة اللفاح، بعد توقعات لإدارة الارصاد الجوي بحدوث عواصف بحرية، إذ كان من المفترض أن تتواصل لأيام أخر. وتحركت في آخر يوم من المنافسة المحامل المشاركة من «فشت العديد» التي احتضنت مسابقتي الحداق والغوص على اللؤلؤ نحو جزيرة السافلية، حيث واصل المشاركون المنافسة في مسابقة «اللفاح». ومنذ اليوم الأول من البطولة، شرع «اليزوة» في صيد الأسماك من بعد صلاة الفجر وحتى وقت متأخر من النهار، بالإضافة إلى مسابقة الغوص على اللؤلؤ التي نظمت الخميس. وكانت المحامل تذهب يومياً إلى «البندر» المخصص لعملية وزن السمك في تمام الساعة الرابعة عصراً، وسط ترقب كبير من المشاركين. وشهدت نتيجة الوزن مستويات متفاوتة. وحصل الفائزون في مسابقات بطولة سنيار للصيد والغوص الرابعة على جوائز عن أكبر كمية صيد سمك في مسابقة «اللفاح» وعن أكبر كمية سمك لمنافسات «الحداق»، فضلا عن أكبر سمكة من ناحية الوزن و أكبر كمية محار.

المشاركين في لاستقبال المحامل كتارا كما كان

منافسة وتراث

وأعرب عدد من المشاركين عن سعادتهم في البطولة التي تعكس جانبا من تراث هل قطر، مؤكدين في الوقت ذاته على أن المنافسة كانت شرسة من واقع اكتساب عدد كبير من المشاركين خبرة جيدة بعملية صيد الأسماك في النسخ الماضية من البطولة. في حين تحدث أخرون يشاركون لأول مرة عن البطولة باعتبارها مضمار جديد يربطهم بحياة الأجداد، مشيرين إلى أن الأجيال الجديدة تتعرف على الماضي من خلال مثل هذه المنافسات التي تلقى رواجاً كبيرا في وسائل الإعلام. وقالوا «إن كتارا باتت منارة تراثية تعكس ثقافة قطر لجميع شعوب العالم، وأن من واجب الشباب المشاركة في مثل هذه المهرجانات والبطولات». وقال جاسم البوعينين الذي يشارك للمرة الأولى في البطولة مع فريق الديحة «أن الغرض من المشاركة هو الحصول على مركز متقدم بالإضافة إلى التعرف عن قرب على تراث الأجداد، مؤكداً على أن فريقه يطمح إلى المركز الأول، لذلك قام بإعداد نفسه جيدة من خلال تمارين متواصلة منذ وقت مبكر استعدادا للبطولة». وقال «إن فريقه شارك في مسابقتي اللفاح والحداق وحصل على كمية كبيرة من الأسماك. وشكر البوعينين كتارا لإتاحتها هذه الفرصة، مؤكداً على أنها باتت فخر قطر». بدوره قال يعقوب ناصر البورشيد نواخذة فريق الخور للمرة الثانية أن النزوة بجانب النواخذة كانوا في غاية الحماس، وجاءت مشاركتهم وسط معنويات عالية توضح حجم المسؤولية في شباب قطر لإبراز جوانب أساسية في تراثهم وماضي أجدادهم. وأضاف «أن فريقه لم يحالفه الحظ في مسابقة اللفاح، لكنه تمكن من اصطياد كمية كبيرة في مسابقة الحداق، مشيراً إلى أن العواصف البحرية تسببت لهم في خسارة كبيرة إذ أنهم يعتمدون اعتمادا كلياً على الحداق، لكنه قال أن كمية الأسماك التي تحصلوا عليها كافية لفوزهم بمركز متقدم». وأضاف البورشيد أن النسخة الرابعة من بطولة سنيار شهدت مشاركة فرق ممتازة ونواخذة معروفين في دولة قطر مما يدل على قوة البطولة.

الجدير بالذكر أن بطولة سنيار تأتي بدعم وتعاون من عدة جهات منها: قطر للبترول الراعي الماسي، وإدارة خفر السواحل، ودرع الوطن، ووزارة البيئة، ووزارة البلدية. وفي ذات السياق تكفلت وزارتي البلدية والبيئة بتوزيع أكياس القمامة على الفرق المشاركة والتخلص منها للمحافظة على نظافة المياه البحرية والشواطئ القطرية.

إبحار في عرض مياه الخليج

وكانت المحامل التقليدية الـ73 المشاركة في بطولة سنيار النسخة الرابعة تبحر مع بزوغ أولى إشراقات فجر النهار من شاطئ كتارا، في ممارسة حية لما كان يقوم الأجداد طلبا للرزق متحدين ظروف الحياة الصعبة في البحر. وقد شهد شاطئ كتارا ومنذ يوم 19 نيسان/إبريل استعدادات المشاركين بالقيام الاختبارات والفحوصات الفنية والصحية، وفي أجواء حماسية بين المشاركين.

وشهد موقع التجهيزات على شاطئ كتارا حضورا كثيفا لجمهور غفير من مختلف الفئات العمرية والجنسيات وخاصة الأجنبية الذين عبروا عن سعادتهم بمواكبة أجواء البطولة وتعرفهم على الموروث القطري العريق، مما كون لديهم الرغبة في التعرف أكثر عن تاريخ وعادات وتقاليد المجتمع القطري. وكانوا يرصدونها يوميا بشكل مستمر ومتوال. كما سجل شاطئ كتارا حضور العديد من العائلات بصحبة أطفالهم بُغية تعريفهم بموروث الأجداد وتوطيد العلاقة بينهم وبين الماضي الأصيل. يذكر أن بطولة (سنيار النسخة الرابعة) سجلت مشاركة 730 متسابقاً ضمن 73 فريقاً، (680) منهم يشاركون في منافسات صيد الأسماك (اللفاح والحداق) و(50) غواصاً في فعاليات الغوص على اللؤلؤ، بالإضافة إلى (73) حكماً و(4) من رجال الإسعاف و(30) من أعضاء اللجنة التنظيمية بالإضافة إلى الصحافيين والإعلاميين المرافقين للبطولة.

القدس العربي الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول

Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

Published In London, New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East,
North Africa and North America.

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن W6 0QU هاتف: 8008 741-0208 44+ (6 خطوط)
فاكس: 8902 741-0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith,
London W6 0QU England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor,
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly

أحمد بيضون

مثلٌ ناقصة

ثمّةَ شَبَهٌ بين مثال الموضوعية في عُلوم الإنسان والمجتمع وبين التزام الديمقراطيّة في حُكم المجتمعات. وكذلك بين هذين وبين الإنصاف في أحكام القانون الدولي وفي تطبيقه. قد لا يبدو هذا الشَبه جليّاً لأوّل وهلة ولكن بعض التمعّن يكفي لإظهاره من جهتين لا من جهة واحدة. فهذه المثل تفترض كلّها، من جهة أولى، درجة من التجريد لموضوعها تحيل هذا الموضوع صناعةً عقلية. تستلهم هذه الصناعة طلباً واقعياً، ولا ريب، ولكنها تلبث مستقرّة في سماء الكلّيات فلا يقع الباحث على تجسيد لها يسعه ادعاء المطابقة للمثال في عالم الجزئيات أو الحسّيات.

من جهة ثانية، متّصلة بالأولى أشدّ الاتّصال، يقترن وجوب النقص في التجلّيات العيانية لهذه المثل بوجوب الاحتجاج الدائم عليه والدعوة إلى إصلاحه وتجاوزه وإلى اتّخاذ المثال قدوةً لا يصحّ الاستغناء عنها أو نسيانها. ولا يمنع هذا كلّه ولا يسوّغ اليأسَ من مواصلته أن يلاحَظ بقاءُ النقص الذي يحدثه التقصير أو التسويات الناجمة عن مصالح واعتبارات تقاوم الاستجابة التامّة للمثال. إذ يعود هذا النقص إلى الحصول , ولو تباينَتْ وتائرُ حصوله أو تفاوتَتْ درجاته , عند كلّ تجسيد حسّي لواحد من هذه المثل.

ويمكن إلقاء الحبل على الغارب شيئًا ما في اختيار أمثلة يستعان بها على إظهار هذا الشبه بين المثل الثلاثة بوجهيه: وجه النقص المتكرر في التحقق ووجه الاستمرار الواجب في السعي إلى تجاوزه.

في الكتاب الذي أراده ريمون آرون مدخلاً إلى فلسفة التاريخ وجعل همّه تعيين حدود الموضوعية التاريخية (وهو كتابٌ لا يزال يشاد بالمعيته من وقت صدوره سنة 1948 إلى اليوم) يرى المؤلّف ثلاث صيغ لمعاملة المؤرّخ موضوعه. فهو إما أن يعتبر التاريخ واقعا موضوعياً فيجعل الإحاطة همّا له ولكنه لا ينجو من الجزئية ولا من النسبية. وإما أن يريد، باعتباره هو نفسه ممثلاً للروح الحيّ، تمثّلا لأعمال الروح الماضية فتأتي استعادة الماضي الروحي متعلّقةً بتمثل الفرد لمصيره التاريخي. وإمّا أن يتّخذ وجودَ الفرد البشري صورةً يقارن بها التاريخ فتبدو وجهة هذا الأخير رهناً بقرار متّجه نحو المستقبل ولا يُفْهَم الغيرُ إلا بتعيين موقعه من الذات. في كلّ حال تبقى الذات حاضرةً، من خلال المؤرّخ وحمولته الوجودية، وهذا مع كون التاريخ يصبح موضوعاً بالضرورة بسعي المؤرّخ وبالنسبة إليه.

تلك حالاتٌ لا يصعب العثور على نظائر لها في أعمال الذين أرّخوا لهذه المنطقة من العالم من بين أهلها، على التخصيص. بل إن ما يشهد لطغيان هذه الحالات هو الطاغي على أعمال هؤلاء. فالسائد أن ينطلق المؤرّخ من غبن ما طاول جماعته في حاضر يرجى الخروج منه أو في ماض تمادى واعتبار مهمة المؤرّخ جمع الأسانيد المفضية إلى ما يعدّه المؤرّخ إنصافاً للجماعة. هذا دليل للرواية لا يمكن أن ينجو من واحدة من العلل التي أحصاها آرون ولا يستقيم معه ما يسمّى الموضوعية.

في صدد الديمقراطية، اقترحنا قبل عقود تصوّراً جعلنا «عمل التجريد السياسي» اسماً له واعتبرناه العمل المهيئ للديمقراطية أو شرط الإفضاء إليها على صعيد الفرد–المواطن وعلى صعيد الأمّة سواءً بسواء. والمقصود بالتجريد السياسي تحييد الهويّات الموسومة بـ«الأوّلية» أو بـ«الجزئية» توصّلاً إلى إدراك الفرد نفسه بما هو مواطن أي فرد ذو وجود سياسي يتعين وجوده هذا بانتمائه المباشر إلى دولة ويعرّف بحقوقه وواجباته السياسية التي يعينها دستور يمثل تصوّر المواطنة هذا، أي التصوّر الذي يحفظ ميزان العلاقة بين المواطن والأمة مستوياً، مرشد أحكامه. استواء الميزان هذا ما بين قطبي الوجود الديمقراطي أي المواطن والأمة هو غاية السعي الذي يفترض له حظ معتبر من النجاح ليصحّ القول بوجود نظام ديمقراطي. وفي أفق هذا السعي، يمثل تصوّر «الإنسان» بما هوَ الغاية القصوى للسياسة مقياساً لا تجوز الغفلة عنه.

هذا وينطوي «عمل التجريد السياسي» ذاك على نقد للنقد السائد للديمقراطية السياسية بما هي نظامٌ «حقوق صورية» يعوزه إحقاق الحقوق المادّية أو الإجتماعية , على الأعمّ , ولا يقدّم علاجاً للقهر والاستغلال الإجتماعيين ولا للتفاوت بين البشر. فإذ لا يمسّ هذا التصوّر، بأيّة صورة من الصور، شرعية النضال الإجتماعي ولا قيمه، يؤكّد وجود مستوىً حقوقي لا يستغنى عنه هو مستوى حقوق المواطنة أي مستوى «المساواة الصورية» بين المواطنين أمام القانون. وذاك أن هذا المستوى، إلى كونه قيمة تتعلّق بحرّيات ذات اعتبار، يمثل نموّه وسلامته شرطاً للسعي المتّصل إلى إحقاق الحقوق الإجتماعية أو تلك التي تعدّ، على اختلافها، «حسيّة» وتوضع بإزاء تلك الموصوفة بـ«الصورية».

يفترض «عمل التجريد السياسي» قدراً من إمكان التحييد للهويّات الأوّلية أو الجزئية عندما تُرى في حال منازعة لقيم المواطنة. أي إن هذه الأخيرة توجب من جانب المواطنَ ومن قبل جماعات المواطنين قدرةً ما على لجم نوازع مختلفة، عصبية أو أنانية، تعارض ما يتوجب اعتباره «مصلحةً عامّة» أو قيمة أو قاعدة للسلوك المواطني حاظية بتكريس شرعي. والحال أن هذا التحييد أو اللجم لا يبلغ تمامه، عادةً، في أي مضمار من مضامير التصرّف الفردي أو الجماعي، ولا هو يجد رعاية تامّة لوجباته من جانب الفاعل المقابل أي الدولة، بسائر هيئاتها. هذا كله يجعل الديمقراطية تبدو ناقصة التحقق دائماً معرّضة للمَطاعن من قبل الذي يريدون لها مزيداً من الفلاح ومن قبل الذين يريدون سقوطها سواءً بسواء.

وأما القانون الدولي، بأوضاع نصوصه وأحوال هيئاته وصيغ تطبيقه، فيلقى بين ظهرانينا من النقد اليومي ما يغني عن التبسط في الأمثلة. يكفي تاريخ القرارات المتعلّقة بحقوق الفلسطينيين أو بإسرائيل في مجلس الأمن دليلاً على ما في النظام الدولي من انحراف يتحكّم في ما يشترعه وما يقرّره وتصل مفاعيله إلى تعطيل القرارات أو الحدّ من تنفيذها إذا هي جاءت منصفة أو قريبة من الإنصاف. وما يتيح هذا الانحراف إنما هو بقاء القوّة محكّمة في مصير الحقوق وفي درجة الأخذ بما يحفظها في الشرائع وفي قرارات الهيئات المسؤولة. ويتيسّر للقوّة، حين تبلغ مداها، أن تسخّر الشرائع لحماية الحلفاء ولإضعاف الأعداء بقطع النظر عن موضع الحقّ في هذين المعسكرين. ويتيسّر لها، في هذا المساق، أن تملي على الهيئات الدولية ما اعتدنا تسميته سياسة المعايير المزدوجة. فما العمل حيال هذا النوع من الطغيان؟

تَسْتحقّ أحوالُ هذه المُثل كلّها أشدّ النقد ولا تتّجه أمورُها نحو شيء من الاستقامة أصلاً إلا بالنقد وطَلَب التغيير. ولكن حين يُتّجه النقد إلى محالفة أعدائها المعلومين ويوحي باستحسان ما للاستغناء عنها يصبح النقدُ المزعوم تزكيةً للكذب في محلّ الموضوعية وللاستبداد في موضع الديمقراطية وللهمجية في تصريف العلاقات الدولية.

هذا مع العلم أن التسليم بالضرورة التي تتّصف بها هذه المثل لا يجوز أن يُجعل دليلاً على لزوم الاستسلام لنقائصها أو لمُراد الذين يسخرونها لما يغاير روحها أو يحيلون الأخذ بها إلى ملهاة لا تفضي إلى إحقاق أي حقّ. وإنما هي تنفع ستاراً لتوظيف الزمن في تبديد إلحقوق وفي توسيع نطاق المظالم. فإن هذه، في كل حال، مُثل يلازم النقصُ كلّ تجسيد لها. ولا ريبَ أن السُكوت عنْ هذا النقْص يُعْتَبَر خيانةً لها أوْ مجافاةً لروحها. ولكن هذا النقص – مهما يَبْلُغ – لا يَسْتَقيم حُجّةً للإعراض عنها... دَعْ عنك مُعاداتها. بل هو دافعٌ لطَلَب المَزيد منها دائماً.

كاتب لبناني

مارجريت والكتابة

أمير تاج السر

في كتابها «مفاوضات مع الموتى»، الذي ترجمته للعربية عزة مازن، وصدر عن المجلس القومي للترجمة في مصر، منذ فترة، واطلعت عليه مؤخرا، تحاول الكاتبة الكندية المخضرمة مارجريت أتوود، أن تجيب على أسئلة الكتابة والقراءة الممدة في أذهان الكتاب والقراء معا، وستظل ممدة دائما، بلا خيار آخر.

تقول أتوود في كتابها الغني بالأفكار والتجارب، وفي نفس الوقت بالنظريات التي غالبا ما تكون وليدة حماس للتنظير، موجود عند معظم من كتبوا إبداعا، منذ عرفت الكتابة، إنها كتبت في زمن لم يكن فيه متع كثيرة كما يحدث اليوم، لم يكن ثمة سينما منتشرة، ولا تلفزيون يقتحم عزلة البيوت، ولا حتى رغبات مستعرة للتسوق مثلا، كما يحدث اليوم. وبالتالي كانت هناك فرص جيدة للأفكار الكتابية أن تتلاطم في الأذهان وتخرج، وأيضا احتمالات كبيرة أن يكون ثمة متلقين لهذه الكتابة، أي قراء، يمتعون أنفسهم بالمتعة الوحيدة التي تتوفر بكثرة في ذلك الزمان. وبالرغم من قلة دور النشر في خمسينيات القرن الماضي، في بلادها، وعدم اعترافها بالكاتب المحلي وما ينتجه، إلا أن الأمور كانت تسير بخطى لا بأس بها، وحين تغير الزمن وجاءت الطفرات الكبيرة في كل شيء، كان يوجد كتاب مؤسسون، وكتاب واعدون، وكتاب سيولدون لا محالة، وأيضا يوجد جميع أنواع القراء المواكبين لتطور الكتابة. في الماضي، كانوا يتحدثون عن الفن، والكتابة من أجل الفن، وكان على الشعراء أن يموتوا أو يتسولوا الطعام، من أجل الفن، والآن كل صاحب موهبة، يملك بالضرورة، نصيبا قويا من حكاية الكتابة، واستثماراتها، وربما يكون نجما في المجتمع، تحاكي وقفته ونظرات عينيه، وقفة ونظرات عيني نجم سينمائي.

أيضا وفي فصول أفردتها للقارئ وحده، وما يمكن أن يقدمه للكاتب من نفع أو ضرر، وصفت عملية القراءة بالتلصص، وأن قارئك هو جاسوس اجتماعي لمعرفة دواخلك من خلال قراءة ما تكتبه، لأن الكاتب حين يكتب، فهو يضع شيئا منه في النص، حتى لو لم يكن ذلك صراحة، وبالتالي يتم نهب ذلك الشيء الغامض من قبل القراء المحترفين.

نعم هناك قراء يمرون على الرواية سريعا، يبحثون عن شيء يريدونه، مثل فتاة حسناء تتعرى في الصفحات، أو بطل خرافي يسدد لكمة لخصم، أو طفل صغير شقي سينجو من حادث سير، ويصفقون له. هكذا، لكن هناك آخرون في المقابل، يتشبثون بصفحات الكتاب لدرجة أن تصبح جزءا من تكوينهم، وهؤلاء هم خصوم الكاتب غير الضارين كثيرا، لكنهم ربما يضرون من دون قصد، حين يسترون بعض العورات المكشوفة عن قصد من الكاتب، أو يصححون الأخطاء التاريخية التي صيغت سهوا، أو يفسدون على الكاتب متعة الكآبة والعزلة، حين يقيمون أمسية نقدية، يقلبون فيها المواجع.

لقد ذكرني كلام أتوود عن الترفيه، واعتماد القراءة من ضمن أدواته في زمن ما، بأوائل السبعينيات من القرن الماضي، حين كنا نجتمع نحن صغار الحي، في أحد البيوت، ليقرأ علينا العم حمزة، وهو رجل مسن، ومثقف، ويعمل بائعا في كشك صغير أمام المستشفى، ويقيم مع إحدى الأسر بالجوار، يقرأ من كتب كان يرصها تحت سريره، وكانت في معظمها تأسيسا فريدا لذهنية القراءة، لدى الأطفال. إنها كتب في المغامرات والألغاز، وبطولات بعض الشخصيات التاريخية، مثل صلاح الدين، وأيضا شيء من السيرة الهلالية، وغيرها من الروايات الخفيفة الخالية من المواضيع المعقدة. وأذكر أن قناة حمزة الترفيهية هذه كما أسميتها، استمرت سنوات، حتى أصبح بإمكاننا القراءة من دون مساعدة، والبحث عن الكتب التي نريدها في المكتبات التي كانت موجودة بالمدينة في ذلك الوقت.

لقد وصفت مارجريت أتوود، فعل القراءة كترفيه، يؤدي في الغالب إلى الإدمان، في بلادها كندا، في زمن خصب من أزمنة الفن، وكان ما وصفته موجودا عندنا، وربما في معظم دول العالم قبل غزو التكنولوجيا.

أسئلة الكتابة قائمة ما تزال: لماذا نكتب؟ لمن نكتب؟ هل هناك جدوى من الكتابة؟

تقول أتوود عن ذلك، إن هذه الأسئلة لم تعد تؤرق الكاتب الذي تولد موهبته في هذه الأيام، لأن مسألة الفن من أجل الفن، قد فقدت بريقها، وربما تكون تلاشت تماما، لأن من السهولة جدا أن يحصل كاتب حديث على مبلغ من ستة أصفار، دفعة أولى، ذلك الرقم الذي يقضي فورا على أي سؤال خاص بالكتابة، قد يدور في ذهنه. وسؤال: لمن نكتب، أيضا لا لزوم له، لأن شرائح القراء، تعددت، ولأن هناك جوائز سخية تقدم، وسينما تنتج ما يكتب، وأسفار بلا حصر ومحاضرات هنا وهناك، وهكذا، الكاتب يكتب ليعيش شامخا، وليلمع وليصبح جزءا من رقي المجتمع، وليجلس في صالات رائعة، معطرة، يوقع الكتب، ويتلقى نظرات المعجبين، ومصافحاتهم، وغالبا ما يجده المعجبون كما تخيلوه تماما: أنيقا وجذابا، بعكس تخيلات الماضي عن الكاتب، حين تخيب تماما عند رؤيته، ذلك أنه دائما عكس التوقعات، وأفقر من أن يلفت حضوره أحد.

هذه اللمحات عن بلاد تحضرت منذ عهد، وتجاوزت صيغة الماضي التي ما تزال سائدة عندنا، هنا، أعني في البلاد العربية، والكل يعرف، أن الكاتب لا أحد في معظم حالاته، ولو كتب بأدوات الجن، هو كاتب فقط من دون إضافات شيقة، وربما يستهزئ منه البعض في صفحات الجرائد، أو يضعون له السدود في أول درجة من درجات النجاح، يصل إليها، وربما يغتالونه معنويا بتضفير المعاناة، وردمها في حياته.

لذلك، نحن بعيدون عن محاضرات مارجريت أتوود المختصة بالكتابة، ربما نكون قريبين من الماضي الذي ذكرته، لكننا لا نشبه الحاضر ولا المستقبل المرصود عندها، وإن كان لا بد من تنظير، فليكن تنظير يخصنا وحدنا.

كاتب سوداني